(٣٣) من تراث الكوثري

دَفعُ شُبه مَن شَبَّهَ وَتَمَرَّدَ

ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد

تصنيف

الإمام الكبير الحجة تقى الدين لأبى بكر الحصنى الدمشقي

المتوفى سنة ٨٢٩هـ رضى الله عنه

على النسخة الخطية الوحيدة لفضيلة الشيخ

محمد زاهد بن الحسن الكوثرى



الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف - ت: ٢٥١٢٠٨٤٧

رقم الإيـــداع : ٢٢٠٥ / ٢٠١٠

الترقيم الدولي : 9-235-315-977 – 978

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة

الإمام الحصنى مؤلف هذا الكتاب

إنا نذكر ترجمة هذا الإمام رضى الله عنه ليعرف القارئ من ترجمته مقدار كتابه هذا فأنا نرى أن الكتب أشبه بالأبناء فمن لا والد له من الأبناء ضائع لا قيمة له حتى في نظر نفسه ومن له والد حقير كان حقيراً كوالده ومن جل والده جل ويزداد عظماً كلما عظم والده ، هذا شئ لا نزاع فيه . وهكذا الكتب إذا رأى الناس كتاباً لا يعرف مؤلفه ارتفعت ثقتهم به وظنوا به الظنون وإذا عرف المؤلف نظروا إليه وبمقدار عظمته في نفوسهم علماً وعملاً تكون ثقتهم بكتابه واستفادتهم منه . وأعدل حكم على الرجل هو الذى يصدر عليه من معاصريه الناظرين إليه المحيطين علماً بكل أحواله مع ما في المعاصرة من منافسات ومنازعات وأحقاد يهيجها الحسد الذى يدفن الفضائل وينشر الرذائل فإذا صدر مع هذا حكم جليل من معاصر دل ذلك على أن الحقيقة أرفع وأسمى . رفع سؤال إلى علماء عصره رضى الله عنه عن زيارة النبى صلى الله عليه وسلم واسمع ما قاله عنه أحد معاصريه قال ما نصه : فأجاب شيخنا وسيدنا ومولانا العارف الورع العابد الزاهد المحقق المدقق شيخ الإسلام ومفتى الأنام وعلم الأعلام الربانى ، والصدر النورانى ، منقح الألفاظ ، ومحقق المعانى . بحر العلوم ، والمبرز على ذوى الفهوم . داعى الخلق للحق . الناصح لكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم بقية السلف ، وزين الخلف شافعى زمانه

وسيبويه أوانه ، القطب الكبير ، والغوث الشهير والعلم المنير ، والعلامة النحرير ، والمجتهد الأخير ، البحر الزاخر ، والسيف الباتر ، زبدة المتقدمين ، وعمدة المتأخرين ، ومفزع العباد ، وحجة الله على العباد وصمصامة أهل الزيغ والفساد ، رحلة وقته ووحيد عصره وفريد دهره . نسيج وحده جامع أشتات العلوم والفضائل ، القائم في نصرة الحق بالبراهين والدلائل . قدوة أهل الأصول والفروع وناثر فرائد المنقول والمسموع الحسيب النسيب والمتصل في الدين بالمصطفى الحبيب الشيخ تقى الدين أبو بكر ابن محمد ابن عبد المؤمن بن حريز بن سعيد بن داود بن قاسم ابن على ابن ناسى بن جوهر بن على ابن أبى القاسم بن عبد الله ابن عمر ابن موسى بن يحيى على الأصغر بن محمد التقى ابن حسن العسكرى بن على الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن محمد الحسين ابن على ابن أبى طالب الحسينى الشافعى الأشعرى الحصنى قدس الله روحه . ونور ضريحه وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه ، وضاعف له جزيل هباته ، وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته ونفعنا بعلومه الجمة وفوائده ، كما حلى أجياد الدهر بقلائد فرائده آمين . بجاه سيد الأولين والآخرين اهـ . **من الفتاوى السهمية في ابن تيمية** . بمجموعة (٣٣ دولاب ١٥) من مكتبة صاحب الفضيلة أستاذنا الشيخ محمد بخيت المطيعى حفظه الله وهو وصف لم يدع قولاً لقائل في هذا الإمام الهمام رضى الله عنه ورضى عنا به : ولد رضى الله عنه بدمشق سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة من الهجرة الشريفة وبها أخذ العلم عن أئمة

عصره وأخذ عنه أئمة ، وكان من الزهد في الدنيا بدرجة لا تقل عن درجات سلف الأمة الصالحين وكان لتقواه وخشيته لربه وقوراً مهيباً حتى عند الأكابر من ولاة الأمور وكان إذا رأى ما لا يرضاه ربه صدع بالحق لا يخاف في الله لومة لائم . لم يقتصر في بث علومه على ما كان يلقيه من جواهر المعارف والآداب في دروسه حال حياته بل ألف من الكتب الجليلة الكثيرة ما يجعل نفعه العلمي خالداً .

فمن مؤلفاته **شرح صحيح مسلم** في ثلاث مجلدات ، **وشرح التنبيه** لأبى إسحاق الشيرازى في الفقه الشافعي في خمسة مجلدات نافع جداً . **وشرح منهاج النووى** في خمسة مجلدات كذلك ، **وتفسير آيات متفرقات** في مجلد . **وقواعد الفقه على المذهب الشافعي** في مجلدين ، **وتلخيص مهمات الأسنوى** في مجلدين ، **وتنبيه السالك على مضار المسالك** في ستة مجلدات ، **وأسنى المسالك لسير السالك** في مجلد ، **وقمع النفوس** في مجلد ، **وشرح أسماء الله الحسنى** في مجلد ، **وشرح الأربعين النووية** في مجلد ، **وسير نساء السلف العابدات** في مجلد ، **وتلخيص تخريج أحاديث الاحياء** في مجلد ، **وأهوال القبور** في مجلد ، **وتأديب القوم** في مجلد ، **وشرح الهداية في أوهام الكفاية** في مجلد ، **وشرح مختصر أبى شجاع** في مجلد ، قال السخاوى حسن للغاية وقد طبع في العام الماضى فكاد يطرب الشافعية فرحاً طلبة وعلماء ، وتقرر رسمياً أن يقرأ بالأزهر لجلالته . (**ودفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام احمد**) . وهو هذا الكتاب الذى يجل عن نظير في موضوعه كيف لا وقد أتى على بناء مخالفة من أساسه .

مات رحمة الله عليه ليلة الأربعاء منتصف شهر جمادى الثانية سنة تسع وعشرين وثمانمائة وحملت جنازته على أعناق الأفاضل وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً لم يتخلف عنه أحد من أهل دمشق حتى الحنابلة الذين كانت له عليهم حملات ثم حملات ، ومع كونه وصى أن يخرج بجنازته بفلس ذهب من غفل عن جنازته من الناس إلى قبره وصلوا عليه غير مرة ودفن عند والده وأقاربه بالجهة الجنوبية للجامع الأموى سقى الله روضة ضمته غيوث فضله وإحسانه وكرمه ورضوانه . وقد عنى بترجمته كثير منهم المقريزى في العقود وابن خطيب الناصرية في تاريخ حلب ، وابن حجر في أنباء الغمر ، والتقى ابن قاضى شهبة في طبقات الشافعية ، والرضى القرى في بهجة الناظرين ، والسخاوى في الضوء اللامع وغيرهم . فمن أراد أن يعرف من هو الإمام التقى الحصنى علماً وعملاً فليرجع إلى تلك التراجم رضى الله عنه وعن جميع العلماء العاملين خصوصاً من أسهروا عيونهم وأتعبوا أبدانهم ووقفوا أفكارهم على نصر دين ربهم والذود عن حياضه . إن أحبوا فالله ، وإن أبغضوا فالله ، جعلنا من محبيهم السالكين سبيلهم ، اللهم آمين اللهم آمين .

* * *

من عجائب الصدف أننا ما كدنا ننتهى من طبع أخر ملزمة من الكتاب البديع (غوث العباد ببيان الرشاد) لحضرة صاحب الفضيلة ملك البيان وحامل لواء البرهان الأستاذ الشيخ مصطفى أبو سيف الحمامى أحد العلماء وخطيب المسجد الزينبى ، حتى ساق الله تعالى إلينا نسخة خطية جليلة من كتاب (**دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد**) للإمام الهُمام أبى بكر تقى الدين الحصنى رضى الله عنه . عنى حضرة صاحب الفضيلة المرشد الجليل والعلامة النبيل الشيخ سلامة العزامى النقشبندى باستنساخها ونقلها من نسخة أخرى خطية ليس في القطر المصرى سواها (على ما نعلم) هى لحضرة صاحب الفضيلة البحاثة المعروف والجهبذ الشهير الشيخ محمد زاهد الكوثرى ، ومن فضل الله علينا أن هيأ لنا من الظروف ما مكننا بعد قليل من النسخة الأصلية التى بيد الشيخ الكوثرى ، فرأينا أن يكون الجمع من النسخة الفرعية والمقابلة في التصحيح على النسخة الأصلية ليخرج الكتاب كما نحب لـه من الصحة والإتقان ، وأنا نقدمه بيد الفرح والسرور إلى إخواننا في جميع أنحاء العالم الإسلامى راجين أن يكون ذلك خدمة لهم ولديننا الحنيف الذى يعنينا ويهمنا كثيراً أن نعيش ونموت في خدمته (وربنا المسئول) وهو أكرم الأكرمين أن يحقق لنا هذه الأمنية الغالية .

* * *

قال حضرة صاحب الفضيلة العلامة صاحب النسخة الفرعية ما نصه :

{ سبب تأليف هذا الكتاب }

قال العلامة التقى محب السنة والذاب عنها بكل ما استطاع في هذا العصر الشيخ محمد زاهد الكوثرى : في ظهر الأصل المقابل به بخط الحافظ محمد بن طولون (**فائدة**) سبب تكلم المؤلف رحمه الله تعالى في ابن تيمية وأتباعه ما نقل له عن الشيخ العلامة ناصر الدين التنكزى أنه اجتمع ببعض من ينتسب للحنابلة قال فرأيته يقول بمسألة التناسخ ولا يقطع لأطفال المسلمين بالجنة وسمع منه هذا القول شخص آخر ونقل للشيخ المؤلف أيضاً أن شخصاً قال عند هذا المبتدع المشار إليه يا جاه محمد فقال لا تقل يا جاه محمد وكذا نقل له عن شخص آخر قال ذلك عنده فقال لا تقل يا جاه محمد فإنه قد بقى قفة عظام نعوذ بالله العظيم من هذه الزلة الجسيمة وسمع هذا الكلام أيضاً بن أخى الشيخ المؤلف فاجتمع مع عمه فتذاكرا ما وقع فيه الجاهل المشار إليه ثم قال يا عم لو تكلمت في ذلك فقال أنا مشغول بنفسى فقال ما يخلصك هذا عند الله عز وجل كيف يتعرض هذا الجاهل للرسول صلى الله عليه وسلم وحط مرتبته ومراتب النبيين ويتكلم في الله بما لا يليق بجلاله وغير ذلك مما هو زندقة لا يخلصك هذا عند الله مع تمكنك من ردع هذا الزائغ عن تنزيه الله وتعظيم رسوله عليه الصلاة والسلام فقال المؤلف رحمه الله تعالى ائتونى بشئ من كلام هذا الرجل انظر فيه فإذا تكلمت تكلمت على بصيرة فأتى بأشياء من كلامه فلما رأى

كلامه تكلم بما تكلم رحمه الله ، قال شيخنا النعيمي ومن خطه نقلت (نقلتها من خط شيخنا شهاب الدين بن قرا تلميذ المؤلف ملخصا[1] لها) انتهى ما وجدته بخط ابن طولون في ظهر الأصل المذكور . وترجمة المصنف مبسوطة في كتاب **الضوء اللامع في القرن التاسع** للحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوى ، وفي **طبقات الشافعية** للتقى ابن قاضى شهبة ، وفي **طبقات الرضى الغزى العامرى** وله مؤلفات ممتعة كشرحه على صحيح مسلم في ثلاث مجلدات وشرحه على التنبيه في خمس مجلدات وشرحه على المنهاج كذلك وطبع حديثاً شرحه على مختصر أبى شجاع في مجلدين وكان من مفاخر الشافعية في عصره زهداً وعلماً وسيرة وسنستوفى في ترجمته إن شاء الله تعالى عند قيامنا بشرحه .

* * *

(١) فابن طولون هذا حافظ جليل له من المؤلفات ما يقرب من ستمائة مؤلف وتوفى سنة ٩٥٣ سنة تسعمائة وثلاث وخمسين وشيخه عبد القادر النعيمي ، له مؤلفات جليلة وقد ترجم فى الكواكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة : وابن قرا هو الشهاب الخوارزمى المحدث مترجم فى الضوء اللامع قاله صاحب الأصل اهـ مصححه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد الأولين والآخرين ، وأكرم السابقين واللاحقين ، وسلم ومجد وكرم ، سبحان من بيده الضر والنفع ، والوصل والقطع ، والتفرقة والجمع ، والعطاء والمنع ، وفق من أحب لتنزيهه فحمى موضع نظره منه وكذا السمع ، وخذل من أبغض فجرى لشقاوته على ما اعتاده وألفه من ردئ الطبع ، فهب على الأول نسيم إسعاده وعلى الثاني ريح إبعاده . لصدع قلبه بتمويه العدو فياله من صدع ، تقدس وتمجد بعز كبريائه وجلاله ، وتفرد بأوصاف عظمته وكماله كما عم بجوده وإفضاله ونواله . تقدس وتبارك عن مشابهة العبيد وتنزه عن صفات الحدوث * فمن شبه فقد شابه السامرة وأبا جهل والوليد . ومن عطل ما ثبت له من صفاته بالأدلة القاطعة فهو عن الحق مائل ومحيد[1] . وكلا القسمين سفيه وشقي وغير رشيد . ومن ورائهما عذاب شديد * ونال خلع الرضوان في دار الأمان من نزه مع تزايد الكرامات ولديه مزيد * فشتان بين من هو راتع في رياض السلامة ، ونزل الكرامة ، في دار المقامة وبين المطرود المبعود[2] وقد حق عليه الوعيد * (وبعد) فإن سبب وضعي لهذه الأحرف اليسيرة ما دهمني من الحيرة من أقوام أخباث السريرة . يظهرون الانتماء إلى مذهب السيد الجيل الإمام أحمد. وهم على

---

(١) كان ينبغي أن يقول حائد : ولعله اختار ذلك مراعاة للسجع ! هـ مصححه

(٢) اسم المفعول مبعد فيقال فيه كما قيل فيما قبله ا هـ مصححه

خلاف ذلك والفرد الصمد . والعجب أنهم يعظمونه في الملأ ويتكاتمون إضلاله مع بقية الأئمة وهم أكفر ممن تمرد وجحد . ويضلون عقول العوام وضعفاء الطلبة بالتمويه الشيطاني وإظهار التعبد والتقشف وقراءة الأحاديث ويعتنون بالمسند . كل ذلك خزعبلات منهم وتمويه وقد انكشف أمرهم حتى لبعض العوام وبهذه الأحرف يظهر الأمر إن شاء الله تعالى لكل أحد إلا لمن أراد عز وجل إضلاله وإبقائه في العذاب السرمد . ومن قال بنفي ذلك أى بنفي خلود العذاب وسرمديته وهو ابن تيمية وأتباعه فقد تجرأ على كلام الغفور قال تعالى : ﴿ **والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور** ﴾ . وعلى العليم الحكيم في قوله تعالى : ﴿ **يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم** ﴾ . والآيات في ذلك كثيرة عموماً وخصوصاً ومنها قوله تعالى : ﴿ **ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما** ﴾ . والغرام المستمر الذى لا ينقطع فلو انقطع قدر نفس لا يسمى غراماً . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **وجاء ربك** ﴾ . قال الإمام أحمدمعناه جاء أمر ربك . قال القاضي أبو يعلى ، قال الإمام أحمدالمراد به قدرته وأمره وقد بينه في قوله تعالى : ﴿ **أو يأتى أمر ربك** ﴾ . يشير إلى حمل المطلق على المقيد وهو كثير في القرآن والسنة والإجماع وفي كلام علماء الأمة لا يجوز عليه الانتقال سبحانه وتعالى . ومثله حديث النزول وممن صرح بذلك الإمام الأوزاعي والإمام مالك لأن الانتقال والحركة من صفات الحدث والله عز وجل قد نزه نفسه عن ذلك ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **استوى على العرش** ﴾ .

فإذا سأل العامي عن ذلك فيقال لـــه الاســـتواء معلـــوم والكيـــف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وسنوضح ذلـــك إن شاء الله تعالى وإنما أجاب الإمام ربيعة بذلك وتبعه تلميذ مالك لأن الاستواء الذى يفهمه العوام من صفات الحدث وهو سبحانه وتعالى نزه نفسه عن ذلك بقولـــه تعالى : ﴿ **ليس كمثله شئ** ﴾ فمتى وقع التشبيه ولو بزنة ذرة جاء الكفر بالقرآن قال الأئمـــة وإنمـــا قيـــل السؤال بدعة لأن كثيراً ممن ينسب إلى الفقه والعلـــم لا يـــدركون الغوامض في غير المتشابه فكيف بالمتشابه فآيات المتشابه وأحاديثه لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى والقرآن والسنة طافحـــان بتنزيهـــه عز وجل ومن أسمائه **القدوس** وفي ذلك المبالغة في التنزيه ونفـــى خيال التشبيه وكذا في قولـــه تعالى : ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ إلخ لمـــا فيها من نفى الجنسية والبعضية وغير ذلك مما فيـــه مبالغـــة فـــي تنزيهه سبحانه وتعالى وكان الإمام أحمد رضى الله عنه يقول أمروا الأحاديث كما جاءت وعلى ما قال جرى كبار أصـــحابه كـــإبراهيم الحربى وأبى داود والأثرم ومن كبار أتباعه أبو الحسين المنـــادى وكان من المحققين وكذلك أبـــو الحسن التميمى وأبو محمـــد رزق الله بن عبد الوهاب وغيرهم من أساطين الأئمة في مذهب الإمـــام أحمد وجروا على ما قاله في حالة العافية وفي حالة الابتلاء . فقال تحت السياط فكيف أقول ما لم يقل وقال في آية الاستواء هو كمـــا أراد فمن قال عنه إنه قال في الاستواء إنه من صـــفات الـــذات أو صفات الفعل أو أنه قال إن ظاهره مراد فقد افترى عليه وحســـيبه الله تعالى فيما نسب إليه مما فيه إلحاقه عز وجل بخلقه الذى هـــو كفر صراح لمخالفته كلامه فيما نزه نفسه به سبحانه وتعالى عمـــا

يقولون ومنهم ابن حامد والقاضي تلميذه وابن الزاغوني وهؤلاء ممن ينتمي إلى الإمام ويتبعهم على ذلك الجهلة بالإمام أحمد وبما هو معتمده مما ذكرت بعضه وبالغوا في الافتراء ، إما لجهلهم وإما لضغينة في قلوبهم كالمغيرة ابن سعيد وأبي عبد الله محمد الكرامي لأنهم أفراخ السامرة في التشبيه ويهود في التجسيم وحرف المغيرة ومعه خمسة من أتباعه كما أذكره من بعد ، قال ابن حامد في قوله تعالى : ﴿ **ويبقى وجه ربك** ﴾ . وفي قوله تعالى : ﴿ **كل شئ هالك إلا وجهه** ﴾ . نثبت لله وجهاً ولا نثبت له رأساً وقال غيره يموت إلا وجهه وذكروا أشياء يقشعر الجسد من ذكر بعضها . **قال أبو الفرج الجوزي** : رأيت من تكلم من أصحابنا في الأصول بما لا يصلح وانتدب للتصنيف وهم ثلاثة ابن حامد وصاحبه القاضي وابن الزاغوني صنفوا كتباً شانوا بها المذهب وقد رأيتهم نزلوا إلى مرتبة العوام فحملوا الصفات على مقتضى الحس فسمعوا أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم على صورته فأثبتوا له صورة ووجهاً زائداً على الذات وعينين وفماً ولهوات وأضراساً ويدين وأصابع وكفاً وخنصراً وإبهاماً وصدراً وفخذاً وساقين ورجلين وقالوا ما سمعنا بذكر الرأس وقالوا يجوز أن يمس ويمس ويدني العبد من ذاته . وقال بعضهم ويتنفس ثم أنهم يرضون العوام بقولهم لا كما يعقل وقد أخذوا بالظواهر في الأسماء والإضافات فسموا الصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله سبحانه وتعالى ولا إلى إلغاء ما توجبه الظواهر من سمات الحدث ولم يقنعوا أن يقولوا صفة فعل حتى

قالوا صفة ذات ثم لمـــا أثبتوا أنهـــا صفـــات قالوا لا نحملها على ما توجبه اللغة مثل اليد على النعمة أو القدرة ولا المجئ على معنى البر واللطف ولا الساق على الشدة ونحو ذلك بل قالوا نحملها على ظواهرها المتعارفة والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين والشئ إنما يحمل على حقيقته إذا أمكن فإن صرف صارف حمـــل علـــى المجاز وهم يتحرجون من التشبيه ويـــأنفون مـــن إضـــافته إلـــيهم ويقولون نحن أهل السنة وكلامهم صريح في التشبيه وقـــد تـــبعهم خلق من العوام على ذلك لجهلهم ونقص عقولهم وكفروا تقليداً وقـــد نصحت للتابع والمتبوع ثم أقول لهم على وجه التوبيخ يا أصـــحابنا أنتم أصحاب نقل وأتباع وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل يقول (كيف أقول ما لم يقل) هل بلغكم أنه قال إن الاستواء من صـــفة الـــذات المقدسة أو صفة الفعل فمن أين أقدمتم على هذه الأشـــياء وهـــذا كلـــه ابتـــداع قبيح بمن ينكر البدعة ثم قلتم أن الأحاديـــث تحمـــل ظاهرها . وظـــاهر القـــدم الجارحة وإنما يقـــال تمر كما جـــاءت ولا تقاس بشئ فمن قـــال اســـتوى بذاتـــه فقد أجـــراه مجـــرى الحسـيات وذلـك عـــين التشبـــيه فاصـــرفـــوا بالعقـــول الصحيحة عنـــه سبحانـــه وتعالـــى ما لا يليـــق بـــه من تشبـــيه أو تجســـيم وأمـــروا الأحـــاديث كما جاءت مـــن غـــير زيـــادة ولا نقص فلـــو أنكـــم قلتـــم نقـــرأ الأحـــاديث ونسكت لمـــا أنكر عليكم أحـــد ولا تدخلـــوا في مذهب هـــذا الرجـــل الصالح السلفي أعنى الإمـــام أحمد ما لـــيس منه فلقـــد كســـوتم هـــذا المـــذهب شيناً قبيحاً حتى لا يقـــال عـــن حنبـلى إلا مجســـم ثـــم زينـــتم مذهبكم بالعصبـــية لـــيزيد وقـــد علمتم أن صـــاحـــب المذهـــب

أجاز لعنته وقد كان أبو محمد التميمي يقول في بعض أئمتكم لقد شان المذهب شيناً قبيحاً لا يغسل إلى يوم القيامة فالحاصل من كلام ابن حامد والقاضي وابن الزاغوني من التشبيه والصفات التي لا تليق بجناب الحق سبحانه وتعالى هي نزعة سامرية في التجسيم ونزعة يهودية في التشبيه وكذا نزعة نصرانية فإنه لما قيل عن عيسى عليه السلام أنه روح الله سبحانه وتعالى اعتقدت النصارى أن لله صفة هي روح ولجت في مريم عليها السلام وهؤلاء وقع لهم الغلط من سوء فهمهم وما ذاك إلا أنهم سموا الأخبار أخبار صفات وإنما هي إضافات وليس كل مضاف صفة فإنه سبحانه وتعالى قال : ﴿ **ونفخت فيه من روحي** ﴾ وليس لله صفة تسمى روحاً فقد ابتدع من سمى المضاف صفة ونادى على نفسه بالجهل وسوء الفهم ثم أنهم في مواضع يؤولون بالتشهي وفي مواضع أغراضهم الفاسدة يجرون الأحاديث على مقتضى العرف والحس ويقولون ينزل بذاته وينتقل ويتحرك ويجلس على العرش بذاته ثم يقولون لا كما يعقل يغالطون بذلك من يسمع من عامي وسيئ الفهم وذلك عين التناقض ومكابرة في الحس والعقل لأنه كلام متهافت يدفع آخره أوله وأوله آخره وفي كلامهم (ننزهه غير أننا لا ننفي عنه حقيقة النزول) وهذا كلام من لا يعقل ما يقول ومثل قول بعضهم المفهوم من قوله : ﴿ **هو الله الحي القيوم** ﴾ . في حقه هو المفهوم في حقنا إلا أنه ليس كمثله

شئ فأنظر أرشدك الله كيف حكم بالتشبيه المساوى ثم عقبه بهذا التناقض الصريح وهذا لا يرضى أن يقوله من له أدنى رؤية ولهم من مثل هذه التناقضات ما لا يحصى من التناقض الواضح في دعواهم في قوله تعالى : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ . أنه مستقر على العرش مع قولهم في قوله تعالى : ﴿ **أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ** ﴾ . إن من قال إنه ليس في السماء فهو كافر ومن المحال أن يكون الشئ الواحد في حيزين في آن واحد وفي زمن واحد ومن المعلوم أن في للظرفية ويلزم أنه سبحانه وتعالى مظروف تعالى عن ذلك وفي البخارى من حديث أنس أنه عليه الصلاة والسلام رأى نخامة في القبلة فشق ذلك عليه حتى رؤى في وجهه فقام فحكها بيده فقال إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه أو إن ربه بينه وبين القبلة وفيه من حديث ابن عمر رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام رأى نخامة في جدار القبلة فحكها ثم أقبل على الناس فقال إذا كان أحدكم يصلى فلا يبصق قبل وجهه فإن الله قبل وجهه إذا صلى . وفى صحيح مسلم وغيره من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام رأى نخامة في القبلة فقال ما بال أحدكم يستقبل ربه أمامه أيحب أحدكم أن يستقبل فيتنخع في وجهه . وفي الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : (يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم أنكم ليس تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم ، وفى رواية

والذى تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته) وفي الصحيح : (أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى) وحديث المريض أما لوعدته لوجدتنى عنده . وقال تعالى : ﴿ **وناديناه من جانب الطور الأيمن** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **نودى من شاطئ الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله رب العالمين** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ . وفي الترمذى من حديث العنان وفيه ذكر الأرضين السبع وأن بين كل أرض والأخرى كما بين السماء والأرض ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : (والذى نفسى بيده لو دلى أحدكم بحبل لوقع على الله سبحانه وتعالى) ومثل هذه الأدلة كثير وكلها قاضية بالكون السفلى دون العلوى واعلم أن الاستواء في اللغة على وجود وأصله افتعال من السواء ومعناه أى السواء العدل والوسط وله وجوه في الاستعمال منها الاعتدال . قال بعض بنى تميم : استوى ظالم العشيرة والمظلوم أى اعتدلا ومنها إتمام الشئ ومنه قوله تعالى : ﴿ **ولما بلغ أشده واستوى** ﴾ . ومنها القصد إلى الشئ ومنه قوله تعالى : ﴿ **ثم استوى إلى السماء** ﴾ . أى قصد خلقها ومنها الاستيلاء على الشئ ومنه قول الشاعر :

ثم استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

وقال آخر :

إذا ما غزا قوماً أباح حريمهم   وأضحى على ما ملكوه قد استوى

ومنها بمعنى استقر ومنه قوله تعالى : ﴿ **واستوت على الجودى** ﴾ . وهذه صفة المخلوق الحادث كقوله تعالى : ﴿ **وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره** ﴾ . وهو نزه نفسه سبحانه عن ذلك في كتابه العزيز في غير ما موضع . وقطع المادة في ذلك أن المسألة علمية وكفى الله المؤمنين القتال والجدال . قال أبو الفرج بن الجوزى وجميع السلف على إمرار هذه الآية كما جاءت من غير تفسير ولا تأويل . قال عبد الله ابن وهب كنا عند مالك ابن أنس ودخل رجل فقال يا أبا عبد الله ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ كيف استواؤه فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع . وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه فأخرج . كان ابن حامد يقول المراد بالاستواء القعود وزاد بعضهم استوى على العرش بذاته فزاد هذه الزيادة وهي جرأة على الله بما لم يقل . قال أبو الفرج وقد ذهب طائفة من أصحابنا إلى أن الله عز وجل على عرشه ما ملأه وأنه يقعد نبيه معه على العرش . ثم قال والعجب من قول هذا ما نحن مجسمة وهو تشبيه محض تعالى الله عز وجل عن المحل والحيز لاستغنائه عنهما ولأن ذلك مستحيل في حقه عز وجل ولأن المحل والحيز من لوازم الأجرام ولا نزاع في ذلك وهو سبحانه وتعالى منزه عن ذلك لأن الأجرام من صفات الحدث وهو عز وجل منزه عن ذلك شرعاً وعقلاً بل هو أزلى لم يسبق بعدم بخلاف الحادث . ومن المعلوم أن الاستواء إذا كان بمعنى الاستقرار والقعود لابد فيه من المماسة . والمماسة إنما تقع بين

جسمين أو جرمين والقائل بهذا شبه وجسم ما أبقى في التجسيم والتشبيه بقية كما أبطل دلالة ﴿ **ليس كمثله شئ** ﴾ . ومن المعلوم في قوله تعالى : ﴿ **لتستووا على ظهوره** ﴾ أنه الاستقرار على الأنعام والسفن ذلك من صفات الآدميين فمن جعل الاستواء على العرش بمعنى الاستقرار والتمكن فقد ساوى بينه عز وجل وبين خلقه وذلك من الأمور الواضحة التى لا يقف في تصورها بليد فضلاً عمن هو حسن التصور جيد الفهم والذوق وحينئذ فلا يقف في تكذيبه ﴿ **ليس كمثله شئ** ﴾ وذلك كفر محقق . ثم من المعلوم أن الاستواء من الألفاظ الموضوعة بالاشتراك وهو من قبيل المجمل فدعواه أنه بمعنى الاستقرار في غاية الجهل لجعله المشترك دليلاً على أحد أقسامه خاصة فالحمار مع بلادته لا يرضى لنفسه أن يكون ضحكة لجعله القسم قسيماً فمن تأمل هؤلاء الحمقى وجدهم على جهل مركب يحتجون بالأدلة المجملة التى لا دليل فيها قطعاً عند أهل العلم ويتركون الأدلة التى ظاهرها في غاية الظهور في الدليل على خلاف دعواهم بل بعضها نصوص كما قدمته في حديث النخامة وغيرها فتنبه لذلك لتبقى على بصيرة من جهل أولئك . ومن المعلوم أنه عز وجل واجب الوجود كان ولا زمان ولا مكان وهما أعني الزمان والمكان مخلوقان وبالضرورة أن من هو في مكان فهو مقهور محاط به ويكون مقدراً ومحدوداً وهو سبحانه وتعالى منزه عن التقدير والتحديد وعن أن يحويه شئ أو يحدث له صفة تعالى الله عما يصفون وعما يقولون علواً كبيراً . فإن قيل ففى الصحيحين من حديث شريك بن أبى نمر عن أنس رضى الله عنه أنه ذكر المعراج

وفيه فعلا بى الجبار تعالى فقال وهــو في مكانه يا رب خفف عنا (**الحديث**) فالجواب أن الحافظ أبا سليمان الخطابى قــال أن هــذه لفظة تفرد بها شريك ولم يذكرها غيره وهو كثير التفــرد بمنــاكير الألفاظ والمكان لا يضاف إلى الله سبحانه وتعالى إنما هــو مكــان النبى ﷺ ومقامه الأول الذى أقيم فيه وفي الحديث : (فأستأذن على ربى وهو في داره) يوهم مكاناً وإنما المعنى في داره التى دورها لأوليائه وقد قال القاضى أبو يعلى في كتابــه (**المعتمــد**) أن الله سبحانه وتعالى وتقدس لا يوصف بمكان فإن قيل يلزم من كلامكــم نفى الجهات ونفيها يحيل وجوده فالجواب أن هذا السؤال ساقط فيه تمويه على الأغبياء يجرون الجهات المتعلقة بالآدميين بالنسبة إلــى الله عز وجل عن ذلك . وأيضاً إن كان الموجود يقبــل الاتصــال والانفصال فمسلم فأما إذا لم يقبلهما فليس خلوه من طرفــى ســوى النقيض بمحال ويوضح هذا انك لو قلت كل موجــود لا يخلــو أن يكون عالماً أو جاهلاً قلنا : إن كان ذلك الموجود يقبل الضدين فنعم فأما إذا لم يقبلهما كالحائط مثلاً فإنه لا يقبل العلم ولا الجهل ونحــن ننزه الذى ليس كمثله شئ سبحانه وتعالى كما نــزه نفسه عن كــل ما يدل على الحدث وما ليس كمثله شئ لا يتصوره وهم ولا يتخيله خيال والتصور والخيال إنما هما من نتائج المحسوسات والمخلوقات تعالى عن ذلك ومن هنا وقع الغلط واستدراج العدو فأهلك خلقاً وقد تنبه خلق لهذه الغائلة فسلموا وصرفوا عنه عقــولهم إلــى تنزيهــه سبحانه وتعالى فسلموا . ومن الأحاديث التى يحتجون بهــا حــديث عبد الرحمن ابن عائش عن النبى ﷺ أنه قال : (رأيت ربى فــي أحسن صورة فقال لى فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد ؟ قلت أنت

أعلم يارب فوضع كفيه بين كتفى فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات وما في الأرض) وهذا الحديث قال الإمام أحمد فيه أن طرقه مضطربة وقال الدارقطني كل أسانيده مضطربة ليس فيها صحيح وقال البيهقى روى من أوجه كلها ضعيفة وأحسن طرقة يدل على أن ذلك كان في النوم ويدل على ذلك أنه روى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : (أتاني آت في أحسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت لا أدرى فوضع كفيه بين كتفى فوجدت بردها بين ثديي فعرفتُ كل شئ يسألنى عنه) وروى من حديث ثوبان رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ بعد صلاة الصبح فقال : (إن ربى أتانى الليلة في أحسن صورة فقال لى يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت لا أعلم يا رب فوضع كفه بين كتفى حتى وجدت برد أنامله في صدرى فتجلى لى ما بين السماء والأرض) وروى من وجوه كثيرة فهى أحاديث مختلفة وليس فيها ما يثبت مع أن عبد الرحمن لم يسمعه من النبى ﷺ وعلى وجه التنزل فالمعنى راجع إلى رسول الله ﷺ . فالمعنى رأيته على أحسن صفاته أى من الإقبال والرضا ونحو ذلك . لأن الصورة يعبر بها ويراد الصفة كما في الحديث خلق الله آدم على صورته تقول هذه صورة هذا الأمر أى صفته فيكون المعنى خلق الله آدم على صفته من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والإرادة مع أن هذا الحديث فيه علل منها : أن الثورى والأعمش كان يدلس ولم يذكر أنه سمع الحديث من حبيب بن أبى ثابت ومنها أن حبيباً كان يدلس ولم يعلم أنه سمعه من عطاء وهذا كله يوجب وهنا في الحديث ومع ذلك

فالضمير يصح . عودة إلى آدم عليه السلام فالمعنى أن الله عز وجل خلق آدم على صورته التى خلقه عليها تاماً لم ينقله من نطفة إلى علقة كبنيه . قال الإمام أبو سليمان الخطابى وذكره تغلب في أماليه وقيل أن الضمير يعود إلى بعض بنى آدم وخلق من العلماء سكتوا عن تفسير هذا الحديث فالمشبه لا متمسك له بهذه الأحاديث لما ذكرناه وتمسكه بها يدل على جهله وزندقته عافانا الله عز وجل من ذلك ومن ذلك حديث القدم (لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه) الحديث . وهذا يرجع إلى المحكم قال الله تعالى : ﴿ **وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم** ﴾ . وقال الحسن البصرى القدم في الحديث هم الذين قدمهم الله من شرار خلقه وأثبتهم لها . وقال البيهقى عن النضر ابن شميل القدم هنا الكفار الذين سبق في علم الله أنهم من أهل النار . وقال الأزهرى القدم الذين تقدم القول بتخليدهم في النار وقال ابن الأعرابى القدم المتقدم وكل قادم عليها يسمى قدماً والقدم حمع قادم كما يقال عينب وعايب وروى الدارقطنى حتى يضع قدمه أو رجله وفي هذه دلالة على تغيير الرواية بالظن مع أن الرجل في اللغة هى الجماعة ألا تراهم يقولون رجل من جراد فيكون المعنى يدخلها جماعة يشبهون الجراد في الكثرة (**قال ابن عقيل**) تعالى الله أن يكون له صفة تشغل الأمكنة وهذا عين التجسيم وليس الحق بذى أجزاء وأبعاض فما أسخف هذا الاعتقاد وأبعده عن المكون تعالى الله عن تخايل الجسمية وذكر كلاماً مطولاً بالغاً في التنزيه وتعظيم الله تعالى وقد تمسك بهذا الحديث ابن حامد المشبه فأثبت لله سبحانه وتعالى

صفات وزاد فروى من حديث ابن عباس رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال (لما أسرى بى رأيت الرحمن على صورة شاب أمرد نور يتلألأ وقد نهيت عن صفته لكم فسألت ربى أن يكرمني برؤيته فإذا كأنه عروس حين كشف عنه حجابه مستو على عرشه) وهذا من وضعه وافترائه وجرأته على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ ومن أعظم فرية ممن شبه الله عز وجل بأمرد وعروس وكان بعض أئمة الحنابلة يتوجع ويقول ليت ابن حامد هذا ومن ضاهاه لم ينسبوا إلى أنهم من أتباع الإمام أحمد فقد ادخلوا بأقوالهم المفتراة الشين على المذهب والتعرض إلى الإمام أحمد بالتشبيه والتجسيم وحاشاه من ذلك بل هو من أعظم المنزهة لله عز وجل وقد خاب من افترى وقال بعض أئمة الحنابلة المنزهين من أثبت لله تعالى هذه الصفات بالمعنى المحسوس فما عنده من الإسلام خبر تقدس الله عز وجل عما يقولون علواً كبيراً وخوضهم في ذلك كلام من لا يعرف الله عز وجل وكذا خوضهم في الأحاديث خوض من لا يعرف كلام الله تعالى ولا كلام أهل اللغة فيجرونها على المتعارف عند الخلق فيقعون في الكفر ونوضح ذلك إيضاحاً مبيناً يدركه أبلد العوام فضلاً عن أذكياء الطلبة والعلماء الأخيار الذين جعل الله عز وجل قلوبهم معادن المعاني المرادة وكنوزها فمن ذلك ما في الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه في حديث الضيف وفيه (لقد عجب الله من صنيعكما الليلة) وفي أفراد البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : عجب ربك من قوم جئ بهم في السلاسل حتى يدخلهم الجنة . قال ابن الأنبارى معنى عجب ربك زادهم إنعاماً وإحساناً فعبر بالعجب

عن ذلك . قال الأئمة لأن العجب إنما يكون من شئ يدهم الإنسان فيستعظمه مما لا يعلمه وذلك إنما يكون في المخلوق وأما الخالق فلا يليق به ذلك فمعناه عظم قدر ذلك الشئ عنده لأن المتعجب من الشئ يعظم قدره عنده فالمعنى في حديث الضيف عظم قدره وقدر زوجته عنده حتى نوه بذكرهما في أعظم كتبه وعظم قدر المجئ بهم في السلاسل حتى أدخلهم الجنة وجعلهم من أوليائه وأنصار دينه ومن ذلك حديث : (لله أفرح بتوبة عبده) ومعناه أرضى بها ومنه[1] قوله : ﴿ **كل حزب بما لديهم فرحون** ﴾ أى رضوان ونحو ذلك مما هو كثير في القرآن وكذا الأحاديث ومنها حديث النزول وهو في الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له) إلى آخره وهذا الحديث رواه عشرون نفساً من الصحابة رضى الله عنهم وقد تقدم أنه يستحيل على الله عز وجل الحركة والتنقل والتغير لأن ذلك من صفات الحدث فمن قال ذلك في حقه تعالى فقد ألحقه بالمخلوق وذلك كفر صريح لمخالفة القرآن في تنزيهه لنفسه سبحانه وتعالى ومن العجب العجيب أن يقرأ أحدهم قوله تعالى : ﴿ **وأنزلنا الحديد** ﴾ مع أن معدنه في الأرض وقوله تعالى : ﴿ **وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج** ﴾ فيا لله العجب من شخص لم يعرف نزول الجمل كيف يتكلم في تفصيلها وقد قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **قد أنزل الله إليكم ذكراً** ﴾ فنسب الإنزال إلى هاتين الغايتين إليه سبحانه وتعالى ، وقد قال

---

(١) أى من هذا الاستعمال ا هـ مصححه

تعالى : ﴿ **من يضلل الله** ﴾ أى ببدعته ﴿ **فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون** ﴾ والعمه في البصيرة كما أن العمى في البصر والعمه في البصيرة كما الهلكة أعاذنا الله من ذلك وروى أبو عيسى الترمذى عن مالك ابن أنس وسفيان ابن عيينه وابن المبارك أنهم قالوا أمروا هذه الأحاديث بلا كيف قال الأئمة فواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة والحركة فإن النزول الذى هو انتقال من مكان إلى آخر يفتقر إلى الجسمية والمكان العالى والمكان السافل ضرورة كما في قوله تعالى : ﴿ **يخافون ربهم من فوقهم** ﴾ فإن الفوقية باعتبار المكان لا تكون بالضرورة إلا في الأجرام والأجسام مركبة كانت أو بسيطة والرب سبحانه وتعالى منزه عن ذلك إذ هو من صفات الحدث وقال ابن حامد الراسم نفسه بالحنبلى هو فوق العرش بذاته وينزل من مكانه الذى هو فيه فينزل وينتقل ولما سمع تلميذه القاضى منه هذا استبشعه فقال النزول صفة ذاتية ولا نقول نزوله انتقال أراد أن يغالط الأغبياء بذلك . وقال غيره يتحرك إذا نزل وحكوا هذه المقالة عن الإمام أحمد فجوراً منهم بل هو كذب محض على هذا السيد الجليل السلفى المنزه فإن النزول إذا كان صفة لذاته لزم تجددها كل ليلة وتعددها والإجماع منعقد على أن صفاته قديمة فلا تجدد ولا تعدد تعالى الله عما يصفون وقد بالغ في الكفر من الحق صفة الحق

بالخلق وأدرج نفسه في جريدة السامرة واليهود الذين هم أشد عداوة للذين آمنوا . ومنها حديث الأصابع وهو في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال جاء حبر إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد إن الله يضع السماء على إصبع ، والجبال على إصبع ، والشجر على إصبع ، والأنهار على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، وفي لفظ والماء والثرى على إصبع ، ثم يهزمن فضحك رسول الله ﷺ وقال : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾ . وفي لفظ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجباً وتصديقاً له . قال الأئمة ومنهم أبو سليمان الخطابى لا نثبت لله صفة إلا بالكتاب أو خبر مقطوع بصحته مستند إلى أصل في الكتاب أو السنة المقطوع بصحتها(١) وما كان بخلاف ذلك فالواجب التوقف عن إطلاق ذلك ويتأول على ما يليق بمعانى الأصول المتفق عليها من أقوال أهل العلم مع نفى التشبيه . وقال غيره قد نفى الله تعالى التشبيه عنه في قوله تعالى : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾ . ﴿ **والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى** ﴾ دفعاً لما يتبادر إليه الفهم باعتبار المحسوسات . (**قال الأئمة**) معناه ما عرفوه حق معرفته وقال المبرد ما عظموه حق عظمته وقبضة الله عز وجل عبارة عن قدرته وإحاطته بجميع مخلوقاته واليمين في كلام العرب بمعنى الملك والقدرة كما قال تعالى : ﴿ **لأخذنا منه باليمين** ﴾ أى بالقوة والقدرة وأشعار العرب في ذلك أكثر جداً من أن تذكر وأشهر من أن تنشد وتبرز وتظهر وفي الحديث : (الحجر

---

(١) لو لاحظ المتكلمون في هذه المواضيع هذا الأصل لاستراحوا وأراحوا ا هـ مصححه

الأسود يمين الله تعالى) وقال تعالى : ﴿ **يد الله فوق أيديهم** ﴾ وقال أبو الوفاء بن عقيل من أصحاب الإمام أحمد ﴿ **ما قدروا الله حق قدره** ﴾ إذ جعلوا صفاته تتساعد وتتعاضد على حمل مخلوقاته وإنما ذكر الشرك في الآية رداً عليهم وفي معنى هذا الحديث قوله عليه الصلاة والسلام : (إن قلوب بنى آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء) وفي ذلك إشارة إلى أن القلوب مقهورة لمقلبها . قال الخطابى واليهود مشبهة ونزول الآية دليل على إنكار الرسول ﷺ عليهم ولهذا ضحك عليه الصلاة والسلام على وجه الإنكار وليس معنى الأصابع معنى الجارحة لعدم ثبوته بل يطلق الاسم في ذلك على ما جاء به الكتاب من غير تكييف ولا تشبيه . وقال غيره من حمل الأصابع على الجارحة فقد رد على الله سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ **سبحانه** ﴾ وأدخل نفسه في أهل الشرك لقوله تعالى : ﴿ **سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ وهو عز وجل يذكر في كتابه المبين التحرس عما لا يليق دفعاً ورداً لأعدائه كقوله تعالى : ﴿ **وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه** ﴾ ونحو ذلك وأكد من ذلك قوله : ﴿ **وأنه تعالى جدربنا ما اتخذ صاحبه ولا ولدا** ﴾ قدم تنزيهه عز وجل أولاً في هذه الآية والقرآن طافح بذلك ومنها ما رواه الشيخان من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : (لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش أن رحمتي غلبت غضبى) وفي لفظ سبقت قال القاضى المشبه تلميذ ابن حامد ظاهر قوله عنده القرب من الذات وما قاله يستدعى القرب والمساحة وذلك من صفات

الأجسام وقد عمي عن قوله تعالى : ﴿ **مسومة عند ربك** ﴾ ومن المعلوم أنك تقول عندى فوق الغرفة كتاب كذا وهو في موضع شاسع نازل عن الغرفة بمسافة بعيدة ثم أن هذا القاضى روى عن الشعبى أنه قال أن الله قد ملأ العرش حتى أنه له أطيطاً كأطيط الرحل وهو كذب على الشعبى وقال بعضهم ثم استوى على العرش قعد عليه . وقال ابن الزغوانى خرج عن الاستواء بأربع أصابع ولهم ولأتباعهم مثل ذلك خبائث كلها صريحة في التشبيه والتجسيم لاسيما في مسألة الاستواء وهو سبحانه وتعالى متنزه عما لا يليق به من صفات الحدث ثم إن هؤلاء الجمادات وأعالى الجهلة يلزمهم أن يقولوا في الحديث الذى رواه مسلم وغيره ما لم يمكن القول به من أجهل الناس : (ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها) الخ وبالضرورة لا يكون سبحانه جارحة لعبده ومع هذا يلزم التعدد بحسب المتقربين والتجزئة والتفرقة وغير ذلك مما لا يقوله حمار بل ولا جماد تعالى الله وتقدس عن ذلك . قال ابن الجوزى وهؤلاء وأتباعهم جهلوا معرفة ما يجوز على الله وما يستحيل عليه ومن أعجب ما رأيت لهم ما ذكروا عن ابن أبى شيبه أنه قال في كتاب العرش أن الله قد أخبرنا أنه صار من الأرض إلى السماء ، ومن السماء إلى العرش ، فاستوى على العرش . ثم قال ونبرأ من أقوام شانوا مذهبنا فعابنا الناس بكلامهم ولو فهموا أن الله سبحانه وتعالى لا يوصف بما يوصف به الخلق لما بنوا أمورهم وقواعدهم على المحسوسات التى بها المساواة بينه وبين خلقه وفي ذلك تكذيبه

في تنزيهه وتقديسه نفسه عز وجل وقال أبو الوفاء بن عقيل تحسب الجهلة أن الكمال في نسبة النقائص إليه فيما نزه نفسه عنه عز وجل والذى أوقعهم في ذلك القياس المظنون وكيف يكون له حكم الدليل وقد قضى عليه دليل العقل بالرد قال أبو الفرج ابن الجوزى : والناس في أخبار الصفات على ثلاث مراتب : **أحدها** إمرارها على ما جاءت من غير تفسير ولا تأويل إلا أن تقع ضرورة كقوله تعالى : ﴿ **وجاء ربك** ﴾ أى جاء أمره (وهذا مذهب السلف) . **المرتبة الثانية** التأويل وهو مقام خطر . **المرتبة الثالثة** القول فيها بمقتضى الحس وقد علم جهله الناقلين إذ ليس لهم علوم المعقولات التى بها يعرف ما يجوز على الله عز وجل وما يستحيل فإن علم المعقولات يصرف ظواهر المنقولات عن التشبيه فإذا عدموها تصرفوا في النقل بمقتضى الحس ولو فهموا أن الله عز وجل لا يوصف بحركة ولا انتقال ولا جارحة ولا تغير لما بقوا على الحسيات التى فيها عين التشبيه وهو كفر بالقرآن أعاذنا الله من ذلك ولا شك أن مذهب السكوت أسلم وقد ندم خلق من أكابر المتكلمين على الخوض في ذلك . قال أبو المعالى الجوينى في آخر عمره : (خليت أهل الإسلام وعلومهم وركبت البحر الأعظم وغصت في الذى نهوا عنه والآن رجعت إلى قولهم عليكم بدين العجائز فإن لم يدركنى الحق بلطفه وأموت على دين العجائز وإلا فالويل لابن الجوينى) قال أبو الوفاء بن عقيل معنى دين العجائز أن المدققين بالغوا في البحث والنظر ولم يشهدوا ما يشفى العقل من التعليل فوقفوا مع المراسم واستطرحوا وقالوا لا ندرى وسُئل الإمام أحمد قدس الله روحه عن الاستواء فقال : (هو كما

أخبر لا كما يخطر بالبشر) فانظر وفقك الله وأرشدك إلى الحق إلى هذه العبارة ما أرشقها وعلى أتباعه ما أشققها[١] اعتقاد قويم ومنهاج سليم قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزى واسمه عبد الرحمن ابن على لما رأى الحساد للإمام أحمد ما حصل له من الرفعة ونفاسة مذهبه لتشييده بالكتاب والسنة انتموا إلى مذهبه ليدخلوا عليه النقص والخلل وصرف الناس عنه حسداً من أنفسهم فصرحوا بالتشبيه والتجسيم ولم يستحيوا من الخبير العليم . ونسبوه إليه افتراء عليه ومن نظمه في ذلك :

ولما نظرت في المذاهب كلها   طلبت الأسد في الصواب وما أغلو
فألفيت عند السير قول ابن حنبل   يزيد على كل المذاهب بل يعلو
وكل الذى قد قاله فمشيد   بنقل صحيح والحديث هو الأصل
وكان بنقل العلم أعرف من روى   يقوم[٢]
ومذهبه أن لا يشبه ربه   ويتبع في التسليم من قد مضى قبل

يشير إلى صاحبه الإمام الشافعي وغيره من علماء السلف كما أذكر :

فقام له الحساد من كل جانب   فقام على رجل الثبات وهم زلوا
وكان له أتباع صدق تتابعوا   فكم أرشدوا نحو الهدى ولكم دلوا
وجاءك قوم يدعون تمذهبا   بمذهبه ما كل زرع له أكل
ومالوا إلى التشبيه أخذا بصورة ال   ذى نقلوه في الصافت وهم غفل
وقالوا الذى قلناه مذهب أحمد   فمال إلى تصديقهم من به جهل

---

(١) لعله ما أشقها بحذف إحدى القافين أو بإبدال أحداهما فاء ا هـ مصححه

(٢) هكذا بياض بالأصل ويصح أن يتمم بنحو قولنا : إذا نام السوى وبه يخلو ا هـ مصححه

فصار الأعادى قائلين لكلنا   مشبهة قد ضرنا الصحب والخل
فقد فضحوا ذاك الإمام لجهلهم   ومذهبه التنزيه لكن هم اختلوا
لعمرى لقد أدركت منهم مشايخاً   وأكثر ما أدركته ماله عقل

وحذفت أبياتاً من هذه القصيدة لأنى في هذه الورقات على سبيل الاقتصاد والرمز إلى منهج الحق والرشاد (**وسئل الإمام**) الشافعى قدس الله روحه عن الاستواء فقال : (آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل واتهمت نفسي في الإدراك وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك) وهذا شأن الأئمة يمسكون أعنة الخوض في هذا الشأن مع أنهم أعلم الناس به ولا يخوض فيه إلا أجهل الناس به (**وسئل**) الإمام أبو حنيفة قدس الله روحه عن ذلك فقال : (من قال لا أعرف الله أفى السماء أم في الأرض فقد كفر لأن هذا القول يؤذن ، أن لله سبحانه وتعالى مكاناً ومن توهم أن لله مكاناً فهو مشبه) (**وسئل**) الإمام مالك عن الاستواء فقال : (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة) فنفى العلم بالكيف فمن استدل بكلامه على أنه سبحانه وتعالى فوق عرشه فهو لجهله وسوء فهمه ، وقال الإمام مالك عند قوله : (فلا تضربوا لله الأمثال) من وصف شيئاً من ذاته سبحانه وتعالى مثل قوله تعالى : ﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم** ﴾ فأشار بيده إلى عنقه قطعت وكذا السمع والبصر يقطع ذلك منه لأنه شبه الله بنفسه ، وقال مالك رضى الله عنه : (الاستواء معلوم) يعنى عند أهل اللغة وقوله : (والكيف مجهول) أى بالنسبة إلى الله عز وجل لأن الكيف من صفات الحدث وكل ما كان من صفات الحدث فالله عز وجل منزه عنه

فإثباته لــه سبحانه كفر محقق عند جميع أهـل السـنة والجماعـة وقولــه : (والإيمان به واجب) أى على الوجه اللائــق بعظمتــه وكبريائه وقولــه : (والسؤال عنه بدعة) لأن الصحابة رضى الله عنهم كانوا عالمين به وبمعناه اللائق بحسب اللغة فلم يحتاجوا إلــى السؤال عنه فلما ذهب العالمون به وحدث ما لم يعلم أوضاع لغتهم ولا له نور كنورهم شرع يسأل الجهلة بما يجوز على الله عز وجل وفرح بذلك أهل الزيغ فشرعوا يدخلون الشبه على النــاس ولــذلك تعين على أهل العلم أن يبينوا للناس وأن لا يهملوا البيان لقولــه تعالى : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتــوا الكتاب لتبيننه للنــاس ولا تكتمونه** ﴾ فهذه[١] الأئمة التى[٢] مدار الأمة عليهم في ديــنهم متفقون في العقيدة فمن زعم أن بينهم اختلافاً في ذلك فقــد افتــرى على أئمة الإسلام والمسلمين والله حسبه وسيجزى الله المفتــرين . وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أنــه عليــه الصلاة والسلام قــال : (من فارق الجماعة شــبراً فمــات ميتــة جاهلية) وقال عليه الصلاة والسلام : (إن الشيطان ذئب الإنســان كذئب الغنم يأخذ القاصية والنافرة والشاذة إياكم والشعاب وعلــيكم بالعامة والجماعة والمساجد) رواه الطبرانى وغيره مــن حــديث معاذ رضى الله عنه ورواه الإمام أحمد ورجاله ثقات وسئل الإمــام أحمد عن الشافعى فقال : (ما الذى أقول فيه وهو الذى أخرج من قشور التشبيه لبابها ، واطلــع على معارفها وأربابها وجمع مذهبه أكنافهــا وأطنابها ، فالمحدثون صيادلــــة والشــافعي طبيــبهم ،

---

(١) لعله فهؤلاء ا هـ مصححه
(٢) لعله الذين ا هـ مصححه

والفقهاء أكابر والشافعي كبيرهم ، وما وضع أحد قلمه في محبرة إلا وللشافعى عليه منة) وكان كثير الدعاء للشافعي . قال له ابنه عبد الله أى شئ كان الشافعى فإنى أسمعك تكثر الدعاء له قال : (يا بنى كان الشافعى كالشمس للدنيا ، وكالعافية للناس ، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض) وسئل بعض أئمة السلف عن قوله تعالى : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ فقال : (الرحمن جل وعلا لم يزل والعرش محدث بالرحمن استوى ثم قال كل ما ميزتموه بأذهانكم وأدركتموه في أتم عقولكم فهو مصروف إليكم ومردود عليكم محدث ومصنوع مثلكم لأن حقيقته عالية عن أن تلحقه عبارة أو يدركه وهم أو يحيط به علم كلا كيف يحيط به علم وقد اتفق فيه الأضداد بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** ﴾ أى عبارة تخبر عنه : حقيقة الألفاظ كلام : قصرت عنه العبارات : وخرست عنه الألسنة بقوله : ﴿ **ليس كمثله شئ** ﴾ تعالى الله وتقدس عن المجانسة والمماثلة) . قال ابن عباس رضى الله عنهما في هذه الآية معناها ليس له نظير ، وقال أهل التحقيق ذكر العرش إظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته إذ الذات ممتنعة عن الإحاطة بها والوقوف عليها كما أشار إلى ذلك في قوله تعالى :﴿ **الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم** ﴾ فسبحانه هو المنزه عن الشبيه القدوس المبرأ عن الآفات : والمسبح بجميع اللغات : السلام السالم من نقائص المخلوقات : الصمد السيد الذى لا يشبهه شئ من المصنوعات والمخلوقات : الغنى عن

الأغيار . تبارك وتعالى عن أن تحويه الجهات : الفرد الذى لا نظير له : المنفرد بصفات الكمال والقدرة : ومن بعض مقدوراته الكرسي والعرش والأرضون والسموات : شهد لنفسه بالوحدانية ونزهها بالآيات البينات فصفاته لا يوصف بها غيره : ومن تعرض لذلك فقد طعن في كلامه : وضاهى أهل العناد فاستوجب اللعن وأشد العقوبات : قال البغداديون في قوله تعالى : ﴿ **بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون** ﴾ كل صنع صنعه ولا علة لصنعته ليس لذاته مكان لأنه قبل الكون والمكان : وأوجد الأكوان بقوله كن : أزال العلل عن ذاته بالدرك[١] وبالعبارة عنه وبالإشارة فلا يبلغ أحد شيئاً من كنه معرفته لأنه لا يعلم أحد ما هو إلا هو : حي قيوم لا أول لحياته : ولا أمد لبقائه : احتجب عن العقول والأفهام : كما احتجب عن الأبصار فعجز العقل عن الدرك : والدرك عن الاستنباط : وانتهى المخلوق إلى مثله : وأسنده الطلب إلى شكله ا هـ . وقولهم كل صنع عبروا بالمصدر عن اسم المفعول كقوله تعالى : ﴿ **هذا خلق الله** ﴾ ومن الجهل البين أن يطلب العبد المقهور بكل درك ما لا يدرك : كيف وقد تنزه عن أن يدرك بالحواس أو يتصور بالعقل الحادث والقياس من لا يدركه العقل من جهة التمثيل : ويدركه من جهة الدليل : فكل ما يتوهمه العقل لنفسه فهو جسم وله نهاية في جسمه وجنسه : ونوعه وحركته وسكونه مع ما يلزمه من الحدود والمساحة من الطول

---

(١) قوله بالدرك متعلق بمحذوف فيما يظهر تقديره وأعجز الخلق عن أن يحيطوا به بالدرك الخ والدرك الإدراك ا هـ مصححه

والعرض وغير ذلك من صفات الحدث تعالى عن ذلك فهو الكائن قبل الزمان والمكان ، وهو الأول قبل سوابق العدم : الأبدى بعد لواحق القدم : ليس كذاته ذات : ولا كصفاته صفات . جلت ذاته القديمة التى لم تسبق بعدم أن يكون لها صفة حادثة كما يستحيل أن يكون للذات الحادثة صفة قديمة قال تعالى : ﴿ **أو لا يذكر الإنسان أن خلقناه من قبل ولم يك شيئاً** ﴾ وسأل بعض المخبثين[1] الطوية للإمام العالم العلامة الجامع بين العلوم السنية . والمناهج العلية : يحيى بن معاذ الرازى فقال له أخبرنا عن الله : فقال : إله واحد . فقال له كيف هو . قال : إله قادر . قال فأين هو . قال : بالمرصاد . فقال السائل : لم أسألك عن هذا . فقال : ما كان غير هذا فهو صفة المخلوق . فأما صفته فالذى أخبرتك عنه . فالسائل سأل عن الذات والكيفية فأجابه هذا الحبر بالصفات الجلالية القدسية وهذا أخذه من قصة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون اللعين لما قاله له عليه السلام : ﴿ **إنى رسول رب العالمين** ﴾ فسأله فرعون : ﴿ **وما رب العالمين** ﴾ فقال موسى : ﴿ **رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين** ﴾ فضمن الجواب العدول عما سأل لأنه عدل فيه عن مطابقة السؤال لأن فرعون سأل عن ماهيته سبحانه وتعالى وموسى أجابه عن قدرته وصفاته فجاز له حين خلط في السؤال وأخطأ وسأل عما لا يمكن إدراكه العدول عن سؤاله فقال فرعون : ﴿ **إلا تستمعون** ﴾ أنا أسأله عن شئ فيجيب

---

(١) لعله خبيثى قلخ وقوله للإمام لعل اللام الأولى من تصرفات النساخ وهذا ظننا في كل ما تقدم أو يجئ في هذا الكتاب من الألفاظ التى تخالف اللغة – لأن الإمام الحصنى لجل من أن يخفى عليه مثل ذلك ا هـ مصححه

عن غيره فقال موسى عليه السلام : ﴿ **ربكم ورب آبائكم الأولين** ﴾ فلما قال موسى عليه السلام ذلك استشعر فرعون أنه أخطأ في السؤال فخشى أن يدرك ذلك جلساؤه فقال : ﴿ **إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون** ﴾ رماه بذلك حتى يتخلص ويصير موسى عليه السلام في مقام لا يلتفت إلى قوله ولا يؤخذ به فتأمل أرشدك الله عز وجل وهداك إلى الحق كيف أن ذلك معلوم عند الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرهم عدم العلم بالذات والكيف فلا أجهل ولا أعمى بصيرة ممن فرعون أهدى منه في معرفته بالعجز عن درك ذاته (قال) الإمام الحافظ محمد ابن على الترمذى صاحب التصانيف المشهورة : (من جهل أوصاف العبودية فهو بنعت الربوبية أجهل) وقال أهل التحقيق من أهل السنة والجماعة : (من اعتقد في الله عز وجل ما يليق بطبعه كالعامى فهو مشبه فإنه عز وجل منزه عن كل ما يصفه الآدمى أو يتخيله لأن ذلك من صفات الحدث تعالى وتقدس عن ذلك) فإيمان العامى لضعف علمه وعقله يقبل التشكيك[1] (قال) ابن عباس : سبحانه وتعالى بخلقه يؤمنون به مجملاً ويكفرون به مفصلاً حملهم على ذلك زخرف العدو وإغواؤه رضى الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾ هم الذين شبهوا الله بدسيسة عدم علمهم بغوائل النفس الأمارة بالسوء وعدم تأملهم قوله تعالى : ﴿ **ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم** ﴾ وفى

---

(١) هذا الكلام ليس على عمومه فإن من العامة من يندهش العالم لمبلغ كمال إيمانه بالله عز وجل وقد يصدق ذلك في بعض العوام الذين لم ينشأوا في حجور أهل الدين ولم يختلطوا بهم وهو أندر من الكبريت الأحمر بين طبقات العوام ا هـ مصححه

ذلك إشارة إلى عجز الخليقة أن تدرك بعض صفات ذواتها في ذاتها أو تدرى كيف كنهها في أنفسها بعدم شهودهم خلق السموات والأرض وخلق أنفسها فلم تملك أن تحتوى علم أنفسها في أنفسها فكيف تدرى أو تدرك شيئاً من صفات موجدها من العدم وبارئها ومالكها وقال تعالى : ﴿ **ومن كل شئ خلقنا زوجين** ﴾ ﴿ **سبحان الذى خلق الأزواج كلها** ﴾ وفي ذلك إشارة ظاهرة إلى عجزك عن إدراك كنه بعض المخلوقات على اختلاف ذواتها وصفاتها وفي بعضها ما لا يخطر على قلب بشر فكيف بالخالق الذى نزه نفسه بقوله تعالى : ﴿ **ليس كمثله شئ** ﴾ وهو سبحانه وتعالى مباين لخلقه من كل وجه لا يسعه غيره ولا يحجبه سواه تقدس أن يدركه حادث أو يتخيله وهم أو يتصوره خيال . كل ذلك مُحال فهو الملك القدوس المنزه في ذاته وصفاته عن مشابهة مخلوقاته وأنت من مخلوقاته . ركبك على منوال عجيب . وجعلك في أحسن صورة وأعجب ترتيب مع تنقل تارات من ماء مهين فقال عز وجل ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ الإنسان هنا هو آدم عليه السلام وسلالته لأنه سلة من كل تربة وكان عليه السلام يتكلم بسبعمائة ألف لغة وقوله تعالى ثم جعلناه أى الإنسان نطفة في قرار مكين أى حرز منيع وهو الرحم ثم خلقناه علقة أى دماً فخلقنا العلقة مضغة أى قدر ما يمضغ فخلقنا المضغة عظاماً وبين كل خلقتين أربعون يوماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر وهو نفخ الروح فيه . قاله ابن عباس

ومجاهد والشعبى وغيرهم وقيل نبات الأسنان والشعر قالـــه قتـــادة وقيل ذكراً أو أنثى قاله الحسن وقيل غير ذلك فتبـــارك الله أحســـن الخالقين أى المصورين والمقدرين تنزه سبحانه وتعالى بعـــد ذكـــر هذه الأطوار . المعنى أن من هذه من بعـــض مقدوراتـــه يســـتحق التعظيم والتنزيه لأن هذه التارات والتنقلات إنشاء بعد إنشـــاء فـــي غاية الدلالة على كمال القدرة ووصف الألوهية ثم الإنشاء الآخـــر أن شق الشقوق وخرق الخروق وأخرج العصب وجعـــل العـــروق كالأنهار الجارية وركبها على منوال غريب مع كونه خلقـــاً ســـوياً فأظهر يد القدرة والآيات الظاهرة وكمال الصنع والحكمة البـــاهرة وأودع فيه الروح والحركة والسكون والإدراك والتمييـــز ولغـــات الكلام والعلم والمعرفة والفهم والفطنة والفراسة وغير ذلك مما يليق بهذا النوع الإنسانى الحيوانى إلى غير ذلك مما يطول عده ويعســـر تقديره وحده فتبارك الله أحسن الخالقين . ولو قيل لك أخبرنى عـــن قدر عروقك رقة وثخانة وطولاً وقصراً أو عن حقيقة بعض ما فى باطنك من أى نوع كان لعجزت عن بيان ذلك ولخرست . وأنـــت وجميع هذا النوع الإنسانى نتفة تراب جعله بشراً منتشراً فتعالى الله وتبارك أن يخوض في ذاته وصفاته إلا من عدم الرشاد . وســـلك سبيل الفساد والعناد . وصير نفسه أخس العباد . فمن حقق نظـــره واستعمل فكره وجـــد نفسه أجهـــل الجاهلين بعظمة هـــذا العظـــيم فلا يقدره أحد قدره ولا يعرفه سواه وإن قربـــه وأدناه . فســـبحانه مـــا أثنـــى عليـــه حـــق ثـــنائه غيره ولا وصفه بمـــا يليـــق بـــه ســـواه عجـــز الأنبيـــاء والمرسلون عن ذلك . قال أجـــلهم قـــدراً وأرفعهـــم محـــلاً وأبلغهم نطقاً مع ما أعطى من جوامع الـــكلم :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (تعرض الفتن على القلوب كالحصير فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى يصير عل قلبين على أبيض مثل الصفاة فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخيا لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه) . قال حذيفة رضي الله عنه وحدثته أن بينك وبينها باباً مغلقاً يوشك أن يكسر قال : قال عمر رضي الله عنه أكسر لا أبالك فلو أنه فتح لعله كان يعاد قال : لا بل يكسر وحدثته أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت حديثاً ليس بالأغاليط . قال أبو خالد فقلت لسعيد يا أبا مالك : (ما أسود مربادا) قال : شدة البياض في السواد . قال : قلت فما (الكوز مجخيا) قال : منكوساً فقوله ليس بالأغاليط يعنى أنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والفتن كل أمر كشفه الاختبار عن أمر سوء وأصله في اللغة الاختبار وشبهت بموج البحر لاضطرابها ودفع بعضها ببعض وشدة عظمها وشيوعها . وقوله تعرض الفتن على القلوب أى تلصق بعرض القلوب أى بجانبها كالحصير تلصق بجنب النائم وتؤثر فيه لشدة التصاقها وهذا شأن المشبهة تلصق فتنة التشبيه في قلوبهم وتؤثر وتحسن لعقولهم ذلك حتى يعتقدوا ذلك ديناً وقرباناً من الله عز وجل وما يقنع أحدهم حتى يبقى داعية وحريصاً على[١] افتان من يقدر على إفتانه كما هو مشاهد منهم وإلى مثل ذلك قوله أشربها أى دخلت فيه دخولاً تاماً وألزمها وحلت منه محل الشراب ومنه قوله تعالى :

---

(١) يريد فتنة من يقدر على فتنته أو فتن أو فتون الخ ا هـ مصححه

﴿ **وأشربوا في قلوبهم العجل** ﴾ أى حبه فقولـــه إن بينك وبينها باباً مغلقاً معناه أن تلك الفتن لا تفتح ولا يخرج منها شئ فـــي حياتـــك وقولـــه يوشك وهو بضم الياء وكسر الشين معناه أنه يكســر عـــن قرب والرجل هو عمر وقد جاء مبيناً في الصـــحيح والحاصـــل أن الحائل بين الناس وبين الفتن هو عمر رضى الله عنه مـــا دام حيـــاً فإذا مات دخلت ومبدأ الفتن هـــو الـــذين شـــرقـــوا[١] بـــالنبى صلى الله عليه وسلم وبأبى بكر وعمر رضى الله عنهما لعلمهم أن الدين لا يتم إلا بهما لأن عندهم علماً بذلك وكانوا يظهرون الإسلام ويقرعون شيئاً من القرآن وكانوا يرمـــزون إلى التعرض بـــالنقص حتى في النبى صلى الله عليه وسلم حتى أن منهم من كـــان يـــؤم الناس ولا يقرأ في الجهرية إلا (بعبس) لما فيها من العتاب مـــع النبى صلى الله عليه وسلم لأجل ابن أم مكتوم وهم رضى الله عنـــه على[٢] قتاله وتظاهر شخص بسؤال ما الذاريات ذرواً فقال عمـــر رضى الله عنه اللهم أمكنى منه فمر يوماً فقيل له هوذا واسم الرجل صبيغ فشمر عمر رضى الله عنه عن ذراعيه وأوجعـــه جلـــداً ثـــم قـــال أرحلوه فاركبوه على راحلته فقال طيفوا به في حيـــه لـــيعلم الناس بذلك[٣] وكان رضى الله عنه شديداً في دين الله ﷻ لا تأخذه في الله لومة لائم وقد ذكرت نبذة يسيرة من سيرته في كتاب (**قمع النفوس**) ولما كان أواخر القرن الأول اتسع الأمر من القصـــاص وتظاهر شخص يقال لـــه المغيرة بن ســـعيد وكان ساحراً واشتهر

---

(١) أى غصوا به صلى الله عليه وسلم وبصاحبيه فلم يستطيعوا أن ينفذوا ما يضمرون من الكيد للإسلام في وجودهم لعلمهم الخ ا هـــ مصححه

(٢) على موضع الباء ا هـــ مصححه

(٣) ونفاه بعد ذلك رضى الله عنه ولم يرجعه حتى صدقت توبته ا هـــ مصححه

بالوصاف وجمع بين الإلحاد والتجيم ويقـول أن ربه على صورة رجل على رأسه تاج وأن أعضاءه على عـدد حـروف الهجـاء ويقول ما لا ينطق به ويقـول أن الأمـانة في قـول الله تعـالى : **﴿ أنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبـال ﴾** هـي أن لا يمنع عليٌ الخلافة وقولـه تعالى : **﴿ وحملها الإنسان أنه كـان ظلوماً جهولا ﴾** هو أبو بكر رضى الله عنه . وقال عمر رضى الله عنه لأبى بكر أن يحملها ويمنع علياً منها وضمن عمر أن يعين أبا بكر بشرط أن يجعل أبو بكر الخلافة لـه بعده فقبل أبو بكر منـه وأقدما على المنع متظاهرين ثم وصفهما بـالظلم والجهـل فقـال وحملها أبو بكر أنه كان ظلوماً جهولا وزعم أنه نزل في حق عمر رضى الله عنه **﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفـر ﴾** الآيـة . وكان يقول بتكفير سائر الصحابة رضى الله عنهم إلا لمن ثبت مـع على رضى الله عنه وكان يقول أن الأنبياء عليهم الصلاة والسـلام لم يختلفوا في شئ من الشرائع وكان يقول بتحريم إنكار المنكر قبل خروج الإمام ، وقال لمحمد الباقر أقر أنك تعلم الغيب حتى أجبـي لك العراق فانتهره وطرده وكذا فعل بجعفر الصادق ولـد محمـد الباقر فقال أعوذ بالله وكان يقول انتظروا محمد بن عبد الله الإمـام فإنه يرجع ومعه ميكائيل وجبريل يتبعانه من الركن والمقام وكـان لـه خبائث فلمـا كان في السنة التاسعة عشرة والمائة ظفـر بـه خالد ابن عبد الله القسرى فأحرقه وأحرق معه خمسة مـن أتباعـه فهذا شأن أهل الزيغ واستمر الأمر على ذلك إلا أنهم سلكوا مسـلك المكر والحيلة بإظهار الكب(١) على سماع الحديث ويكثـرون مـن

---

(١) يريد الاكباب اهـ مصححه

ذكر أحاديث المتشابه ويجمعونها ويسردونها على الناس العوام ثم كثرت المقالات في زمن الإمام أحمد وكثر القصاص وتوجع هو وابن عيينة وغيرهما منهم وكان الإمام أحمد يقول : كنت أود لو كان قصاصاً صادقاً نصوحاً طيب السريرة ونبغ في زمنه محمد ابن كرام السجستاني وترافق مع الإمام أحمد وأظهر حسن الطريقة حتى وثقه هو وابن عيينة وسمع الحديث الكثير ووقف على التفاسير وأظهر التقشف مع العفة ولين الجانب وكان ملبوسه جلد ضأن غير مخيط وعلى رأسه قلنسوة بيضاء ثم أخذ حانوتاً يبيع فيه لبناً واتخذ قطعة فرو يجلس عليها ويعظ ويذكر ويحدث ويتخشع حتى أخذ بقلوب العوام والضعفاء من الطلبة لوعظه وبزهده حتى حصر من تبعه من الناس فإذا هم سبعون ألفاً وكان من غلاة المشبهة وصار يلقي على العوام الآيات المتشابهة والأخبار التي ظواهرها يوافق عقول العوام وما ألفوه ففطن الحذاق من العلماء فأخذوه ووضعوه في السجن فلبث في سجن نيسابور ثمان سنين ثم لم يزل أتباعه يسعون فيه حتى خرج من السجن وارتحل إلى الشام ومات بها في زعر ولم يعلم به إلا خاصة من أصحابه فحملوه ودفنوه في القدس الشريف وكان أتباعه في القدس أكثر من عشرين ألفاً على التعبد والتقشف وقد زين لهم الشيطان ما هم عليه وهم من الهالكين وهم لا يشعرون واستمر على ما هم عليه خلق شأنهم حمل الناس على ما هم عليه إلى وقتك هذا قال الله تعالى : ﴿ **أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا** ﴾ قال سعيد ابن جبير هذه الآية نزلت في أصحاب الأهواء والبدع المعنى أنه ركض في ميادين الباطل وهو يظنها حقاً وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول : عند هذه

الآية إن الضلالة لها حلاوة في قلوب أهلها والبدعة هي استحسان ما يسوق إليه الهوى والشبهة مع الظن بكونها حقاً وهؤلاء ينزع من قلوبهم نور المعرفة وسراج التوحيد من أسرارهم ووكلوا إلى ما اختاروا فضلوا وأضلوا ﴿ **ويحسبون أنهم على شئ إلا أنهم هم الكاذبون** ﴾ حتى ينكشف لهم الأمر كما قال الله تعالى : ﴿ **وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون** ﴾ قيل عملوا أعمالاً ظنوا أنها في كفة الحسنات فإذا هي في كفة السيئات وهذه الآية قيل أنها في أهل البدع يتصور(١) ويعتقد مع تمام الورع والزهد وتمام الأعمال الصالحة وفعل الطاعات والقربات ، ما عاقبته خطرة . ومن ذلك أن يعتقد في ذات الله صفاته وأفعاله ما هو خلاف الحق ويعتقده على خلاف ما هو به ، أما برأيه ومعقوله الذى يحاكي به الخصوم وعليه يعول وبه يغتر قد زين له العدو وحلاه له حتى اعتقده ديناً ونعمة وإما أخذاً بالتقليد ممن هذه حاله وهذا التقليد كثر في العوام لاسيما من يعضد بدعته واعتقاده بظاهر آية أو خبر وهو على وفق الطبع والعادة وقد أهلك اللعين بمثل هذا خلقاً لا يحصون حتى أنهم يعتقدون أن الحق في مثال ما هم عليه وأن غيرهم على ضلالة ومثل هؤلاء ومن اتبعوهم إذا بدا لهم ناصية ملك الموت انكشف لهم بطلان(٢) ما اعتقدوه حقاً باطلاً وجهلاً وختم لهم بالسوء وخرجت أرواحهم على ذلك وتعذر عليهم التدارك وكذا كل اعتقاد باطل ولا يفيد زوال ذلك كثرة التعبد وشدة الزهد وكثرة الصوم والحج وغير ذلك من أنواع الطاعات والقربات لأنها تبع لأمر

---

(١) أي أحدهم ا هـ مصححه

(٢) لعل لفظ بطلان من زيادة النساخ ا هـ مصححه

باطل ولا ينجو أحد إلا بالإعتقاد الحق . وقد قال تعالى : ﴿ **فماذا بعد الحق إلا الضلال** ﴾ وهذه الآية صريحة في أنه ليس بين الحق والباطل واسطة والباطل هو الذهاب عن الحق مأخوذ من ضل الطريق وهو العدول عن سمته والحق هو الصراط المستقيم الذى في قوله تعالى : ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾ وصف الله تعالى صراطه وهو دينه بالاستقامة وأمر باتباعه ، والمستقيم هو الذى لا اعوجاج فيه فمن اتبعه أوصله إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر . (قال) سهل : الصراط المستقيم هو الإقتداء والإتباع وترك الهوى والابتداع ثم أنه تعالى نهى عن اتباع السبل لما فيها من الحيدة عن طريق الاستقامة فقال : ﴿ **ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾ أى تميل بكم عن طريقه التى ارتضى وبه[1] — أوصى — إلى سبل الضلالات من الأهواء فتهلكوا قيل لعبد الله ابن مسعود رضى الله عنه ما الصراط المستقيم فقال ما تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه وطرفه في الجنة وعن يمينه جوادّ وعن يساره جوادّ وثم رجال يدعون من مربهم فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة ثم تلا : ﴿ **وإن هذا صراطى مستقيما** ﴾ الآية فأشار رضى الله عنه بالرجال الذين على الجوادّ إلى علماء السوء وأهل البدع . وأشار بقوله يدعون من مربهم إلى الوعاظ الذين هم سبب هلاك من قعد إليهم ولهذا بالغ السلف رضى الله عنهم في التحذير من

---

(١) راعى في وصف الطريق بالتى جواز تأنيثها وراعى في رجوع الضمير إليها في به جواز تذكيره فليعلم ا هـ مصححه

مجالسة كل أحد وقالوا إذا جلس في الوعظ فتفقدوا منه أموراً فإن كانت فيه فاهربوا منه وإلا هلكتم من حيث ظننتم النجاة منها إن كان مبتدعاً فاحذروه واجتنبوه فإنه على[1] لسان الشيطان ينطق ومن نطق على لسان الشيطان فلا شك ولا ريب في إغوائه فيهلك الإنسان من حيث يظن السلامة وأيضاً ففى المشي إليه ومجالسته تعظيم له وتوقير (روى) ابن عدى من حديث عائشة رضى الله عنها : (من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام) ورواه الطبرانى في معجمه الأوسط ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث عبد الله ابن بشر وبهذا وبغيره يجب التبرى من أهل البدع والتباعد (قال) بعض السلف : (من بش في وجه مبتدع أو صافحه فقد حل عرى الإسلام عروة عروة) (وقال) شخص من أهل الأهواء لأيوب السختيانى ﷺ : أكلمك كلمة فقال لا والله ولا نصف كلمة وكان يقول ما إزداد صاحب بدعة إجتهاداً إلا إزداد من الله بعداً . قال رضي الله عنه : كنا ندخل على أيوب السختيانى فإذا ذكرنا له حديثاً عن رسول الله ﷺ يبكى حتى نرحمه وكان يقول إذا بلغنى موت أحد من أهل السنة فكأنما يسقط عضو من أعضائى وكان يقول والله ما صدق عبد الاسره ألا يراه أحد[2] وكان يونس ابن عبيد يقول احفظوا عنى ثلاثاً مت أو عشت لا يدخلن أحد على سلطان يعظه أو يعلمه ولا يخلون بامرأة شابة وإن أقرأها القرآن ولا يمكن سمعه من ذى هوى وأشدها الثالثة لما فيها من الزيغ أعاذنا الله من ذلك وكان يقول ما يزال العبد بخير ما أبصر ما يفسد

---

(١) على بمعنى عن أو الباء ا هـ مصححه

(٢) أى وهو يعمل الصالحات وهو كلام جليل فليفكر فيه القارئ طويلاً لعله يتحقق به ا هـ مصححه

عمله : ويونس هذا تابعى من أصحاب الحسن البصرى وكان أبو عبد الله الأصبهانى من عباد الله الصالحين ومن البكائين ولم يكن بأصبهان أزهد منه ولا أروع منه قال وقفت على عليّ بن ماشاذة وهو يتكلم على الناس فلما جاء الليل رأيت رب العزة في النوم فقال لى وقفت على مبتدع وسمعت كلامه لأحرمنك النظر في الدنيا فاستيقظ وعيناه مفتوحتان لا يبصر بهما شيئاً (**وقال الحميدى**) سمعت الفضيل يقول : من وقر صاحب بدعة أورثه الله عمى قبل موته قيل أراد أيضاً عمى البصيرة . وأعلم أن الكلام على البدعة وأهلها فيه طول جداً وقد ذكرت جملة منه في (تنبيه السالك على مظان المهالك) (ومنها) أن يكون الواعظ سئ الطعمة فإنه إنما ينطق بالهوى لأن مثل هذا يوقع الناس في الحرام أو ربما اعتقدوا حله لأنهم يقتدون به في فعله بواسطة قوله (ومنها) أن يكون ردئ العقل أحمق فإنه يفسد بحمقه أكثر مما يصلح والأحمق هو الذى يضع الشئ في غير موضعه ويعتقد أنه يصيب قال عيسى عليه السلام أبرأت الأكمة والأبرص وأعيانى الأحمق فالأحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه للطريق فاسد فلا يكون له رؤية صحيحة في طريق الوصول إلى الغرض ويختار ما لا ينبغى أن يختار وهذا واجب الاجتناب بخلاف صاحب العقل الصحيح فإنه يثمر حُسن النظر وجودة التدبير وثقافة الرأى وإصابة الظن والتفطن لدقائق الأدلة والأعمال وخفايا النفس الأمارة وغرور الشيطان (ومنها) أن يذكر الأدلة التى هى رجاء وتوسعة على النفوس ويسكت عن آيات الخوف والرهبة وكذا الأخبار والآثار لأنه بذلك يحل من القلوب الزواجر ويسهل إرتكاب المعاصى

لاسيما إذا علم منه ارتكاب شئ ولو كان مكروهاً فإنه يوقع الناس في ورطة عظيمة (قال) إذا عبث العلماء بالمكروه عبث العوام بالحرام وإذا عبث العلماء بالحرام كفر العوام معناه أنهم يعتقدون حله لارتكاب العلماء ذلك لأنهم القادة وعليهم المعول في التحليل والتحريم (ومنها) أن يتعرض لآيات المتشابه وكذلك الأخبار ويجمعها ويسردها ويكرر الآية والخبر مراراً لأنه يوقع العامى فيما اعتاده وألفه فيجرى صفات الخالق سبحانه وتعالى على ما ألفه وجرى عليه طبعه ويزينه الشيطان له بغروره لاسيما إن كان الواعظ ممن يظهر زهداً وورعاً وشفقة على الناس فكم من شخص حسن الظاهر خبيث الباطن جميل الظاهر قبيح السرائر والضمائر والسلف رضى الله عنهم لهم اعتناء بشدة مجانبة هذا والابتعاد عنه (ومنها) أن يكون متهماً بالرفض وبسب الصحابة رضى الله عنهم وهؤلاء نبه مالك ﷺ على أنهم من سلالة المنافقين وأوضح ذلك نور الله تعالى قلبه فقال : أرادوا أن يقدحوا في النبى ﷺ بشئ فلم يجدوا مساغاً فقدحوا في الصحابة لأنه القدح في الرجل قدح في صاحبه وخليطه وهؤلاء كفار لاستحلالهم سب أفضل الخلق بعد الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام (ومنهم) أقوام يلبسون على الناس بقراءة البخارى وغيره وهم لا يعتقدون البخارى ويسمونه فيما بينهم بالفشارى ولهم خبائث عديدة كل واحدة كفر محقق . وبقى أمور لا أطول بذكرها فمن أراد الله به خيراً حماه من مجالسة هؤلاء لأن القلب سريع الانقلاب وقبول الرخص والشبه فإذا علقت به الشبهة والريبة فبعيد أن يرتفع عن قلبه غشاوة ما وقر فيه وأقل ما ينال القلب التردد والحيرة وذلك عين الفتنة ومراد الشيطان

فإن كان الذى دخلت قلبه الشبهة عامياً والمبتدع أدخلها عليه بقال الله عز وجل وقال رسول الله ﷺ فبعيد أن يرجع ويتقشع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة لتحكم الشبهة بالدليل وهذا من الهالكين إلا أن يتداركه الله برحمته لأن عمدة الناس الكتاب والسنة والهلكة الجهلة يفهمونهما على غير المراد منهما على الوجه المرضى فمن حق العبد الطالب للنجاة حراسة قلبه وسمعه عن خزايا خزعبلات المبتدعة وتزويق كلامهم وأن لا يغتر بتقشفهم وكثرة تعبدهم وزهدهم ووصفهم لأنفسهم فإن ذلك من أقوى حبائلهم التى يصطادون بها وبها تتشرب القلوب لبدعتهم لاسيما من قلبه مشغوف بحب الدنيا إذا رأى زاهداً فيها مع إكبابه على الكتاب والسنة مع الورع والزهد والعفة والقناعة فلا شك ولا ريب أنه يرغب فيه غاية الرغبة ويميل إليه غاية الميل ولا يصده عنه صاد كما هو مشاهد من العوام ومحبتهم ورغبتهم لمن هو بهذه المثابة فتنبه لذلك فقد أوضحت طريق السلامة والتباعد عن مظان الهلكة فكم من شخص قصده صالح قد هلك بمثل هؤلاء إخوان الشياطين وهو لا يشعر وعليك بالإقتداء بالأطباء أعنى أطباء القلوب وهم الأنبياء عليهم السلام لأنهم العالمون بأسباب الحياة الأخروية ثم أتباعهم الذين أخذوا عنهم وشاهدوا منهم ما لم يشاهده غيرهم . شعر :

من كان يرغب في النجاة فماله ... غير إتباع المصطفى فيما بدا

فاتبع كتاب الله والسنن التى ... صحت فذاك إذا اتبعت هو الهدى

فالدين ما قال النبى وصحبه ... فإذا اقتديت بهم فنعم المقتدى

فسبحان الحليم الودود * الممهل الكريم العميم الجود * العالم بخفايا الضمائر ودبيب النملة على الصخرة في الليالى السود * ويرى جريان الماء في العود * القادر فكل ما سواه بقدرته موجود * نزه نفسه بنفسه لعجز خلقه عن ذلك * فتعالى عن الأشكال والأمثال والجهات والحدود * صفاته قديمة ثابتة بالنقل والعقل فمن عطل وقع في الجحود * وتنزيهه عن النقائص والأشباه محقق ومعلوم والتشبيه مذهب السامرة واليهود * وكف الكف مشلولة بل مقطوعة وباب التشبيه مردوم ومسدود * فمن فتحه هجمت عليه نار الوعيد فأهلكته كما هلك فرعون ونمرود * وأصحاب الأخدود وعاد وثمود * فنسأل الله العافية من الفتن ومن أسبابها ومن النار ذات الوقود * ونتوسل إليك بسيد الأولين والآخرين محمد كما توسل به أبو البشر فقبلته فهو أحمد المحمود * صاحب الحوض المورود * والمقام المحمود * فهو أعظم الوسائل ولا يخيب من توسل به ولو كان من أهل الجحود * قال الله تعالى : ﴿ **وكانوا** ﴾ أى اليهود ﴿ **من قبل** ﴾ أى بعث محمد ﷺ ﴿ **يستفتحون** ﴾ أى يستنصرون ﴿ **على الذين كفروا** ﴾ وهم مشركوا العرب كانوا يقولون إذا حزبهم أمر أو دهمهم عدو اللهم انصرنا بجاه النبى المبعوث آخر الزمان الذى نجد صفته في التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لأعدائهم كغطفان وغيرها من المشركين قد أظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلناه فنقتلكم معه قتل عاد وثمود . فانظر أرشدك الله إلى قدره ودنو منزلته عند ربه كيف قبل ﷺ التوسل به من اليهود مع علمه سبحانه وتعالى بأنهم يكفرون به ولا يوقرونه ولا يعظمونه بل يؤذونه ولا يتبعون

النور الذى أنزل معه فمن منع التوسل به فقد نادى على نفسه وأعلم الناس بأنه أسوأ حالاً من اليهود . شعر :

أنت الملاذ لنا وأنت المرتجى　　وبك اللياذ وأنت ملجأ من لجا
يا سيد الكونين يا من قد سما　　معراجه فوق السماء وعرجا
يا سيد الثقلين والحكم الهدى　　والمقصد الأسنى لأبواب الرجا
يا سيدا من أم باب مقامه　　ألفاه خير مقام سؤل يرتجى
يا سيدا ما أمه من ضامه　　ريب الزمان بخطبه الأنجا
يا سيدا جعل الآله وجوده　　للعالمين المرتجى والملتجى
يا خاتم الرسل الكرام ومن به　　رب البرية كل هم فرجا

(غيره)

وكن مستجيراً بالذى نال رفعة　　إلى عزها ذل الملوك الأكاسر
نبى له جاه عريض ومنصب　　عظيم له تعزى العلى والمفاخر
جليل جميل راحم متعطف　　فصيح مليح كامل الحسن باهر
ألا يا رسول الله يا غاية المنى　　لقد نلت فخراً ما لا دناه آخر
أيادرة الأنباء يا جوهـــر الورى　　هنيئاً لنفس في هواك تتاجر
لقد ربحت في بيعها وتنعمت　　وقد سعت يا درها والجواهر
حبيبى رسول الله كن لى شافعاً　　أغثنى أجرنى يوم تبلى السرائر
بجاهك آمال الضعيف تعلقت　　إذا نصب الميزان والعقل طائر
فكن شافعى عند الآله فإنه　　حليم كريم غافر الذنب ساتر
مضى العمر في لهو وزهو وغفلة　　وإنى عن الفعل الحميد لقاصر
فيارب داركنا بعفو ورحمة　　فأنت جميل العفو للكسر جابر
وخذ بنواصينا وطهر قلوبنا　　ومن يعفو منك فالعفو غامر
وصل على البدر من جبينه　　بدا الشمس والأقمار والنجم زاهر

نجزت هذه الأحرف المباركات على قارئها ومستمعيها المتأسين بأهل الحق التابعين للصفوة من أولى المعجزات المنزهين لرب العالمين والمعظمين لسيد الأولين والآخرين وسائر الأنبياء والمرسلين وسرج هذه الأمة من بعدهم كالصديقين وسائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وكنت قد عزمت على أن اقتصر على ذلك لأن في بعض ما ذكرته وقاية من المقت والمهالك ثم قيل لي وكرر علي أن أهل التشبيه والتجسيم المزدرين بسيد الأولين والآخرين تبعاً لسلالة القردة والخنازير لهم وجود وفيهم كثرة وقد أخذوا بعقول كثير من الناس لما يزينون لهم من الإطراء على قدوتهم ويزخرفون لهم بالأقوال والأفعال ويموهون لهم بإظهار التنسك والإقبال على كثرة الصلاة والصوم والحج والتلاوة وغير ذلك مما يحسن في قلوب كثير من الرجال لاسيما العوام المائلين مع كل ريح اتباع الدجال فانقادوا لهم بسبب ذلك وأوقعوهم في أسر المهالك فرأيت بسبب هذه المكايد والخزعبلات أن أتعرض لسوء عقيدتهم قمعاً لهذا الزائغ عن طريق أهل الحق وهم الأئمة الأربعة المقتدى بهم والمعول عليهم في جميع الأعصار والأقطار لأنهم النجوم الذين بهم يهتدى وقد بالغ جمع من الأخيار من المتعبدين وغيرهم من العلماء كأهل مكة وغيرها أن أذكر ما وقع لهذا الرجل من الحيدة عن طريق هذه الأئمة ولو كان أحرفاً يسيرة إما بالتصريح أو بالتلويح مشيرة فاستخرت الله عز وجل في ذلك مدة مديدة ثم قلت لا أبالك وتأملت ما حصل وحدث بسببه من الإغواء والمهالك فلم يسعنى عند ذلك أن أكتم ما علمت : وإلا ألجمت بلجام من نار ومقت وهاأنا أذكر الرجل وأشير باسمه الذى شاع وذاع ،

واتسع به الباع وصارَ بل طار في أهل القرى والأمصار وأذكر بعض ما أنطوى باطنه الخبيث عليه وما عول في الإفساد بالتصريح أو الإشارة إليه ولو ذكرت كثيراً مما ذكره ودونه في كتبه المختصرات لطال جداً فضلاً عن المبسوطات وله مصنفات أخر لا يمكن أن يطلع عليها إلا من تحقق أنه على عقيدته الخبيثة ولو عصر هو وأتباعه بالعاصرات : لما فيها من الزيغ والقبائح النحسات : قال بعض العلماء من الحنابلة في الجامع الأموى في ملأ من الناس : لو أطلع الحصنى على ما أطلعنا عليه من كلامه لأخرجه من قبره وأحرقه وأكد هؤلاء أن أتعرض لبعض ما وقفت عليه وما أفتى به مخالفاً لجميع المذاهب وما خطئ فيه وما انتقد عليه واذكر بعض ما اتفق له من المجالس والمناظرات وما جاءت به المراسيم العاليات وأتعرض لبعض ما سلكه من المكايد التى ظن بسببها أنه يخلص من ضرب السياط والحبوس وغير ذلك من الإهانات وهيهات فأول شئ سلكه من المكر والخديعة أن انتمى إلى مذهب الإمام أحمد وشرع يطلب العلم ويتعبد فمالت إليه قلوب المشايخ فشرعوا في إكرامه والتوسعة عليه فأظهر التعفف فزادوا في الرغبة فيه والوقوع عليه ثم شرع ينظر في كلام العلماء ويعلق في مسوداته حتى ظن أنه صار له قوة في التصنيف والمناظرة وأخذ يدون ويذكر أنه جاءه استفتاء من بلد كذا وليس لذلك حقيقة فيكتب عليها صورة الجواب ويذكر ما لا ينتقد عليه وفي بعضها ما يمكن أن ينتقد إلا أنه يشير إليه على وجه التلبيس بحيث لا يقف على مراده إلا حاذق عالم متفنن فإذا ناظر أمكنه أن يقطع من ناظره إلا ذلك المتفنن الفطن ثم مع ذلك شرع يتلقى الناس

بالأنس وبسط الوجه ولين الكلام ويذكر أشياء تحلو للنفس لاسيما الألفاظ العذبة مع اشتمالها على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة فطلبوا منه أن يذكر الناس ففعل فطار ذكره بالعلم والتعبد والتعفف ففزع الناس إليه بالأسئلة فكان إذا جاءه أحد يسأله عن مسألة قال له : عاودنى فيها فإذا جاءه قال هذه مسألة مشكلة ولكن لك عندى مخرج أقوله لك بشرط فإنى أتقلدها في عنقى فيقول أنا أوفى لك فيقول أن تكتم على فيعطيه العهود والمواثيق على ذلك فيفتيه بما فيه فرجة حتى صار له اتباع كثيرة يقومون بنصرته ، إن لو عرض له عارض ثم إنه علم إن ذلك لا يخلصه فكان إذا كان في بعض المجالس قال إنا لله وإنا إليه راجعون قد انفتقت فتوق من أنواع المفاسد يبعد ارتتاقها ولو كان لى حكم لكنت أجعل فلاناً وزيراً وفلاناً محتسباً وفلاناً دويداراً وفلاناً أمير البلد فيسمع أولئك وفي قلوبهم من تلك المناصب فكانوا يقومون في نصرته . ثم اعلم أن مثل هؤلاء قد لا يقدرون على مقاومة العلماء إذا قاموا في نحره فجعل له مخلصاً منهم بأن ينظر إلى من الأمر إليه في ذلك المجلس فيقول له ما عقيدة إمامك فإذا قال كذا وكذا قال أشهد أنها حق وأنا مخطئ واشهدوا أنى على عقيدة إمامك وهذا كان سبب عدم إراقة دمه فإذا انفض المجلس أشاع اتباعه أن الحق في جهته ومعه وأنه قطع الجميع ألا ترون كيف خرج سالماً حتى حصل بسبب ذلك افتتان خلق كثير لاسيما من العوام فلما تكرر ذلك منه علموا أنه إنما يفعل ذلك خديعة ومكراً فكانوا مع قوله ذلك يسجنونه ولم يزل ينتقل من سجن إلى سجن حتى أهلكه الله عز وجل في سجن الزندقة والكفر ومن قواعده المقررة عنده وجرى عليها أتباعه

التوقى بكل ممكن حقاً كان أو باطلاً ولو بالأيمان الفاجرة سواء كانت بالله عز وجل أو بغيره ، وأما الحلف بالطلاق فإنه لا يوقعه البتة ولا يعتبره سواء كان بالتصريح أو بالكناية أو التعليق أو التنجيز وهذا مذهب فرقة الشيعة فإنهم لا يرونه شيئاً وإشاعته هو وأتباعه أن الطلاق الثلاث واحدة خزعبلات ومكر وإلا فهو لا يوقع طلاقاً على حالف به ولو أتى به في اليوم مائة مرة على أى وجه سواء كان حثاً أو منعاً أو تحقيق خبر فاعرف ذلك ، وأن مسألة الثلاث إنما يذكرونها تستراً وخديعة وقد وقفت على مصنف له في ذلك[1] وكان عند شخص شريف زينبى وكان يرد الزوجة إلى زوجها في كل واقعة بخمسة دراهم وإنما أطلعنى عليه لأنه ظن أنى منهم فقلت له : يا هذا أتترك قول الإمام أحمد وقول بقية الأئمة بقول ابن تيمية فقال : أشهد على أنى تبت وظهر لى أنه كذب في ذلك ولكن جرى على قاعدتهم في التستر والتقية فنسأل الله العافية من المخادعة فإنها صفة أهل الدرك الأسفل[2] ثم اعلم قبل الخوض في ذكر بعض ما وقع منه وانتقد منه عليه أنه يذكر في بعض مصنفاته كلام رجل من أهل الحق ويدس في غضونه شيئاً من معتقده الفاسد فيجرى عليه الغبى بمعرفة كلام أهل الحق فيهلك وقد هلك بسبب ذلك خلق كثير وأعمق من ذلك أنه يذكر أن ذلك الرجل ذكر ذلك في الكتاب الفلانى وليس لذلك الكتاب حقيقة وإنما قصده بذلك انفضاض المجلس ويؤكد قوله بأن يقول ما يبعد أن

---

(١) هذا شئ مدهش جداجدا ولولا أن هذا الذى يحكيه الإمام الحصنى المعروف بشحه على دينه ما وجد ما يحكيه إلي القلوب سبيلا ! هـ مصححه

(٢) لا يتردد عاقل في أن ما سيحكيه الإمام الحصنى بعد فعل دجاجلة لا علماء فليقرأه العاقل وليعجب كيف يكون من هذه بلاياهم أئمة في دين الله ! هـ مصححه

هنا ويشير إلى المشرق من حيث يطلع قـــرن الشـــيطان) وفـــي رواية : (إن الفتنة ههنا) ثلاثاً وفي رواية : خـــرج رســـول الله صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة رضى الله عنها فقال : (رأس الكفر ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان) وهذا المبتدع من حـــران الشرق بلدة لا تزال يخرج منها أهل البدع كجعد وغيره في ســنن أبى داود من حديث أبى سعيد الخدرى وأنس رضى الله عنهما أنـــه عليه الصلاة والسلام قال : (سيكون في أمتـــى اخـــتلاف وفرقـــة يحسنون القيل ويسيئون الفعل يقرءون القرآن لا يجـــاوز تـــراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية هم شر الخلق طوبى لمن قتلهم أو قتلوه يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شـــئ مـــن قتلهم كان أولى بالله منهم : قالوا يا رسول الله وما سيماهم قـــال : التحليق والتسبيد فإذا رأيتموهم فأنيموهم) أى اقتلوهم والتسبيد هـــو الحلق واستئصال الشعر وقيل ترك التدهن وغسل الرأس وغير ذلك والأحاديث في ذلك كثيرة وفي واحد كفاية لمن أراد الله عز وجـــل به الرشد والهداية فقد أوضحهم سيد الناصحين صلى الله عليه وسلم باعتبار أوصافهم وأماكنهم إيضاحاً جلياً لا خفاء فيه ولا جهالة فـــلا يتوقف في معرفتهم بعد ذلك إلا من أراد الله تعـــالى إضـــلاله وإذا تمهد لك هـــذا أيهـــا الراغـــب في فكاك نفسك من ربقـــة عقائـــد أهـــل الزيغ الضالـــين المضلين والإقتداء بأهـــل الســـلامة فـــي الـــدين . فاعلم أنى نظـــرت فـــي كـــلام هـــذا الخبيث الـــذى في قلبه مرض الزيـــغ : المتـــتبع مـــا تشـــابه فـــي الكتـــاب والسنة ابتغاء الفتـــنة وتبـــعه علـــى ذلك خلـــق مـــن العـــوام وغيـــرهم ممن أرادا الله عز وجل إهلاكه فوجدت فيه ما لا أقدر على النطق

بـــه(١) ولا لي أنامل تطاوعني على رسمه وتسطيره لما فيه مـــن تكذيب رب العالمين في تنزيهه لنفسه في كتابـــه المبـــين . وكـــذا الازدراء بأصفيائه المنتخبين وخلفائهم الراشدين وأتباعهم المـــوفقين فعدلت عن ذلك إلى ذكر ما ذكره الأئمة المتقون وما اتفقوا عليه من تبديعه وإخراجه ببعضه من الدين فمنه ما دون في المصنفات ومنه ما جاءت به المراسيم العليات وأجمع عليه علماء عصـــره ممـــن يرجع إليهم في الأمور الملمات والقضايا المهمات وتضمنه الفتاوى الزكيات من دنس أهل الجهالات ولم يختلف عليه أحد كما اشـــتهر بالقراءة والمناداة على رءوس الأشهاد في المجامع الجامعة حتـــى شاع وذاع واتسع به الباع حتى في الفلـــوات فمـــن ذلـــك نســـخة المرسوم الشريف السلطاني(٢) ناصر الدنيا والـــدين محمـــد ابـــن قلاوون رحمه الله تعالى وقرئ على منبر جامع دمشق نهار الجمعة سنة خمس وسبعمائة . (صورته) .

* * *

---

(١) ليتأمل هذا جداً فإنه عجيب ! هـــ مصححه

(٢) لفظ ناصر الدين صفة لموصوف محذوف قطعاً ليستقيم الكلام والتقدير الصادر مـــن السلطان ناصر للدين الخ ! هـــ مصححه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تنزه عن الشبيه والنظير . وتعالى عن المثل فقال تعالى : ﴿ **ليس كمثله شئ وهو السميع البصير** ﴾ . أحمده على ما ألهمنا من العمل بالسنة والكتاب . ورفع في أيامنا أسباب الشك والارتياب . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من يرجو بإخلاصه حُسن العقبى والمصير. وينزه خالقه عن التحيز في جهة لقوله تعالى : ﴿ **وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير** ﴾ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى نهج سبيل النجاة لمن سلك سبيل مرضاته وأمر بالتفكر في الآيات ونهى عن التفكر في ذاته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين علا بهم منار الإيمان وارتفع ، وشيد الله بهم من قواعد الدين الحنيفى ما شرع : وأخمد بهم كلمة من حاد عن الحق ومال إلى البدع : وبعد فإن القواعد الشرعية : وقواعد الإسلام المرعية : وأركان الإيمان العلمية : ومذاهب الدين المرضية هى الأساس الذى يبنى عليه ، والموئل الذى يرجع كل أحد إليه والطريق التي من سلكها فاز فوزاً عظيماً ، ومن زاغ عنها فقد استوجب عذاباً أليماً ولهذا يجب أن تنعقد أحكامها ، ويؤكد دوامها وتصان عقائد هذه الأمة عن الاختلاف وتزان بالرحمة والعطف والائتلاف ، وتخمد ثوائر البدع ويفرق من فرقها ما اجتمع : وكان ابن تيمية في هذه المدة قد بسط لسان قلمه ومد بجهله عنان كلمه وتحدث بمسائل الذات والصفات ونص في كلامه الفاسد على أمور منكرات وتكلم فيما سكت عنه أصحابه والتابعون وفاه بما أجتنبه الأئمة الأعلام الصالحون ، وأتى في ذلك بما أنكره أئمة الإسلام وانعقد على خلافه إجماع العلماء

والحكام ، وشهر من فتاويه ما استخف به عقول العوام ، وخالف في ذلك فقهاء عصره ، وأعلام علماء شامه ومصره ، وبث به رسائله إلى كل مكان وسمى فتاويه بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان ، ولما اتصل بنا ذلك وما سلك به هو ومريدوه ، من هذه المسالك الخبيثة وأظهروه ، من هذه الأحوال وأشاعوه ، وعلمنا أنه استخف قومه فأطاعوه ، وحتي اتصل بنا أنهم صرخوا في حق الله سبحانه بالحرف والصوت والتشبية والتجسيم فقمنا في نصرة الله مشفقين من هذا النبأ العظيم ، وأنكرنا هذه البدعة وعزنا[1] أن يشيع عمن تضمنه ممالكه هذه السمعة : وكرهنا ما فاه به المبطلون : وتلونا قوله تعالي : ﴿ **سبحان ربك رب العزة عما يصفون** ﴾ فإنه سبحانه وتعالي تنزه في ذاته وصفاته عن العديل والنظير : ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾ فتقدمت مراسيمنا باستدعاء ابن تيمية المذكور إلي أبوابنا : حين ما سارت فتاويه الباطلة في شامنا ومصرنا : وصرح فيها بألفاظ ما سمعها ذو فهم إلا وتلا قوله تعالي : ﴿ **لقد جئت شيئا نكرا** ﴾ ولما وصل إلينا الجمع أولوا العقد والحل ، وذوو التحقيق والنقل ، وحضر قضاه الإسلام ، وحكام الأنام ، وعلماء المسلمين ، وأئمة الدنيا والدين ، وعقد له مجلس شرعي في ملأ من الأئمة وجمع من له دراية في مجال النظر ودفع . فثبت عندهم جميع ما نسب إليه بقول من يعتمد ويعول عليه ، وبمقتضى خط قلمه الدال على منكر

---

(١) هذه الفقرة محرفة ومعناها ليس بظاهر والذي يظهر أن أصلها وعزنا أن يشيع عمن تضمه ممالكه هذه السمعة - يستعيذ السلطان بالله أن يشيع عنه هو تلك السمعة لأن الرجل في مملكته ا هـ مصححه .

معتقــده[1] وانفصل ذلك الجمع وهم لعقيدته الخبيثــة منكــرون . وأخذوه بما شهد به قلمــه تــالين ﴿ **ستكتب شهادتهم ويسألون** ﴾ وبلغنا أنه قد استتيب مراراً فيما تقدم وأخره الشرع الشـريف لمـا تعرض لذلك . وأقدم ثم عاد بعد منعه ولم يدخل ذلك في ســمعه ، ولما ثبت ذلك في مجلس الحاكم المالكى حكم الشرع الشـريف أن يسجن هذا المذكور ويمنع مــن التصــرف والظهــور . ويكتــب مرسومنا هذا بأن لا يسلك أحد ما سلكه المذكور من هذه المسالك . وينهي عن التشبيه في اعتقاد مثل ذلك أو يعود له في هــذا القــول متبعاً ، أو لهذه الألفاظ مستمعاً أو يسرى في التشبيه مسراه أو يفوه بجهة العلو بمافاه ، أو يتحدث أحد بحرف أو صوت أو يفوه بــذلك إلي الموت . أو ينطق بتجسيم أو يحيد عن الطريق المسـتقيم ، أو يخرج عن رأى الأئمة . أو ينفرد به عن علماء الأمة . أو يحيز الله سبحانه وتعالى في جهة أو يتعرض إلى حيث وكيف . فليس لمعتقد هذا إلا السيف[2] فليقف كل واحد عند هذا الحد ولله الأمر من قبــل ومن بعد وليلزم كل واحد من الحنابلة بالرجوع عن كل ما أنكـره الأئمة من هذه العقيدة . والرجوع عن الشبهات الذائعــة الشـديدة ولزوم ما أمر الله تعالى به والتمسك بمسالك أهل الإيمان الحميدة . فإنه من خرج عن أمر الله فقد ضل سواء السبيل . ومثل هذا لــيس له إلا التنكيل والسجن الطويل مستقره ومقيله وبئس المقيل . وقــد رسمنا بأن ينادى في دمشق المحروســة والــبلاد الشــامية وتلــك الجهات الدنية والقصية بالنهى الشديد والتخويف والتهديد . لمن اتبع

---

(١) ليحفظ هذا ثم ليحفظه المغروررون ا هــ مصححه .

(٢) لينظر هذا كذلك ا هــ مصححه

ابن تيمية في هذا الأمر الذى أوضحناه ومن تابعه تركناه في مثل مكانه وأحللناه ووضعناه من عيون الأمة كما وضعناه ومن أصر على الامتناع وأبى إلا الدفاع أمرنا بعزلهم من مدارسهم ومناصبهم وأسقطناهم من مراتبهم مع إهانتهم وأن لا يكون لهم في بلادنا حكم ولا ولاية ولا شهادة ولا إمامة بل ولا مرتبة ولا إقامة . فإنا أزلنا دعوة هذا المبتدع من البلاد وأبطلنا عقيدته الخبيثة التى أضل بها كثيراً من العباد أو كاد بل كم أضل بها من خلق وعاثوا بها في الأرض الفساد ولتثبت المحاضر الشرعية على الحنابلة بالرجوع عن ذلك وتسير المحاضر بعد إثباتها على قضاة المالكية وقد اعذرنا وحذرنا وانصفنا حيث أنذرنا وليقرأ مرسومنا الشريف على المنابر ليكون أبلغ واعظ وزاجر لكل باد وحاضر والاعتماد على الخط الشريف أعلاه وكتب ثامن[1] عشرين شهر رمضان سنة خمس وسبعمائة[2] وأزيد على ذلك ما ذكره صاحب عيون التواريخ وهو ابن شاكر ويعرف بصلاح الدين الكتبى وبالتريكى وكان من اتباع ابن تيمية وضرب الضرب البليغ لكونه لمؤذن في مأذنة العروس وقت السحر أشركت حين قال :

ألا يا رسول الله أنت وسيلتى إلى الله في غفران ذنبي وزلتى

وأرادوا ضرب عنقه ثم جددوا إسلامه وإنما أذكر ما قاله لأنه أبلغ في حق ابن تيمية في إقامة الحجة عليه مع أنه أهمل أشياء من خبثه ولؤمه لما فيها من المبالغة في إهانة قدوته والعجب أن ابن تيمية ذكرها وهو سكت عنها .

---

(١) كذا بالأصل والمعنى ظاهر ولعل الأصل في ثامن وعشرين من شهر الخ وكذا ما يأتى يقال فيه ذلك ا هـ مصححه

(٢) إن في ذلك عبرة لأولى الأبصار ا هـ مصححه

كلام ابن تيمية في الاستواء ووثوب الناس عليه

فمن ذلك ما أخبر به أبو الحسن على الدمشقى في صحن الجامع الأموى عن أبيه قال كنا جلوساً في مجلس ابن تيمية فذكر ووعظ وتعرض لآيات الاستواء ثم قال : " واستوى الله على عرشه كاستوائى هذا " . قال فوثب الناس عليه وثبة واحدة وأنزلوه من الكرسى وبادروا إليه ضرباً باللكم والنعال وغير ذلك حتى أوصلوه إلى بعض الحكام واجتمع في ذلك المجلس العلماء فشرع يناظرهم فقالوا ما الدليل على ما صدر منك فقال قوله تعالى : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ فضحكوا منه وعرفوا أنه جاهل لا يجرى على قواعد العلم ثم نقلوه ليتحققوا أمره فقالوا ما تقول في قوله تعالى : ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ فأجاب بأجوبة تحققوا أنه من الجهلة على التحقيق وانه لا يدرى ما يقول وكان قد غره بنفسه ثناء العوام عليه وكذا الجامدين[1] من الفقهاء العارين عن العلوم التى بها يجتمع شمل الأدلة على الوجه المرضى وقد رأيت في فتاويه ما يتعلق بمسألة الاستواء وقد أطنب فيها وذكر أموراً كلها تلبيسات وتجريات خارجة عن قواعد أهل الحق . والناظر فيها إذا لم يكن ذو علوم وفطنة وحُسن رؤية ظن أنها على منوال مرضى ومن جملة ذلك بعد تقريره وتطويله : أن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة ، كما جمع الله بينهما في قوله تعالى :

---

(١) كذا بالأصل وليس بخفى أن لفظ الجامدين حقها الجامدون وكذا العارون ا هـ مصححه

﴿ هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شئ وهو معنا أينما كنا هذه عبارته بحروفها : فتأمل أرشدك الله تعالى هذا التهافت وهذه الجرأة بالكذب على الله تعالى أنه سبحانه وتعالى أخبر عن نفسه أنه فوق العرش ومحتجاً بلفظ الاستواء الذى هو موضوع بالاشتراك ومن قبيل المجمل وهذا وغيره مما هو كثير في كلامه يتحقق به جهله وفساد تصوره وبلادته وكان بعضهم يسميه حاطب ليل وبعضهم يسميه الهدار المهدار . وكان الإمام العلامة شيخ الإسلام في زمانه أبو الحسن على ابن إسماعيل القونوى يصرح بأنه من الجهلة بحيث لا يعقل ما يقول ويخبر أنه أخذ مسألة التفرقة[١] عن شيخه الذى تلقاها عن أفراخ السامرة واليهود الذين أظهروا التشرف بالإسلام وهو[٢] من أعظم الناس عداوة للنبى صلى الله عليه وسلم وقتل على رضى الله عنه واحداً منهم تكلم في مجلسه كلمة فيها ازدراء بالنبى صلى الله عليه وسلم وقد وقفت على مسألة أعنى مسألة التفرقة التى أثارها اليهود ليزدروه بها وبحثوا فيها على قواعد مأخوذة من الاشتقاق وكانوا يقطعون بها الضعفاء من العلماء فتصدى لهم الجهابذة من العلماء وأفسدوا ما قالوه بالنقل والعقل والاستعمال الشرعى والعرفى وأبادوهم بالضرب بالسياط وضرب الأعناق ولم يبق منهم إلا الضعفاء فى العلم ودامت فيهم مسألة

---

(١) ظاهر أنها الفوقية وكذا ما يأتى بعد كالسياق أو التفرقة بين حياة الرسول ومماته اهـ مصححه

(٢) ظاهر أن هذا اللفظ هم لا هو اهـ مصححه

التفرقة حتى تلقاها ابن تيمية عن شيخه وكنت أظن أنه ابتكرها واتفق الحذاق في زمانه من جميع المذاهب على سوء فهمه وكثرة خطئه وعدم إدراكه للمآخذ الدقيقة وتصورها . عرفوا ذلك منه بالمفاوضة في مجالس العلم . ولنرجع إلى ما ذكره ابن شاكر في تاريخه ذكره في الجزء العشرين قال : وفي سنة خمس وسبعمائة في ثامن رجب عقد مجلس بالقضاة والفقهاء بحضرة نائب السلطنة بالقصر الأبلق : فسئل ابن تيمية عن عقيدته فأملى شيئاً منها ثم أحضرت عقيدته الواسطية وقرئت في المجلس ووقعت بحوث كثيرة وبقيت مواضع أخرت إلى مجلس ثان ثم اجتمعوا يوم الجمعة ثانى عشر رجب وحضر المجلس صفى الدين الهندى وبحثوا ثم اتفقوا على أن كمال الدين بن الزملكانى يحاقق ابن تيمية ورضوا كلهم بذلك فأفحم كمال الدين ابن تيمية وخاف ابن تيمية على نفسه فأشهد على نفسه الحاضرين أنه شافعى المذهب ويعتقد ما يعتقده الإمام الشافعى فرضوا منه بذلك وانصرفوا ثم إن أصحاب ابن تيمية أظهروا أن الحق ظهر مع شيخهم وأن الحق معه فأحضروا إلى مجلس القاضى جلال الدين القزوينى وأحضروا ابن تيمية وصفع ورسم بتعزيره فشفع فيه وكذلك فعل الحنفى باثنين من أصحاب ابن تيمية ، ثم قال ولما كان سلخ رجب جمعوا القضاة والفقهاء وعقد مجلس بالميدان أيضاً وحضر نائب السلطنة أيضاً وتباحثوا في أمر العقيدة وسلك معهم المسلك الأول فلما كان بعد أيام ورد مرسوم السلطان صحبة بريدى من الديار المصرية بطلب قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى وبابن تيمية وفي الكتاب (تعرفونا ما وقع في سنة ثمان وتسعين في عقيدة

ابن تيمية) فطلبوا الناس وسألوهم عما جرى لابن تيمية في أيام نقل عنه فيها كلام قاله واحضروا للقاضى جلال الدين القزويني العقيدة التى كانت أحضرت في زمن قاضى القضاة إمام الدين وتحدثوا مع ملك الأمراء في أن يكاتب في هذا الأمر فأجاب فلما كان ثانى يوم وصل مملوك ملك الأمراء على البريد من مصر وأخبر أن الطلب على ابن تيمية كثير وأن القاضى المالكى قائم في قضيته قياماً عظيماً وأخبر بأشياء كثيرة من الحنابلة وقعت في الديار المصرية وأن بعضهم صفع فلما سمع ملك الأمراء بذلك انحلت عزائمة عن المكاتبة وسير شمس الدين بن محمد المهمندار إلى ابن تيمية وقال له : قد رسم مولانا ملك الأمراء بأن تسافر غداً وكذلك راح إلى قاضى القضاة فشرعوا في التجهيز وسافر صحبة ابن تيمية أخواه عبد الله وعبد الرحمن وسافر معهم جماعة من أصحاب ابن تيمية ، وفي سابع شوال وصل البريدى إلى دمشق وأخبر بوصولهم إلى الديار المصرية وأنه عقد لهم مجلس بقلعة القاهرة بحضرة القضاة والفقهاء والعلماء والأمراء . فتكلم الشيخ شمس الدين عدنان الشافعى وادعى على ابن تيمية في أمر العقيدة . فذكر منها فصولاً فشرع ابن تيمية فحمد الله تعالى وأثنى عليه وتكلم بما يقتضى الوعظ فقيل له يا شيخ إن الذى تقوله نحن نعرفه وما لنا حاجة إلى وعظك وقد أدعى عليك بدعوى شرعية فأجب ، فأراد ابن تيمية أن يعيد التحميد فلم يمكنوه من ذلك بل قيل له أجب فتوقف وكرر عليه القول مراراً فلم يزدهم على ذلك شيئاً وطال الأمر فعند ذلك حكم القاضى المالكى بحبسه وحبس أخويه معه فحبسوه في برج من أبراج القلعة فتردد إليه جماعة من

الأمراء فسمع القاضي بذلك فاجتمع بالأمراء وقال : يجب عليه التضييق إذا لم يقتل وإلا فقد وجب قتله وثبت كفره فنقلوه إلى الجب بقلعة الجبل ونقلوا أخويه معه بإهانة ، وفي سادس عشر ذي القعدة وصل من الديار المصرية قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى وجلس يوم الجمعة في الشباك الكمالي وحضر القراء والمنشدون وأنشدت التهاني ، وكان وصل معه كتب ولم يعرضها على نائب السلطنة فلما كان بعد أيام عرضها عليه فرسم ملك الأمراء بقراءتها والعمل بما فيها امتثالاً للمراسيم السلطانية وكانوا قد بيتوا على الحنابلة كلهم بأن يحضروا إلى مقصورة الخطابة بالجامع الأموى بعد الصلاة . وحضر القضاة كلهم بالمقصورة وحضر معهم الأمير الكبير ركن الدين بيبرس العلائي وأحضروا تقليد القضاة نجم الدين بن صصرى الذى حضر معه من مصر باستمراره على قضاء القضاة وقضاء العسكر ونظر الأوقاف وزيادة المعلوم وقرئ عقيبة الكتاب الذى وصل على يديه وفيه ما يتعلق بمخالفة ابن تيمية في عقيدته وإلزام الناس بذلك خصوصاً الحنابلة والوعيد الشديد عليهم والعزل من المناصب والحبس وأخذ المال والروح لخروجهم بهذه العقيدة عن الملة المحمدية ونسخة الكتاب نحو الكتاب المتقدم وتولى قراءته شمس الدين محمد بن شهاب الدين الموقع وبلغ عنه الناس ابن صبح المؤذن وقرئ بعده تقليد الشيخ برهان الدين بالخطابة . وأحضروا بعد القراءة الحنابلة مهانين بين يدى القاضي جمال الدين المالكي بحضور باقي القضاة واعترفوا أنهم يعتقدون ما يعتقده محمد بن إدريس الشافعي رضى الله عنه وفي سابع شهر صفر سنة ثمان عشرة ورد مرسوم السلطان بالمنع من الفتوى في

مسألة الطلاق الذى يفتى بها ابن تيمية وأمر بعقد مجلس لــه بــدار السعادة وحضر القضاة وجماعة من الفقهاء وحضــر ابــن تيميــة وسألوه عن فتاويه في مسألــة الطلاق وكونهم نهــوه وما انتهــى ولا قبل مرسوم السلطان ولا حكم الحكام بمنعه فأنكر فحضر خمسة نفر فذكروا عنه أنه أفتاهم بعد ذلك فأنكر وصــمم علــى الإنكــار فحضر ابن طليش وشهود شهدوا أنه أفتى لحاماً أسمه قمر مسلمانى فى بستان ابن منجا فقيل لابن تيمية : أكتب بخطك أنك لا تفتى بها ولا بغيرها فكتب بخطه أنه لا يفتى بها وما كتــب بغيرهــا فقــال القاضى نجم الدين ابن صصرى حكمت بحبسك واعتقالك فقال لــه حكمك باطل لأنك عدوى فلم يقبل منه وأخذوه واعتقلوه فــي قلعــة دمشق وفى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة يوم عاشوراء أفرج عن ابن تيمية من حبسه بقلعة دمشق وكانت مدة اعتقاله خمسة أشــهر ونصف . وفى سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة فى السادس عشر من شعبان قدم بريدى من الديار المصرية ومعه مرسوم شريف باعتقال ابن تيمية فاعتقل في قلعة دمشق وكان السبب فى اعتقاله وحبســه أنه قال (لا تشد الرحال إلا ثلاثة مساجد ،وإن زيارة قبور الأنبياء لا تشد إليها الرواحل كغيرها كقبر إبراهيم الخليل وقبر النبى صلى الله عليه وسلم) ثم إن الشاميين كتبوا فتياً أيضاً فى ابن تيمية لكونه أول من أحدث هذه المسألة التى لا تصدر إلا ممن فى قلبه ضغينة لسيد الأولين والآخرين فكتب عليه الإمام العلامــة برهــان الــدين الفزارى نحو أربعين سطراً بأشياء وآخر القول أنه أفتــى بتكفيــره ووافقه على ذلك الشيخ شهاب الدين ابن جهبل الشافعى وكتب تحت خطه كذلك المالكى وكذلك كتب غيرهم ووقع الاتفاق على تضــليله

بذلك وتبديعه وزندقته ثم أراد النائب أن يعقد لهم مجلساً ويجمع العلماء والقضاة فرأى أن الأمر يتسع فيه الكلام ولابد من إعلام السلطان بما وقع فأخذ الفتوى وجعلها في مطالعه وسيرها فجمع السلطان لها القضاة فلما قرئت عليهم أخذها قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة وكتب عليها " القائل بهذه المقالة ضال مبتدع " ووافقه على ذلك الحنفي والحنبلي فصار كفره مجمعاً عليه(١) ثم كتب كتاب إلى دمشق بما يعتمده نائب السلطنة في أمره وفي يوم الجمعة عاشر شهر شعبان حضر كتاب السلطان إلى نائب البلد وأمره أن يقرأ على السدة في يوم الجمعة فقرئ وكان قارئ الكتاب بدر الدين بن الأعزازي الموقع والمبلغ ابن النجيبي المؤذن ومضمون الكتاب بعد البسملة . أدام الله تعالى نعمه ونوضح لعلمه الكريم ورود مكاتبته التي جهزها بسبب ابن تيمية فوقفنا عليها وعلمنا مضمونها في أمر المذكور وإقدامه على الفتوى بعد تكرير المراسيم الشريفة بمنعه حسب ما حكم به القضاة وأكابر العلماء وعقدنا بهذا السبب مجلساً بين أيدينا الشريفة ورسمنا بقراءة الفتوى على القضاة والعلماء . فذكروا جميعاً من غير خلف أن الذي أفتى به ابن تيمية في ذلك خطأ مردود عليه وحكموا بزجره وطول سجنه ومنعه من الفتوى مطلقاً وكتبوا خطوطهم بين أيدينا على ظاهر الفتوى المجهزة بنسخة ما كتبه ابن تيمية وقد جهزنا إلى الجناب العالي طي هذه المكاتبة فيقف على حكم ما كتب به القضاة الأربعة ويتقدم اعتقال المذكور في قلعة دمشق ويمنع من الفتوى مطلقاً ويمنع الناس من الاجتماع به والتردد إليه تضييقاً عليه

---

(١) لينظر هذا المغرورون اهـ مصححه

لجرأته على هذه الفتوى فيحيط به علمك الكريم ويكـون اعتمـاده بحسب ما حكم به الأئمة الأربعة وأفتى به العلمـاء فـي السـجن للمذكور وطول سجنه فإنه فى كل وقت يحدث للناس شـيئاً منكـراً وزندقة يشغل خواطر الناس بها ويفسد على العوام عقولهم الضعيفة وعقلياتهم وعقائدهم فيمنع ما ذلك وتسد الذريعة منه فلـيكن عملـه على هذا الحكم ويتقدم أمره به وإذا اعتمد الجناب الرفيع العالى هذا الاعتماد الذى رسمنا به فى أمر ابن تيمية فيتقدم منـع مـن سـلك مسالكه أو يفتي بهذه الفتاوى أو يعمل بها فى أمر الطلاق أو هـذه القضايا المستحدثة وإذا اطلع على أحد عمل بذلك أو أفتى به فيعتبر حاله فإن كان من مشايخ العلماء فيعزر تعزير مثله وإن كان مـن الشبان الذين يقصدون الظهور كما يقصـده ابـن تيميـة فيـؤديهم ويردعهم ردعاً بليغاً ويعتمد فى أمر ما يجسم به مواد أمثاله لتستقيم أحوال الناس وتمشى على السداد ولا يعود أحد يتجاسر على الإفتاء بما يخالف الإجماع ويبتدع فى دين الله عز وجل من أنواع الاقتراح مالم يسبقه أحد إليه فالجناب العالى يعتمد هذه الأمور التى عرفنـاه إياها الآن وسد الذرائع فيها وقد عجلنا بهذا الكتاب وبقيـة فصـول مكاتبته تصل بعد هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . وكتب في سـابع عشرين رجب سنة ست وعشرين وسبعمائة : صورة الفتوى مـن المنقول من خط القضاة الأربعة بالقاهرة على ظاهر الفتوى . الحمد لله هذا المنقول باطنها جواب عن السؤال عن قولـه : إن زيـارة الأنبياء والصالحين بدعة وما ذكره من نحو ذلك وإنه لا يـرخص بالسفر لزيارة الأنبياء . باطل مردود عليه . وقـد نقـل جماعـة من العلماء : أن زيارة النبى صلى الله عليه وسلم فضيلة وسـنة

مجمع عليها وهذا المفتى المذكور ينبغى أن يزجر عن مثل هذه الفتاوى الباطلة عند الأئمة والعلماء ويمنع من الفتاوى الغريبة ويجلس[1] إذا لم يمتنع من ذلك ويشهر أمره ليحتفظ الناس من الاقتداء به وكتبه محمد ابن إبراهيم ابن سعد الله بن جماعة الشافعى . وكذلك يقول محمد بن الجريرى الأنصارى الحنفى لكن يحبس الآن جزماً مطلقاً وكذلك يقول محمد ابن أبى بكر المالكى ويبالغ فى زجره حسبما تندفع به المفسدة وغيرها من المفاسد . وكذلك يقول احمد بن عمر المقدسى الحنبلى . ووجدوا صورة فتوى أخرى يقطع فيها بأن زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقبور الأنبياء معصية بالإجماع مقطوع بها وهذه الفتوى هى التى وقف عليها الحكام وشهد بذلك القاضى جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينى فلما رأوا خطه عليها فتحققوا فتواه فغاروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم غيرة عظيمة وللمسلمين الذين ندبوا إلى زيارته وللزائرين من أقطار الأرض واتفقوا على تبديعه وتضليله وزيغه وأهانوه ووضعوه فى السجن . وذكر الشيخ الإمام العلامة شمس الدين الذهبى بعض محنته وأن بعضها كان فى سنة خمس وسبعمائة وكان سؤالهم عن عقيدته وعما ذكر فى الواسطة وطلب وصورت عليه دعوى المالكى فسجن هو وأخواه بضعة عشر شهراً ثم أخرج ثم حبس فى حبس الحاكم وكان مما ادعى عليه بمصر أن قال (الرحمن استوى على العرش) حقيقة وأنه تكلم بحرف وصوت ثم نودى بدمشق وغيرها : من كان على عقيدة ابن تيمية حل ماله

---

(١) ظاهر أن اللفظ ويحبس لا يجلس ا هـ مصححه

ودمه(١) . وذكر أبو حيان النحوى الأندلسى فى تفسيره المسمى **بالنهر** فى قوله تعالى : ﴿ **وسع كرسيه السموات والأرض** ﴾ ما صورته وقد قرأت فى كتاب لأحمد ابن تيمية هذا الذى عاصرناه وهو بخطه سماه كتاب **العرش** (إن الله يجلس على الكرسى) وقد أخلى مكاناً يقعد معه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تحيل عليه التاج محمد بن على بن عبد الحق وكان من تحيله عليه أنه أظهر أنه داعية له حتى أخذ منه الكتاب وقرأنا ذلك فيه . ورأيت فى بعض فتاويه أن الكرسى موضع القدمين وفى كتابه المسمى **بالتدمرية** ما هذا لفظه بحروفه بعد أن قرر ما يتعلق بالصفات المتعلقة بالخالق والمخلوق (ثم من المعلوم أن الرب لما وصف نفسه بأنه حى عليم قادر لم يقل المسلمون أن ظاهر هذا غير مراد لأن المفهوم ذلك فى حقه مثل مفهومه فى حقنا فكذلك لما وصف نفسه أنه خلق آدم بيديه لم يوجب ذلك أن ظاهره غير مراد لأن مفهوم ذلك فى حقه مثل مفهومه فى حقنا) هذه عبارته بحروفها وهى صريحة فى التشبيه المساوى كما أنه جعل الاستواء على العرش مثل قوله تعالى : ﴿ **لتستووا على ظهوره** ﴾ تعالى الله وتقدس عن ذلك وقال فى الكلام على حديث النزول المشهور (أن الله ينزل إلى سماء الدنيا إلى مرجة خضراء وفى رجليه نعلان من ذهب) هذه عبارته الزائغة الركيكة وله من هذا النوع وأشباهه مغالاة فى التشبيه حريصاً على ظاهرها واعتقادها وإبطال ما نزه الله تعالى به نفسه فى أشرف كتبه وأمر به عموماً وخصوصاً ، وذكره إخباراً عن الملأ الأعلى والكون العلوى والسفلى . ومن

---

(١) ليتأمل العاقل هذا ثم ليتأمله ا هـ مصححه

تأمل القرآن وجده مشحوناً بذلك وهذا الخبيث لا يعرج على ما فيه التنزيه وإنما يتتبع المتشابه ويمعن الكلام فيه وذلك من أقوى الأدلة على أنه من أعظم الزائغين ومن لـــه أدنى بصيرة لا يتوقف فيمـــا قلته إذا القرائن لها اعتبار في الكتاب والسنة وتفيد القطـــع وتفيـــد ترتب الأحكام الشرعية لاسيما في محل الشبه . قال بعض الســلف رضى الله عنهم ، الإعراض عن الحق والتســخط لــــنه علامـــة الركون إلى الباطل . وطريق الحق دقيق وبعيد ، والصـــبر معـــه شديد ، والعدو لا يزال عنه يحيد ، وأثقال الحق لا يحملها إلا مطايا الحق ، وقال بعض السلف : داعى الحق داعى رشد ليس للشيطان يد فيه ، ولا للنفس فيه نصيب ، وداعـــى الباطـــل مـــن نزعـــات الشيطان وهوى النفس ومتبعها هالك لا محالة لأنـــه عـــاص فـــى صورة طائع : ومبعد فى صورة مقرب : وصدق ونصح رضى الله عنه فقد هلك بسبب ذلك خلـــق لا يحصـــون عـــداً : ولا يمكـــن ضبطهم حداً . قال العلماء : أن وسوسة التشبيه من إبليـــس فـــالرد عليه وإبطال وسوسته أن يقول فى نفسه كل ما تصور فى صدرى فالرب بخلافه فإنه لا يتصور فى صدرى إلا مخلوق لـــه كيفيـــة ومثل . والرب سبحانه وتعالى لا مثل له ولا كيفية فما مثـــل فـــى صدرى فهو غير ربى فهو سبحانه وتعالى موحد الذات والصفات . وسُئل على رضى الله عنه عن التوحيد والعدل فقال : (التوحيد أن لا تتوهمه والعدل أن لا تتهمه) وقال يحيى بن معاذ : (التوحيـــد فى كلمة واحدة ما تصور فى الأوهام فهو بخلافـــه) وقـــال علـــى رضى الله عنه : (ليس لصفته حد محدود ، ولا نعـــت موجـــود) وقال رضى الله عنه : (أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق

به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيـده ، الإخـلاص لــه وكمال الإخلاص لــه نفي الصفات المحدثة عنه فمن وصفه بحادث فقد قرنه . ومن قرنه فقد فناه[١] ومن فناه فقد جزأه ومن جزأه فقد جهله ومن أشار إليه فقد حده ومن حده فقد عده) قــال المحققون : (من اعتقد فى الله سبحانه وتعالى ما يليق بطبعه فهو مشبه لأنــه سبحانه وتعالى منزه عما يصفه به أو يتخيله لأن ذلك من صــفات الحدث) وسُئل أعنى علياً رضى الله عنه (بم عرفــت ربــك) فقال : (عرفته بما عرف به نفسه لا يدرك بــالحواس ولا يقــاس بالناس قريب فى بعده بعيد فى قربه فوق كل شئ ولا يقــال تحتــه شئ وأمام كل شئ ولا يقال أمامه شئ وهو فى كل شئ لا كشئ فى شئ فسبحان من هو هكذا وليس هكذا غيره) وقال أيضاً رضى الله عنه : (عرفنا الله سبحانه وتعالى نفسه بلا كيف ، وبعــث سـيدنا محمد ﷺ بتبليغ القرآن وبيان المفصلات للإسلام والإيمان وإثبــات الحجة وتقويم الناس على منهج الإخلاص فصدقته بما جاء بـــه) وقال الإمام الحافظ محمد بن على الترمــذى صــاحب **التصــانيف المشهورة** (من جهل أوصاف العبودية فهو بنعت الربوبية أجهل) قال جعفر فى قولــه تعالى : ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ هو الذى لم يعطِ لأحد من معرفته غير الاسم والصفة . وقيل هو الــذى لا يــدرك حقيقة نعوته وصفاته إلا هو وقولــه تعالى : ﴿ **الله الصمد** ﴾ قيــل هو الذى أيست العقول من أن تطلع عليــه أو تــدرك ما وصــف به نفسه ونسب إليه . وقيل هو السيد الذى لا نهاية لسؤدده . وقيــل هو المصمود إليه فى الحوائج . وقيل هو الذى لا يستغنى عنه شئ

---

(١) قولــه فناه هى ثناه ا هـ مصححه

من الأشياء . وقال ابن عباس رضي الله عنه معناه الذى لا جوف له . وقيل غير ذلك وقوله : ﴿ **لم يلد ولم يولد** ﴾ نفى الجنسية والبعضية وقوله : ﴿ **ولم يكن له كفوا أحد** ﴾ نفى الشريك والنظير فهو الذى لا نظير له في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله فتعالى أن تدركه الأوهام والعقول والعلوم بل هو كما وصف نفسه والكيفية عن وصفه غير معقولة ولا موهومة كيف يكون ذلك وهو قديم الذات والصفات والتخيل إنما يكون فى المحدثات . وسُئل الإمام العلامة أبو الحسن الدينورى عن الاستدلال بالشاهد على الغائب فقال : كيف يستدل بصفات من يشاهد ويعاين وذو مثل على من لا يشاهد ولا يعاين فى الدنيا ولا نظير له ولا مثل هذا من جهل الجاهلين بالآيات التى قلبوا بها حقائق الأمور فجعلوا الآيات صفات ومعنى الآيات العلامات . وهو كلام إمام محقق وقد ذل خلق كثير بمثل ذلك . فسبحان الأحدى الذات العلى الصفات المنزه عن الآلات . المقدس عن الكفيات . المنزه عن مشابهة المخلوقات تعالى عما يقوله من الالحاقات . كيف يقاس القادر بالمقدورات والصانع بالمصنوعات وهي من آيات البينات الظاهرات : رفع السموات وبسط الأرض وثبتها بالأوتاد الراسيات وأتحفها بالمزن الماطرات . فزهت بأنواع النباتات المختلفات كذلك يحيى الموتى : ﴿ **اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات** ﴾ قال أرباب البصائر وذوو التحقيقات : ليس كذاته ذات ، ولا كاسمه اسم من جهة المعنى ولا لصفته صفة من جميع الوجوه إلا من جهة موافقة اللفظ وكما لم يجز أن يظهر من مخلوق صفة قديمة كذلك يستحيل أن يظهر من الذات الذى ليس كمثله شئ صفة حديثة وأن

التكرار من حدوث الصفة جل ربنا أن يحدث لـــه صفة أو اســـم إذ لم يزل بجميع صفاته واحداً ولا يزال كذلك وكل أمـــور التوحيـــد والتفريد خرجت[١] من هذه الكلمة ليس كمثله شئ لأنه ما عبر عن الحقيقة بشئ إلا والعلـــة مصحوبة والعبـــارة منقوصة لأن الحـــق لا ينبعث[٢] اقداره إلا على إقرار لأن كل ناعـــت مشـــرف علـــى المنعوت وجل ربنا أن يشرف عليه مخلوق . احتجب عـــن خلقـــه بخلقه ثم عرفهم صنعه بصنعه وساقهم إلى أمره بأمره فـــلا يمكـــن الأوهام أن تناله ولا العقول أن تختاله[٣] . ولا الأبصار أن تمثلـــه ولا الأسماع أن تستمله[٤] ، ولا الأماني أن تمتحنه هو الذى لا قبل لـــه : ولا مقصر[٥] عنه ولا معدل ولا غاية وراءه ولا مثل ، ليس لـــه أمد ولا نهاية ولا غاية ولا ميقات ولا انقضـــاء ، ولا يستـــره حجاب ولا يقلـــه مكان ولا يحـــويه هواء ، ولا يحتاطه[٦] فضـــاء ولا يتضمنه خلاء ﴿ **ليس كمثله شئ وهو السميع البصير** ﴾ . قال ابن عباس رضى الله عنهما (معنى الآية ليس له نظيـــر) وقيـــل الكاف صلة أعنى زائدة فالمعنى ليس مثله شئ . وقيل المثل صـــلة فالمعنى ليس كهو شئ فأدخل المثل للتأكيد فمن الجهـــل البـــين أن يطلب العبد درك ما لا يدرك وأن يتصور ما لا يتصور كيف وقـــد نزه نفسه بنفسه عن أن يدرك بالحواس . أو يتصور بالعقل الحادث

(١) أى ظهرت للمؤمنين وفهموها من هذه الكلمة ا هـ مصححه

(٢) قولـــه لا ينبعث هو لا تنعت الخ بدليل قولـــه بعد ذلك لأن كل ناعـــت الـــخ ا هـــ مصححه

(٣) يريد أن تتخيله ا هـ مصححه

(٤) لعلها تشمله أى هو ليس من جنس الأصوات فتسمعه الأسماع ا هـ مصححه

(٥) لعلها مفر ا هـ مصححه

(٦) لعل الأصل ولا يحيط به ا هـ مصححه

والقياس . فلا يدركه العقل الصحيح من جهة التمثيل . ويدركه من جهة الدليل . فكل ما يتوهمه العقل فهو جسم ولا[1] نهاية في جسمه وجنسه ونوعه وحركته وسكونه مع ما يلزمه من الحدود والمساحة ومن الطول والعرض وغير ذلك من صفات الحدث تعالى الله عن ذلك فهو الكائن قبل الزمان والمكان المحدثين وهو الأول قبل سوابق العدم . الأبدى بعد لواحق القدم ليس كذاته ذات ولا كصفاته صفات جلت الذات القديمة الواجبة الوجود التى لم تسبق بقدم[2] أن تكون كالصفة الحديثة قال تعالى : ﴿ **أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً** ﴾ فهو سبحانه وتعالى احتجب عن العقول والأفهام كما احتجب عن الإدراك والأبصار فعجز الخلق عن الدرك والدرك عن الاستنباط وانتهى المخلوق إلى مثله وأسنده الطلب إلى شكله : قال الصديق رضى الله عنه : العجز عن درك الإدراك إدراك . وقال رضى الله عنه : سبحان من لم يجعل للخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته فهو سبحانه عليم قدير سميع بصير لا يوصف علمه ولا قدرته وسمعه وبصره بما يوصف به المخلوق ولا حقيقته وكذلك علوه واستواؤه إذا الصفة تتبع الموصوف فإذا كانت حقيقة الموصوف ليست من جنس حقائق سائر الموصوفات فكذلك حقيقة صفاته فأجهل الناس وأحمقهم وأجحدهم للحق . من يشبه من ليس كمثله شئ بالمخلوق المصنوع فى شئ من صفاته وأفعاله وذاته ﴿ **تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً** ﴾ لأنه سبحانه وتعالى وصفاته مصون عن الظنون الكاذبة

---

(١) قوله ولا نهاية صوابه وله نهاية الخ كما هو ظاهر ا هـ مصححه

(٢) قوله بقدم هو بعدم كما هو واضح ا هـ مصححه

والأوهام السخيفة وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾ أي ما وصفوه حق وصفه . وقيل ما عظموه حق عظمته . وقيل ما عرفوه حق معرفته . وقيل غير ذلك . قال بعض أهل المعاني والقلوب لا يعرف قدر الحق إلا الحق وكيف يقدر أحد قدره وقد عجز عن معرفة قدره الوسائط والرسل والأولياء والصديقون ثم قال : ومعرفة قدره أن لا تلتفت عنه إلي غيره ولا تغفل عن ذكره ولا تفتر عن طاعته إذا ذاك[1] عرفت قدر ظاهر قدره وأما حقيقة قدره فلا يقدر قدرها إلا هو وصدق لأن الخلق تعجز عن تنزيهه بما يستحقه من كمال صفاته وعظم ذاته ولهذا نزه سبحانه نفسه بقوله : ﴿ **سبحان ربك رب العزة عما يصفون** ﴾ وفي هذا غاية الحث على كثرة التنزيه ودوامه مع أمره لأكمل خلقه في قوله تعالى : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾ مع غير ذلك مما في أشرف الكتب مما أذكر بعضه . فقوله : ﴿ **سبح اسم ربك** ﴾ أي قل سبحان ربي الأعلى والمعنى نزه اسم ربك واذكره وأنت له معظم وقيل نزه عن المعاني المفضية إلي نقصه . وقيل نزه اسمه عن الكذب إذا أقسمت به وقيل لفظ اسم زائد وفي الكلام حذف المعنى نزه مسمى ربك الذي خلق فسوى أي مخلوقه بأن خلقه مستوياً بلا تفاوت فيه وفي أعضائه وغير ذلك من مخلوقاته فإن من هذا من بعض مصنوعاته يستحق التنزيه فكيف بمخلوقات أخرى يعجز الخلق عن إدراكها لعظمها وكلها على اختلاف أجناسها وأنواعها كل يسبحه بلغته وبما يليق بجلاله قال تعالى : ﴿ **تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وأن من شئ إلا يسبح بحمده**

---

(١) أي لو كنت كما ذكر تعرف قدر الخ اهـ مصححه

ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ وقال : ﴿ **والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه** ﴾ قال مجاهد تسبيح المخلوقات هو تنزيه خالقها وتوحيده بما يستحقه من كمال صفات عظم ذاته . قيل يفقه تسبيحهم العلماء الربانيون الذين انفتحت أسماع بصائرهم والمنورون البصائر الذين يشاهدون كل شئ مرقوماً عليه بقلم القدرة وهو الملك القدوس وقال مجاهد : كل الأشياء تسبح حيواناً وجماداً وتسبيحها سبحان الله وبحمده . وروى ابن السنى أنه عليه الصلاة والسلام قال : (ما تستقبل الشمس فيبقى شئ من خلق الله تعالى إلا سبح الله تعالى وحمده إلا ما كان من الشيطان وأغبياء بنى آدم فقيل ما أغبياء بنى آدم فقال : شرار الخلق) وقال شهيب[١] ابن حوشب حملة العرش ثمانية أربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وقال هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس فالملك اسم من أسمائه تعالى وكذا مليك وهو صفة مبالغة فى الملك قال تعالى : ﴿ **عند مليك مقتدر** ﴾ فالملك هو المستغنى عن كل شئ ويفتقر إليه كل شئ ونافذ حكمه فى مملكته طوعاً أو كرهاً . وقيل هو القادر على الإبداع والإنشاء والإعدام وهذا على الحقيقة لا يكون إلا لله ﷻ أبدع المكونات العلويات والسفليات الجليات والخفيات أبدعها بقدرته ورتبها على اختلاف أطوارها بحكمته فكل ما برز فهو مقهور الوجود بكن . وكل ما انعدم فهو مقهور العدم بكن وبهذا يعلم أن اطلاق الملك على ما سواه أمر مجازى إذ المملوك لا يكون مالكاً لأن من هو تحت قهر الأغيار

---

(١) معروف هذا الاسم بشهر ! هـ مصححه

فهو كالعدم ولهذا لما تحقق أرباب القلوب أن الملك لله ﷻ تحققاً قلبياً سكنت أنفسهم عن وصف الإضافات وتبرءوا من الحول والقوة حتى بالإشارات فلا يقول منى ولا لى حتى قيل لبعضهم : ألك رب فقال أنا عبد وليس لي نملة ، ومن أنا حتى أقول لى فهذا وأمثاله صفى نفسه عن رعونة البشرية وهواها وفك ربقة رق خيالاتها الباطلة ومناها ومحض رق العبودية لمولاها فترى الملوك الجبابرة مع جبروتهم يخضعون ويتذللون له ولهذا تتمات ليس هذا المقام مقامها إذا الغرض التنزيه : والقدوس من أسمائه ﷻ سمى نفسه بذلك ليرشدك إلى تقديسه كما أشار إلى ذلك بقوله تعالى : ﴿ **يسبحون الليل والنهار لا يفترون** ﴾ وفيه الحث على دوام التقديس فالقدوس قيل هو المنزه عما لا يليق به من الأضداد والأنداد وقيل هو المنزه والمطهر من النقائص والعيوب وهاتان غير مرضيين عند المحققين . قال حجة الإسلام الغواص الغزالى : وهذا فى حق البارى سبحانه وتعالى يقارب ترك الأدب كما أنه ليس من الأدب أن يقال لملك ليس بحائك ولا بحجام لأن نفى الوجود يكاد يوهم إمكان الوجود وفى ذلك الإيهام نقص بل القدوس المنزه عن كل وصف يدركه حس يتصوره وهم أو يسبق إليه فكر أو يهجس به سراً أو يختلج به ضمير أو يسنح له خفى خيال وقد أجاد رضى الله عنه . وههنا فائدة جليلة للمنزه والمشبه وهى أنه ينبغى للعبد أن يجعل له حظاً وافراً من تكرير هذا الاسم والإمعان فى معناه فإن كان منزهاً عطف ذلك عليه وقدس نفسه وقلبه وبدنه أما نفسه فيطهرها من الأوهام المذمومة كالغضب والحقد والحسد وسوء الظن والكبر وحب الشرف والعلو

وحب الدنيا ولوازمها وغير ذلك ويبدلها بالأوصاف المحمودة فيطهرها أيضاً عن العاهات والشهوات وما تدعوا إليه من المستحسنات والمألوفات إذ هى أزمة الشيطان يقود بها إلى ارتكاب الموبقات . وأما القلب فيطهره بالعقد الصحيح المطابق الجازم وبالمبادرة إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهى والأهواء وتحقيق الإخلاص نية وقولاً وعملاً وبالرضى بما جرى فلا يأسف على فائت ولا يفرح بآت وذلك يرجع إلى ذوق حلاوة الإيمان القلبى لا العملى وعلامته تقديس القلب عن ملاحظة الأكوان ولا يرى الأغيار إلا على العدم الأصلى فلا يتحرك فى ظاهره ولا باطنه حتى فى أنفاسه إلا بالله ﷻ وأما البدن فيطهره بماء الجوع ويكفنه بدوام التقشف ويحنطه بالعزلة ويطيبه بدوام الذكر والفكر ويدفنه فى لحد الخوف فإذا قدسه بذلك ذهب مغناه وبقى معناه فإذا اجتمعت له هذه التقديسات ذهبت أوصافه القواطع والموانع ولاح له خزائن أسرار الآيات فى معارج ترداد الآيات فأثمر له ذلك كشف أسرار الملكوتيات فيثمر له ذلك الشوق إلى رؤية مطلوبة فلا شئ أشهى إليه من الموت لأنه لا سبيل إلى الوصول إلى محبوبه إلا به فمن أراد أن يجلسه فى حضرة القدس على منابر التقديس فليجر على هذا التأسيس : ومر إبراهيم ابن أدهم قدس الله روحه بسكران مطروح على قارعة الطريق وقد تقيأ فنظر إليه وقال بأى لسان أصابته هذه الآفة وطهر فمه ومضى فلما أفاق السكران أخبر بما فعله به إبراهيم فخجل وتاب وحسنت توبته فرأى إبراهيم فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول غسلت لأجلنا فمه فلا جرم أنا طهرنا لأجلك قلبه : وأما المشبه والمجسم فلأنه بتكرار هذا الاسم يتعقل معناه

فيضئ له نور فينكشف له حجاب الضلال فإذا حقق المعنى المــراد منه ظهر له نوره فأحرق حجاب الضلال فصفى قلبه للحــق وزاح الباطل وقد وقع ذلك لبعض الغلاة فى التشبيه والتجسيم مــر يومــاً على هذه الآية : ﴿ **هو الله الذى لا إله إلا هو الملــك القــدوس** ﴾ فكرر هذا الاسم وتعقل معناه فقال والله إنا لفى ضلال مبــين بــين فبادر فى الحال وأتى بالشهادتين وقال والله لا يخلصنى إلا استئناف العمل . فانظر أرشدك الله تعالى إلى بركة تكرير هذا الاسم العظيم في حق أهل التنزيه والتشبيه والله أعلم . ثم تمام التقديس لا يحصل إلا بالتمكن بعد كمال التوحيد وحقيقة التوحيد تكون باعتبار الــذات وباعتبار الفعل فتوحيد الذات ينفى الحدوث وثبوت الأحديــة ينفــى الأضداد وثبوت الذات ينفى التشبيه ويحير العقل فى بحــر الإدراك وأما توحيد الأفعال فهو شهود القدرة فى المقدور ثم الاستغراق فى أنوار العظمة فيغيب بذلك عن الموجودات وتبقــى القــدرة بــارزة بأسرار التوحيد ثم الاستغراق فى أنوار المحو فيغيب عــن رؤيــة القدرة بالقادر . ومن مقدوراته جل وعلا ما ذكره فى قوله تعــالى : ﴿ **يوم يقوم الروح** ﴾ قــال أبو الفرج بن الجوزى روى عن علــى ﷺ فى تفسيرها أن الروح ملك عظيم له سبعون ألف وجه فى كل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله تعــالى بتلك اللغات كلها يخلق الله ﷻ من كل تسبيحة ملكــاً يطيــر مــع الملائكة إلى يوم القيامة . وقال ابن مسعود ﷺ الروح ملك عظــيم أعظم من السموات والأرضين والجبال والملائكة يسبح كــل يــوم ألف ألف تسبيحة يخلق الله سبحانه وتعــالى من كل تسبيحة ملكــاً يجئ يوم القيامة صفــاً والملائكة بأســرهم يجيئون صفــاً . قــال

ابن عباس : وهو الذى ينزل ليلة القدر زعيم الملائكة وبيده لواء طوله ألف عام فيغرزة فى ظهر الكعبة ولو أذن الله ﷻ له أن يلتقم السموات والأرض لفعل وقيل الروح هنا جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل هو ملك ما خلق الله بعد العرش خلقاً أعظم منه وقيل غير ذلك . روى أنه عليه الصلاة والسلام قال رأيت على كل ورقة من السدرة ملكاً قائماً يسبح الله ﷻ ومراده سدرة المنتهي سميت بذلك لأنها لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم ولا يعلم ما وراءها إلا الله ﷻ وهى شجرة نبق على يمين العرش عندها جنة المأوى يأوى إليها الملائكة عليهم السلام وقيل أرواح الشهداء وقيل أرواح المتقين وقال الله تعالى : ﴿ **تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام** ﴾ معنى تبارك جل وعظم ومعنى ذى الجلال المستحق للرفعة وصفات التعالى ونعوت الكمال جل أن يعرف جلاله غيره تنزه وعظم شأنه عما يقول فيه المبطلون لأن كل شئ يثنى عليه بقدرته وكل ذاكر يذكره على قدر طاقته وطبعه وعلمه وفهمه والحق جل جلاله ذكره خارج عن أوهام الآدميين لأن الحادث ناقص بقهر الإيجاد والفناء والمعارف(١) دون الغايات الجلالية فسبحانه ما أثنى عليه حق ثنائه غيره ولا وصفه بما يليق به سواه عجز الأنبياء والرسل بأجمعهم عن ذلك قال أجلهم قدراً وأرفعهم محلاً وأبلغهم نطقاً مع ما أعطى من جوامع الكلم (لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) وأما(٢) الإكرام

---

(١) لم يظهر لى هذه العبارة معنى فلتحرر ا هـ مصححه

(٢) ذو الإنعام ليس معنى الإكرام بل معنى ذو الإكرام فهنا لفظ ذو ساقط ا هـ

فمعناه ذو الإنعام والمنن على العام والخاص والطائع والعاصي ووصف سبحانه وتعالى نفسه بالكريم فى قوله : ﴿ **ما غرك بربك الكريم** ﴾ قال عمر رضى الله عنه لو قيل لى ما غرك بى لقلت جهلي بك غرني والكريم هو الذى إذا قدر عفا . وإذا وعد وفى ، وقيل هو الذى إذا أعطى زاد على منتهى الرجاء ولا يبالي لمن[1] أعطى وكم أعطى ولا يضيع من لاذ به والتجا ، وقيل هو الذى يغنى السائل عن الوسائل والشفعاء وإذا رفعت الحاجة إلى غيره لا يرضى ، وقيل هو الذى إذا أبصر خللا جبره وما أظهره وإذا أولى فضلاً أجزله ثم ستره . وقيل غير ذلك . فمن تأملِ القرآن الكريم وجده مشحوناً بالتقديس والإجلال والتعظيم وناطقاً بإضلال أهل الإلحاد والتجسيم والحيدة عن الصراط المستقيم وطريقة السلامة فى ذلك أن من أشكل عليه شيئ من المتشابه فى الكتاب والسنة فليقل كما أخبر سبحانه وتعالى فى كتابه المبين عن الراسخين فى العلم ومدحهم عليه فى قوله تعالى : ﴿ **والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا** ﴾ ويقول كما قال عليه الصلاة والسلام فى الحديث : (وما جهلتم منه فكلوه إلى عالمه) خرجه غير واحد منهم الإمام أحمد والنسائى وغيرهما . ويقول كما قاله الشافعي : آمنت بالله وما جاء عن الله على مراد الله وآمنت برسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم والراسخ فى العلم هو من طولع على محل المراد منه وسئل مالك عن الراسخين فى العلم فقال : العالم العامل بما علم

---

(١) لعلـه بما أعطى الخ ا هـ مصححه

المتبع لـــه . وقال عمر بن عبد العزيز : انتهى علـــم الراســـخين بتأويل القرآن إلى أن قالـــوا آمنا به كل من عنـــد ربنـــا . وقـــال بعضهم : للقرآن تأويل استأثر الله تعالى بعلمه لا يطلع عليه أحـــد من خلقه كما استأثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربهـــا ونحو ذلك والخلق متعبدون بالإيمان به ومتعبدون بالمحكم بالإيمان به وبالعمل به وقيل غير ذلك . ثم اعلم أنـــه حـــق علـــى اللبيـــب المعتصم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتمسك بالعروة الوثقى أن يثبت لله عز وجل ما قضى العقل بجوازه ونص الشرع على ثبوته فإن المشبهة أثبتوا لله ما لم يأذن فيه بل نهى عنه وهي زيغة سامرية ويهودية والمعطلة سلبوه ما اتصف به وسفهوه . ولقد أحسن أبو الحسن الأشعري في جوابه عن التوحيد حيث قال إثبات ذات غير مشبهة بالذوات ولا معطلة عن الصفات . شعر :

الله أكـــبر أن يكـــون لذاتـــه ... كيفية كذوات مخلوقاته
أو أن تقاس صفاتنا في كل ما ... نأتيه من أفعالنـــا بصفاته
أبداً عقول ذوي العقول بأسرها ... متحيرات في دوام حياته
لبديع صنعته عليه شواهد ... تبدو على صفحات مصنوعاته

فكل ما ترى عينك الباصرة فهو دلائل ظاهرة علـــى[1] العـــالم مخلوق بتقدير شامل وتدبير كامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية ولو جمعت عقول العقلاء عقلاً واحداً ثم تفكروا بذلك العقـــل فـــي جناح بعوضة حتى يجدوا تركيباً أحسن منه وأكمـــل لفنيـــت تلـــك العقول وانقطعت تلك الأفكار ولم تصل إلـــى درك ذرة مـــن ذرات حكمته في تلك البعوضة على سبيل الكمال والتمام فما الظن بـــذي

---

(١) هنا لفظ أن محذوف كما هو ظاهر اهـــ مصححه

الجلال تبا ثم تبا لأهل الضلال والجهل وما اعتقدوه من النقص مع تنزيه البحار وشوامخ الجبال فسبحان من تسبحه البحار الطوافح والجبال الشم والسحب السوائح ، والأمطار الطوامح ، والأفكار والقرائح ، تقدس عن مثل وشبيه ، وتنزه عن نقص يعتريه . يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور من سر أضمرته الجوانح ، تعالى عن الند المماثل والضد المكارح . يفعل ما يشاء . ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن هلك الجاهل والمكافح ، متكلم بكلام[١] مسموع بالآذان[٢] بغير آلات ولا أدوات ولا جوارح ، أين لهوات الحصى وحلقوم الجذع وجارحتهما فما أجهلك بقوله تعالى : ﴿ **فلما جاءتهم آياتنا مبصرة** ﴾ نسب الأبصار إلى الآيات فأين الحذق يا قامح ، ومن آياته إنزال القطر بقدرته . وصبغ ألوان النبات والثمار بحكمته . مع مخالفة الطعوم بمشيئته ، وإرسال الرياح لواقح . موصوف بالسمع والبصر يرى فى الدجنة كما يرى فى القمر من شبهة أو كيفه طغى وكفر . هذا مذهب أهل الحق والسنة وإن دليلهم لجلى واضح . من شبهه أو مثل أو جسم فهو مع السامرة واليهود ومن حزبهم يوم تظهر المخبآت وتبلى السرائر وتبين الفضائح . وإن قيل عنه فى الدنيا أنه ولى صالح . هلك الهالكون بآرائهم لأنه عمل غير صالح وفاز المنزهون فيالها من صفقة رابح . هو الواحد المتوحد فى صفاته الأزلى الجبار . العظيم العزيز القهار تبارك وتعالى وتنزه عن درك الخواطر والأفكار . وسم كل مخلوق بميسم الافتقار . وأظهر آثار قدرته فى مخلوقاته

---

(١) المراد بهذا الكلام هو القرآن لأنه الذى يسمع ا هـ مصححه

(٢) قوله بغير آلات متعلق بمتكلم فليفهم ا هـ مصححه

ومن أظهرها السموات والأرض والبرارى والبحار ، والأعين والأنهار ، وجريانها على المدرار ، وتصريف السحاب المسخر بين السماء والأرض واختلاف الليل والنهار ، إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار يعلم حركات الأسرار ودبيب النملة السوداء فى الظلمة على سواد الصخور والأحجار ، نوع هذا العالم الإنسانى فمنهم شقى ومنهم سعيد وربك يخلق ما يشاء ويختار ، وصفاته كذاته والمشبهة والمجسمة أهل زيغ وكفار . نزه نفسه بنفسه وقدسها فمن شبه أو عطل فمأواه النار ، ومن أناب ورجع قبله وإن ارتكب العظائم الكبار . لأنه سبحانه وتعالى عزيز غفار ستار ، ومن بديع صنعته أن خلق اليوم وليلته . وقمر السماء وشمسه . وآدم عليه السلام وما مسه . علم ذلك المنزه فنزه قدسه ، وجهله أعمى البصيرة المشبه فتصور فيه جنسه . لأنه بجهله قاس الخالق جل وعلا على ما ألفه وأحسه ، فتراكم عليه غبار التشبيه فضاعت المحسه . وأما المعطل فجحد صفاته فما أغباه وما أخسه . وإذا كان الأمر كذلك ، فادفع المعطّل بيديك النقية . وألحق بالمشبه دفعه ورفسه .

* * *

مبحث الرد على ابن تيمية في قولـــه بفناء النار

واعلم : أنه مما انتقد عليه زعمه أن النار تفنى . وأن الله تعالى يفنيها وأنه جعل لها أمداً تنتهى إليه وتفنى . ويزول عـــذابها وهـــو مطالب أين قال الله عز وجل وأين قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم وصح عنه وقد سفه الله تعالى فى ذكره فى كتابه العزيز كما سفهه فى تنزيهه لنفسه وأتى بأمور إقناعية[1] صادم بها النصوص الصريحة فى دوام العذاب عليهم فمن ذلك قولـــــه تعـــالى : ﴿ **إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلمـــا نضـــجت جلـــودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب** ﴾ تبدل فى كل ســاعة مائـــة مرة وقال الحسن تأكلهم النار كل يوم سبعين ألــف مـــرة ﴿ **إن الله كان عزيزاً** ﴾ أى شديد النقمة على من عصاه وقيل العزيز الشـــديد القادر القوى وقيل الغلب الذى لا يغلب والقاهر الذى لا يقهر وقيل الذى لا نظير لـــه وقيل معناه المعز فيكون فعيـــل بمعنـــى مفعـــل كالأليم بمعنى المؤلم ونحوه . وقال أهل المعانى وأربـــاب القلـــوب العزيز من ظلت العقول فى بحار تعظيمه وحـــارت الألبـــاب دون إدراك نعته وكلت الألسن عن استيفاء مدح جلاله ووصـــف كمالـــه والقيام بشكر آلائه وقولـــه (حكيما) أى حكم على العـــداء بـــدوام العذاب كما حكم للأولياء بدوام النعيم فلا يعلم كنه حقيقـــة حكمتـــه غيره فلا شئ من الأشياء إلا وفيه شئ من حكمتـــه علـــى وفقـــه

---

(١) أى للعامة البله الذين يخالطوا المؤمنين أما من عرف دين الله عالما أو مخالطة فمعـــاذ الله أن يقتنع بغير كلام ربه فليعلم ا هـــ مصححه

لمناسبته (صنع الله الذى أتقن كل شئ) وقال تعالى : ﴿ **فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذقوا عذاب الحريق** ﴾ وقال : ﴿ **فلن نزيدكم إلا عذابا** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **كلما خبت زدناهم سعيرا** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إن عذابها كان غراما** ﴾ أى مقيماً ملازماً فكل عذاب يفارق صاحبه فليس بغرام والآيات فى ذلك كثيرة جداً وأما السنة فطافحة بذلك وتدل على إخراج المؤمنين دون غيرهم حتى يخرج من فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان وفى رواية مثقال ذرة من خير فأقول يا رب ما بقى فى النار إلا من حبسه القرآن أى وجب عليه الخلود قال الله تعالى : ﴿ **لهم فيها دار الخلد** ﴾ إلى غير ذلك ولأن العذاب يدوم بدوام سببه بلا شك ولا ريب وهو قصد الكفر وبقاء العزم عليه ولا شك أنهم لو عاشوا أبد الآباد لاستمروا على كفرهم وكذلك المؤمن يستحق الخلود وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام : (نية المؤمن خير من عمله) وفى معناه أقوال أخر فادعاء فناء النار بعد أمد نزعة يهودية ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ **وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة** ﴾ الآية أى قدراً مقدوراً ثم يذهب عنا العذاب وكانت اليهود تقول أن هذه الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب بكل ألف سنة يوماً ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام وقيل أربعين يوماً الذى عبد آباؤنا العجل فيها كانت تقول إن ربنا عتب علينا فى أمر فأقسم ليعذبننا أربعين يوماً فلن تمسنا النار إلا

تحلة القسم أربعين يوماً . فالرجل ســاع خلف سلفه كمــا تقــدم وكما يأتى .

* * *

مبحث الرد عليه فى القول بقدم العالم

ومما انتقد عليه : وهو من أقبح القبائح ما ذكــره فــى مصــنفه المسمى **بحوادث لا أول لها** وهذه التسمية من أقوى الأدلــة علــى جهله فإن الحادث مسبوق بالعدم[1] والأول ليس كذلك وبنى أمــره فيه على اسم من أسماء الأفعال ونفى المجاز فى القرآن وهو مــن الجهل أيضاً . فإن القرآن معجز ومحشو بالمجازات والاســتعارات حتى إن أول حرف فيه أحد أنــواع المجاز وتضمن هذا المصــنف مع صغره شيئين عظيمين تكــذيب الله عز وجل فى قولــه ﴿ **هــو الأول** ﴾ فجعل معه قديماً وتكذيب النبى صلى الله عليه وســلم فــى قولــه : (كان الله ولا شئ معه) وفى البخارى من رواية عمران ابن حصين رضى الله عنه كان الله ولم يكن شئ قبله ولــيس وراء ذلك زيغ وكفر فإن الدين ما قاله عز وجل وقاله رسولــه صلى الله عليه وسلم وقد قال : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهــو بكل شئ عليم** ﴾ هو الأول قبل كل شئ بلا ابتداء كان ولم يكن شئ موجوداً والآخر بعد فناء كل شئ بلا انتهاء ويبقى هو . والظــاهر هو الغالب على كل شئ والباطن هو العالم بكل شئ هذا معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما والأقــوال فى ذلك كثيرة ومنها قــول

---

(١) لعله (والذى لا أول لــه ليس كذلك) ا هــ مصححه

أبى القاسم الجنيد : نفى القدم عن كل أول بأوليته ونفى البقاء عن كل آخر بأخريته واضطر الخلق إلى الإقرار بربوبيته لظاهريته وحجب الإدراك عن إدراك كنهه وكيفيته بباطنيته وقال أيضاً : هو الأول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وقال السيد الجليل محمد بن الفضل : الأول ببره والآخر بعفوه والظاهر بإحسانه والباطن بستره . ومن حق العبد أن يجعل له حظاً من هذا الخطاب فيزين ظاهره بأنواع الخدمة ويزين باطنه بأنوار الهيبة ويحقق جميع أفعاله وحركاته وسكناته وسائر طاعاته وقرباته بالصدق والإخلاص لقوله ﷻ : ﴿ والله بكل شئ عليم ﴾ وسأل عمر رضى الله عنه كعب الأحبار عن معنى هذه الآية فقال إن علمه بالأول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن (**ومما انتقد عليه**) : تكذيبه النبى صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن نبوته فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال عليه الصلاة والسلام : (وآدم بين الروح والجسد) وفى رواية (وإن آدم لمنجدل فى طينته) وتكلم بكلام لبس فيه على العوام وغيرهم من سيئ الأفهام يقصد بذلك الازدراء برسول الله ﷺ والحط من قدره ورتبته . وما فيه رفعة يسكت عنه يفهم ذلك منه كل عالم امتلأ قلبه بعظمته ﷺ وتوقيره وبما خصه الله تعالى من مزايا المواهب الإلهية التى لم ينلها غيره .

وهذا الخبيث حريص على حط رتبته والغض منه تارة يقع ذلك منه قريباً من التصريح وتارة بالإشارة القريبة وتارة بالإشارات البعيدة التى لا يدركها إلا أهلها فمن ذلك وقد سئل على ما زعم

أيهما أفضل مكة أو المدينة ؟ فأجاب مكة أفضل بالإجماع وكتبه أحمد ابن تيمية الحنبلى وعليها خطه وأنا أعرف خطه وفى هذا الجواب دسائس وفجور ورمز بعيد فمن الفجور نسبته نفسه إلى الإمام أحمد والإمام أحمد واتباعه برءاً منه ومما هم(١) عليه وهو لا يلتفت إليه إلا إذا كان له فى ذكره غرض أما إذا لم يكن فلا يلوى على قوله ويسفهه حتى فيما ينقله ويكفره فيما يعتقده إذا كان على خلاف هواه . ومن مواضع تسفيهه الإمام أحمد مسألة الطلاق فإن الإمام أحمد قال الذى أخبرنا بأن الطلاق واحدة أخبرنا بأن الطلاق ثلاث وعلى ذلك جرى الأئمة من جميع المذاهب فإذا كان الإمام أحمد غير ثقة فيمن يوثق وقال أعنى ابن تيمية فى الجواب عن المسألة المبسوطة : والإمام أحمد اعلم الناس فى زمانه بالسنة وبالغ فى الثناء عليه . فيالله العجب من هذا الأعمى البصيرة الذى لا يحس بتناقض كلامه كيف يجعل الإمام أحمد فيما له فيه غرض أعلم الناس بالسنة ويسفهه فيما لا غرض له فيه وهذا نحوه مما يأتى فى غير الإمام أحمد من أئمة الحديث يعرفك ما فى قلبه من الخبث وعمى بصيرته وأنه لا عليه فيما يقوله . ومن فجوره إدعاء الإجماع على ما يقوله ويفتى به كهذه الفتوى مع شهرة الخلاف فى المسألة حتى أنه مشهور فى أشهر الكتب المتداولة بين الناس وهو **الشفاء** فإنه ذكر الخلاف بين مكة والمدينة وأن مالكاً وأكثر أهل المدينة قائلون بأن المدينة أفضل من مكة وقال أهل مكة والكوفة مكة أفضل ومحل الخلاف فى غير الموضع الذى ضم سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم وأما هو فالإجماع منعقد

---

(١) هم هو اهـ مصححه

على أنه أفضل من مكة وسائر البقاع وممن حكى الإجماع القاضى عياض فى **الشفاء** بعد أن حكى الخلاف فى التفضيل بين مكة والمدينة فقال : ولا خلاف فى أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض وكذا ذكره الإمام هبة الله فى كتابه **توثيق عرى الإيمان** وذكر الإمام أبو زكريا يحيى النووى فى شرح مسلم ذلك فقال قال القاضى عياض أجمعوا على أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض وأقره على ذلك : فسكوت الخبيث عن مثل ذلك دليل على خبث فى باطنه فى حق سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم وفى هذه الفتوى رمز إلى عدم الاعتداد بقول عمر رضى الله عنه فإنه رضى الله عنه من القائلين بأن المدينة أفضل من مكة ويدل على ما قلته من الرمز[1] تخطئته فى الطلاق وعدم الاعتداد بذلك كما رمز إلى تكفير الصديق رضى الله عنه فى قوله فى بعض تصانيفه (من قال الله ورسوله فى أمر يلحقه فإنه يكون مشركاً) فإن الصديق رضى الله عنه لما قال النبى صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك قال أبقيت لهم الله ورسوله ويؤيد ماقلته ما هو مشهور فى كتبه وعند اتباعه لا ينبغى أن ينسب إلى غير الله تعالى ضر ولا نفع ولا أنه يغنى وهذا من الدسائس أيضاً فإنه يلبس به على كثير من الناس لاسيما الضعفاء فى العلم وأصحاب الأذهان الجامدة فهى كلمة حق أريد بها باطل وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ **وما نقموا إلا أن أغناهم الله**

---

(١) هنا لفظ إلى محذوف ا هـ مصححه

ورسوله من فضله ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله** ﴾ وغير ذلك فهذا نص القرآن العظيم على مثل هذا القول فى الذين يقولون أنه شرك ففي قولهم قدح فى القرآن وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاقراره الصديق رضى الله عنه على هذا القول الذى هو شرك(١) وهذا منهم كفر بيقين لأنه واجب وحتم لازم على كل أحد أن يؤمن بالقرآن وبما جاء به سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم عن رب العالمين من غير شك ولا ارتياب قال الله تعالى : ﴿ **ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول** ﴾ وقال : ﴿ **وآمنوا بالله ورسوله** ﴾ جمع بينها بواو العطف للشركة ولا يجوز هذا فى حق غيره عليه الصلاة والسلام ولما خطب عليه الصلاة والسلام أم سلمة رضى الله عنها فاعتذرت إليه بأعذار منها وأنا مؤتم مرملة فى أربعة من الولد فقال لها من جملة قوله وأما ولدك فهم ولد أخى أبى سلمة وهم على الله وعلى رسوله وقال : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله** ﴾ واعلم أن ما ذكرته من الرمز إلى الصديق والفاروق رضى الله عنهما وأن فيه إشعاراً بأنه رافضى هو كذلك وفى الرد على الرافضى أنه رافضى وهذا نبه عليه الشيخ زين الدين القرشى والشيخ زين الدين ابن رجب الحنبلى . نعم وقفت على مصنف لطيف له ولم يتم وفيه ما يدل على ما قالاه

---

(١) يعني في زعمهم ا هـ مصححه

وفي هذا الكتاب رمز إلى أنه من القائلين بتناسخ الأرواح(١) وبعض اتباعه الذين هم رسل فى التبعية يقع منه(٢) ما يدل على ذلك والله اعلم .

ومن الأمور الخبيثة التي وقفت عليها في فتاويه ما فيه أن بعض المكاسين مثاب في وظيفة المكس بل أبلغ من ذلك . وأقبض عنان الكلام فيه لما أخشى مما يترتب على التصريح من أهل المكس وتجرئهم عليه وقررما قاله بتقرير مقبول في شق وأهمل الآخر فلما وقفت على ذلك قب بدني وهجمت على الكلام في ذلك وكان شخص من الحنابلة يدعى بعلاء الدين ابن اللحام البعلبكي وكان عندهم عظيماً وصنف في مذهب الإمام فأتيته وهو في حلقة في الجامع الأموى وهم يقرءون عليه في بعض مصنفاته فسألته عن شئ يتعلق بمسألة تقرأ عليه في كتابه فما أجاب ثم أخرى فما أجاب ثم قلت ما هذه المسألة التي ذكرها الشيخ تقي الدين بن تيمية في المكس فقال وشرع يقرر ما قرره ابن تيمية فأخذت الشق الآخر وقررته فسكت ولم يجد جواباً فقلت يلزم أحد شيئين : إما بطلان ما قاله . أو تكفيره فقال هذه المسألة ما هي في فتاويه وأنا

---

(١) القول بتناسخ الأرواح كفر لأنه عبارة عن اعتقاد أن أرواح من يموتون تتصل بغيرهم فقد يكون روح للخواجة الذى مات اليوم روح أكبر عالم مرشد زاهد ورع بعد ذلك والعكس وقد يتصل روح الخنزير الذى مات بمحمد الذى ولد بعد ذلك ويعكس وقد يتصل بعد ذلك بكلب ثم بتصل بحمار ثم يتصل بنبى وهكذا إلى غير نهاية وهذا يقتضي أن لا بعث وأن لا جزاء فإن الروح لا يقف عند حد معلوم يجازى عليه بل قد يكون بحال يقتضى العذاب ويصبح بحال يقتضى النعيم ثم بحال لا يقتضى عذاباً ولا نعيماً وهكذا وهذا غير ما تنطق به الشرائع الإلهية كلها فهو مصادم للأنبياء ولما جاء به الأنبياء وكيف لا يكون ما هذا حاله كفراً وهذا المذهب لا دليل عليه من العقل مع كونه مع الشرع كما ذكرنا وذلك أن الأرواح ليست من عالم المحسوسات حتى نراها ونحكم عليها وهى لم تخبرنا عن نفسها بشئ فالجهالة بها مطلقة ا هـ مصححه

(٢) أى من ذلك البعض ا هـ مصححه

اختصرتها فهذه قاعدة من قواعدهم يبحثون مع الخصم فإن ظفروا به فلا كلام وإن ظفر بهم قالوا هذه ما هى فى كلامه فهم خلف إمامهم فى المكر والخديعة والكذب وقد خاب من افترى ، والله اعلم . ومن الأمور المنتقدة عليه ، وهو من أقبح القبائح وشر الأقوال وأخبثها مسألة التفرقة التى أحدثها غلاة المنافقين من اليهود وعصوا أمر النبى صلى الله عليه وسلم واستمر عليها اتباعهم الذين يظهرون الإسلام وقلوبهم منطوية على بغض النبى صلى الله عليه وسلم ولم يقدروا أن يتوصلوا إلى الغض منه إلا بذلك . وقد ذكر المسألة الأئمة الأعلام فاذكر بعض كلامهم فيها ثم أعود إلى تتميمه مستدلاً بأمور سمعية وغيرها تفيد جلالته وعظامته وحياته فى قبره صلى الله عليه وسلم وبقاء حرمته على ما كان عليه فى حياته ويقطع الواقف عليها أو على بعضها بأن القائلين بالتفرقة من متغالى أهل الزيغ والزندقة وأن ابن تيمية الذى كان يوصف بأنه بحر فى العلم لا يستغرب فيه ما قاله بعض الأئمة عنه من أنه (زنديق مطلق) وسبب قوله ذلك أنه تتبع كلامه فلم يقف له على اعتقاد حتى أنه فى مواضع عديدة يكفر فرقة ويضللها . وفى آخر يعتقد ما قالته أو بعضه مع أن كتبه مشحونة بالتشبيه والتجسيم والإشارة إلى الازدراء بالنبى صلى الله عليه وسلم والشيخين وتكفير عبد الله ابن عباس رضى الله عنه وأنه من الملحدين وجعل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من المجرمين وأنه ضال مبتدع ذكر ذلك فى كتاب له سماه **الصراط المستقيم والرد على أهل الجحيم** وقد وقفت فى كلامه على المواضع التى كفّر فيها الأئمة

الأربعة[١] وكان بعض اتباعه يقول أنه أخرج زيف الأئمة الأربعة يريد بذلك إضلال هذه الأمة لأنها تابعة لهؤلاء الأئمة فى جميع الأقطار والأمصار وليس وراء ذلك زندقة . ولنرجع إلى قول بعض الأئمة (فمنهم) الإمام العلامة شيخ شيوخ وقته أبو الحسن على القونوى قال بعد ذكره أشياء لا أطول بذكرها وفيها دلالة على أن التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم فى الحاجات بعد وفاته كالتوسل به فى حال حياته ثم قال وهذا وأمثاله يرد على هؤلاء المبتدعة الذين نبغوا فى زماننا ومنعوا التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جمع بعضهم كلاماً يتضمن نفى عمله صلى الله عليه وسلم بعد الوفاة ونقل طائفة منهم التفرقة بين حياته وحال وفاته فقال (والتفريق بين الحياة والوفاة كان ثابتاً عند الصحابة فلهذا استسقى أمير المؤمنين عمر بالعباس ولولا هذا التفريق الواضح عندهم لما عدل عمر مع جلالته وكونه خليفة ـ راشداً وكان يشاور أيضاً ـ عن قبر رسول الله إلى غيره) ثم قال (هذا لفظ المبتدع الجاهل التى قامت البينة عليه بأشياء من هذا القبيل وعزر على ذلك التعزير البالغ بالضرب المبرح والحبس وغير ذلك فى شهور سنة خمس وعشرين وسبعمائة بالقاهرة وهذا الكلام من التفرقة بين الحالتين والاستناد فيه إلى استسقاء عمر بالعباس ليس له وإنما هو لشيخه فإنه لما أظهر القول بنفى التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم أورد عليه حديث الاستسقاء ففزع إلى التفرقة

(١) أحب أن لا يستغرب القارئ شيئاً يراه منسوباً إلى هذا الرجل بعد تصريح العلماء عن أنه يستخف برسول الله صلى الله عليه وسلم ويزدريه ويصغر من شأنه فإن الذى يجترئ على أسمى مقام فى الوجود لا يتهيب ما دونه فليعلم ا هـ مصححه

المذكورة ولا متشبث فى الحديث المذكور فإن عمر رضى الله عنه إنما قصد أن يقدم العباس ويباشر الدعاء بنفسه وهـذا لا يتصـور حصولـه من غير الحى أى الحياة الدنيوية . وأما التوسل برسـول الله صلى الله عليه وسلم فلا نسلم أن عمر رضى الله عنه تركه بعد موته وتقديم العباس ليدعو للناس لا ينفى جواز التوسل به مع ذلـك ثم قال وهذا القول الشنيع والرأى السخيف الذى أخـذ بـه هـؤلاء المبتدعة من التحاقه ﷺ بالعدم حاشاه من ذلك ، يلزمه أن يقال أنه ليس رسول الله ﷺ اليوم وهو قول بعض الضلال . قال أبو محمـد ابن حـزم فى كتابه **الملل والنحل** (حدثت فرقة مبتدعة تـزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم صلى الله عليـه وسـلم ليس هو اليوم رسول الله لكن كان رسولاً) ثم قال (وهـذه مقالـة خبيثة مخالفة لله عز وجل ولرسوله ﷺ ولما عليه أهل الإسلام منذ كان أهل الإسلام إلى يوم القيامة) قـال (وإنما حملهم على هـذا الرأى الخبيث قولهم الآخر الخبيث أن الروح عرض والعرض يفنى أبداً أو يحدث ولا يبقى وقتين) قـال : فروح رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هؤلاء بطل ولا روح لـه الآن عند الله وأما جسده ففى قبره تراب فبطلت نبوته ورسالته بموته عندهم فنعوذ بالله مـن هذا القول فإنه كفر صراح لا تردد فيه ويكفى بطلان هـذا القـول الفاحش الفظيع أنه مخالف لما أمر الله تعالى به ورسوله صـلى الله عليه وسلم واتفق عليه أهل الإسـلام مـن الأذان فـى الجوامـع والصوامع وأبواب المساجد جهاراً فى شرق الأراضى وغربها كل يوم خمس مرات بأعلى أصواتهم قد قرنه الله تعالى بذكره أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، كـان يجـب أن

يقال على قولهم أشهد أن محمداً كان رسول الله وكذلك كان يجب أن يقال في ثاني الشهادتين في الإسلام . وقد قال تعالى : ﴿ **ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **يوم يجمع الله الرسل** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وجئ بالنبين والشهداء** ﴾ فسماهم الله عز وجل بعد موتهم رسلاً ونبيين والأصل الحقيقة وكذلك أجمع المسلمون وجاء به النص أن كل مصل فرضاً أو نفلاً يقول في تشهده السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ولو كان بعد موته في حكم العدم لما صحت هذه المخاطبة . هذا معنى كلام ابن حزم ثم قال (أن ابن حزم أورد على نفسه إيرادات وأجاب عنها) قلت وقد حذفتها أنا لأجل الإطالة ولا تسع عقول العوام وكثير ممن أشير إليه بالعلم أن يدركها ويدرك الجواب ثم قال (وإنما أطلت النفس في هذه المسألة وإن كانت في غاية الوضوح لقرب العهد بهذيان من أظهر الخلاف فيها وأفسد به عقائد خلق كثير من العوام فلذلك استطرقت في هذا المقام بما يتعلق بهذه المسألة هذا المقدار اليسير من الكلام وللمقال فيها مجال واسع لكن إشباع القول في ذلك خارج عما نحن بصدده في هذا الكتاب والله تعالى أعلم) وهذا الكتاب الذي أشار إليه ومنه نقلت يقال له **شرح التعرف لمذهب أهل التصوف** . واعلم أرشدنا الله وإياك أيها الموفق المنزه المعظم لسيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم ولذريته الذين بهم تم الدين ولسائر الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . أن في هذا الذي ذكره الأئمة كفاية لمن له أدنى فهم ودراية إلا أني وعدت بذكر شئ وخلف الوعد صعب شديد فأنا أذكر نبذة يسيرة وأرجوا من الله عز وجل

حصول البركة فيها . وقد ذكرت فى كتاب [**تنبيه السالك على مظان المهالك**] جملة كثيرة تتعلق بذلك وبغيره وسقت فيها فتواه المطولة والجواب عما قاله ذكرته فى فضل الحج والله اعلم .

ومن الأمور المهمة معرفة الإنسان حاله في التوفيق والخذلان فمن الخذلان عدم إيمان الإنسان بالآيات والنذر كما قال تعالى : ﴿ **وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** ﴾ قيل المعنى لا تصل العقول الخالية عن التوفيق إلى سبيل النجاة وما يغنى ضياء العقل مع الخذلان إنما ينفع نور العقل مؤيداً بنور التوفيق وعناية الأزل وإلا فانه متخبط بإدراكه بعقله فإذا وعيت ما قلته ووقفت على بعض ما أذكره من الأدلة ولم تجد قلبك مؤمناً بها فاعلم أنك من أهل الخذلان ومرقوم فى حزب الشيطان وتابع لأهل البدع عصاة الرحمن . قال كعب الأحبار : تجد الرجل يستكثر من أنواع البر ويحتاط فى(١) صانع المعروف ويكابد سهر الليل وشدة ظمأ الهواجر وهو مع ذلك لا يساوى عند الله جيفة حمار يشير إلى أهل البدع والتبرىء منهم بحيث لا يمكن سمعه من ذى هوى ، لما صالح عمر رضى الله عنه أهل بيت المقدس وقدم عليه كعب الأحبار وأسلم وفرح به عمر رضى الله عنه وبإسلامه قال له عمر رضى الله عنه هل لك أن تسير معى إلى المدينة وتزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم وتنتفع بزيارته قال نعم يا أمير المؤمنين افعل هذا : فهذا صريح فى الندب إلى زيارة قبره عليه الصلاة والسلام وشد الرحل وأعمال المطى إليه والكلام على هذا يأتى إن شاء الله تعالى .

---

(١) صانع المعروف صوابها صنائع ا هـ مصححه

بيان زندقة من قال أن روحه عليه الصلاة والسلام فنيت وأن جسده صار تراباً وبيان زيغ ابن تيمية وحزبه فى جواب الفتوى التى زعم أنه سئل عنها

فقال فى جوابه : الحمد لله رب العالمين من استغاث بميت أو غائب من البشر بحيث يدعوه فى الشدائد والكربات ويطلب منه قضاء الحاجات فيقول يا سيدى الشيخ فلان أنا فى حسبك أو فى جوارك أو يقول عند هجوم العدو عليه يا سيدى فلان يسترعيه أو يستغيث به أو يقول نحو ذلك عند مرضه وفقره وغير ذلك من حاجاته فإن هذا ظالم ضال مشرك وفى بعض النسخ كافر عاص لله تعالى باتفاق المسلمين فإنهم متفقون على أن الميت لا يسأل ولا يدعى ولا يطلب منه شئ سواء كان نبياً أو غير ذلك ثم أكد ما قاله بقصة عمر والعباس فى الاستسقاء تبعاً لشيخه الجارى خلف سلالة اليهود . وأنت أرشدك الله تعالى وبصرك إذا تأملت ما قاله في هذا الجواب اقشعر جلدك وقضيت العجب مما فيه من الخبائث والفجور وادعاء اتفاق المسلمين وما فيه من الرمز إلى تكفير الأنبياء وتضليلهم والتلبيس على الأغبياء بقصة عمر رضى الله عنه وليت شعرى من أى الدلالات أن من توجه إلى قبر سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم وتوسل به فى حاجة الاستسقاء أو غيرها يصير بذلك ظالماً ضالاً مشركاً كافراً ، هذا شئ تقشعر منه الأبدان ولم نسمع أحداً فاه بل ولا رمز إليه فى زمن من الأزمان . ولا بلد من البلدان . قبل زنديق حران . قاتله الله عز وجل وقد فعل ، جعل الزنديق الجاهل الجامد قصة عمر

رضى الله عنه دعامة[1] للتوصل بها إلى خبث طويته فى الازدراء بسيد الأولين والآخرين وأكرم السابقين واللاحقين وحط رتبته فى حياته وأن جاهه وحرمته ورسالته وغير ذلك زال بموته وذلك منه كفر بيقين وزندقة محققة فإنه عليه الصلاة والسلام حرمته وقدره ومنزلته عند ربه مازالت ولم تزل وهو سيد ولد آدم وأكرمهم على الله عز وجل على الدوام ، ومن تأمل القرآن العظيم وجده مشحوناً بذلك . وقد ذكرت جملة من ذلك فى مولده عليه الصلاة والسلام وأشير هنا إلى نبذة يسيرة من ذلك ليتحقق السامع لها خبث هذا الزنديق وما انطوى عليه باطنه من الخبث بإبداله هذه الأنواع من التعظيم بالازدراء وما فاه به من الفجور والافتراء كما ترى :

سل عن فضائله الزمان لتخبرا   فنظير مجدك يا محمد لا يرى
ولقد جمعت مناقباً ما استجمعت   ما استجمعت يا سيدى فتفسرا
ما بين مجدك والمحاول نيله   إلا كما بين الثريا والثرى

(فمن ذلك) أنه سبحانه وتعالى تولى عصمته بنفسه فقال تعالى : ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ وحقاً عصمه عز وجل فى ظاهره وباطنه حفظه فى ظاهره من أن ينالوا ما هموا به ورد كيدهم فى نحورهم وحفظه فى باطنه من الناس من أن يكون منه إليهم التفات أو يكون له بهم اشتغال صان سره عن موارد الكون إليهم وعن نزغات الشيطان وفلتات النفس (ومنها) قوله تعالى : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾ قيل معناه لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضاً يا محمد يا عبد الله ولكن

---

(١) قوله للتوصل بها إلى خبث طويته فى الازدراء الخ الصواب أن تقدم فى وتؤخر إلى ليظهر معنى الكلام ا هـ مصححه

فخموه وعظموه وشرفوه وقولوا يا نبى الله يا رسول الله مع لين وتواضع [**قاله مجاهد وقتادة**] وقيل معناه احذروا دعاء الرسول عليكم فإن دعاءه مستجاب لا يرد وليس كدعاء غيره [**قاله ابن عباس**] رضى الله عنهما وقيل معناه من ضيع حرمة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد ضيع حرمة الله عز وجل ومن ضيع حرمة الله فقد دخل فى ديوان الأشقياء ، وحرمة الرسول صلى الله عليه وسلم من حرمة الله تعالى بل من ضيع حرمة الأولياء فقد عرض نفسه للهلكة (ومنها) قوله تعالى : ﴿ **إنا أرسلناك شاهداً** ﴾ أى عليهم بالتوحيد ﴿ **ومبشراً** ﴾ أى لهم بالتأييد والمغفرة ﴿ **ونَذِيراً** ﴾ أى محذراً إياهم الزيغ والضلالات ﴿ **لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه** ﴾ أى تعظموه تعظيماً يليق به وبمرتبته **قال الأئمة** لم يؤمن بالرسول من لم يعزه ويعز أوامره ويوقره ويوقر أصحابه رضى الله عنهم (ومنها) قوله تعالى : ﴿ **فالذين آمنوا به** ﴾ أى بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ **وعزروه** ﴾ أى وقروه ﴿ **ونصروه** ﴾ بذلوا أنفسهم فى نصرته وأموالهم ﴿ **واتبعوا النور الذى أنزل معه** ﴾ وهو القرآن ﴿ **أولئك هم المفلحون** ﴾ أى الفائزون حصر الفلاح فيهم . فهذه الآيات موجبة لتوقيره وتعظيمه وتبجيله وتعريف قدره عند ربه ومنها قوله تعالى : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ قال عمر رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ أثناء كلام طويل (بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن جعل الله عز وجل طاعتك طاعته) وقال جعفر الصادق معناه من عرفك بالنبوة والرسالة فقد عرفنى بالربوبية والألوهية وقيل بطاعتك يصل العبد إلى الحق

وبمخالفتك يقطع عنه وقيل غير ذلك ومن أحسنها ألزم نفسه طاعته وصحح الإقتداء به أوصله إلى مقامات الأنبياء والصديقين والشهداء ألا ترى قوله تعالى : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء** ﴾ الآية (ومنها) وهو أبلغ مما تقدم قوله تعالى : ﴿ **إن الذين يبايعونك** ﴾ أي يا محمد ﴿ **إنما يبايعون الله** ﴾ نفى سبحانه وتعالى الواسطة في المبالغة وقد تنبه لذلك أرباب المعالي والقلوب العارفون بمراتبه عليه الصلاة والسلام وما وهبه الله تعالى من سنى الأوصاف التي لا تليق بغيره ولا يقدر على حملها إلا هو قالوا (أن البشرية في نبيه صلى الله عليه وسلم[١] عارية وإضافة دون الحقيقة) وهو كلام حكيم منور القلب وقال بعضهم لم يظهر الحق سبحانه وتعالى مقام الجمع على أحد بالتصريح إلا على أخص نسمة وأشرفها وهو المصطفى فقال ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله** ﴾ ومنها قوله تعالى : ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما المراد الأذان والإقامة والتشهد والخطبة على المنابر فلو أن عبداً عبد الله وصدقه في كل شئ ولم يشهد أن محمداً رسول الله لم يسمع منه ولم ينتفع بشئ وكان كافراً وفي حديث أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية فقال : قال عز وجل : إذا ذكرت ذكر

(١) قوله عارية وأضافه دون الحقيقة لفظ إضافة بالضمير هو إضافة بالتاء ومعنى هذا الكلام غامض وكأن قائليه يريدون أن يقولوا أن حقيقته صلى الله عليه وسلم ملكية وإن كانت صورته بشرية وهو معنى يكون مدحاً إن سلم أن حقيقة الملكية أفضل من حقيقة البشرية وليس لنا قسم آخر يراد إلحاقه صلى الله عليه وسلم به إلا الإلهية ولا يتصور أن يكون مراداً للقائلين فليعلم اهـ مصححه

معى . وقال قتادة رضى الله عنه رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة . وقيل رفع ذكره بأخذ الميثاق على النبيين وألزمهم الإيمان به والإقرار به . وقيل ورفعنا لك ذكرك ليعرف المذنبون قدر رتبتك لدى ليتوسلوا بك إلىّ فلا أرد أحد عن مسألته فأعطيه إياها إما عاجلاً وإما آجلاً ولا أخيب من توسل بك وإن كان كافراً ، ألا ترى قوله تعالى : ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا** ﴾ وسيأتى الكلام على هذه الآية وقيل غير ذلك . ولما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة قيل بكت مكة لفقده بدموع الحرقة على الخد وقالت : وا أسفاه على من أنزل عليه ﴿ **لا أقسم بهذا البلد** ﴾ وهو مكة لحلولك فيه ومن جعل لا أصلية فالمعنى ﴿ **لا أقسم بهذا البلد** ﴾ وأنت حال فيه بل أقسم بك وبحياتك وهذا يدل على علو قدره عند ربه ورفعته التى لم يفز بها غيره . وفى حديث عائشة رضى الله عنها أن جبريل عليه الصلاة والسلام قال قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلاً أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم . **وقال ابن عباس** رضى الله عنهما من رواية أبى الجوزاء رضى الله عنه : ما خلق الله ولا ذرأ ولا برأ نفساً أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم ولا رأيت الله عز وجل أقسم بحياة أحد إلا بحياته فقال : ﴿ **لعمرك أنهم لفى سكرتهم يعمهون** ﴾ والعمه فى البصيرة والعمى فى البصر . وفى رواية عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما المعنى وعيشك يا محمد أنهم لفى سكرتهم يعمهون وقال بعضهم : أقسم بحياة محمد لأن حياته كانت به وهو فى قبضة الحق وبساط القرب وشرف الانبساط ومقام الاتفاق الذى لا يقوم به غيره فبحياتك يكون القسم

فإن الكل زاغوا وما زغت ، ومالوا وما ملت حتى برأناك ونزلناك منزلـــة ما نالها غيرك ولا ينالها أحد سواك وقيل المعنى وحياتــك التى خصصت بها بين الخلق فحيوا بالأرواح وحييت بنا ولهذا تتمة مهمة ذكرتها فى المولد يتعين الوقوف عليها وقيل أقسم الله ﷻ فى الأزل بحياته ليظهر شرفه وعلو قدره ودنو منزلته عنـــده ليتوســـل المتوسلون به إليه قبل بروزه إلى الوجود وفى حياته وبعـــد وفاتـــه وفى عرصات القيامة ولهذا وغيره لم يزل أهل الإيمان يتوسلون به فى حياته وبعد وفاته من غير نكير وكأن أهل الكتاب لهم علم مـــن ذلك فكانوا يتوسلون به قبل وجوده فيستجاب لهم كمـــا قـــال الله تعالى : ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا** ﴾ وقال ابن عباس رضى الله عنهما كانت أهل خيبر تقاتل غطفان كلما التقـــوا هزمت غطفان يهود فعاذت يهود بهذا الدعاء [اللهم إنّا نسألك بحق النبى الذى وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان آلا نصرتنا علـــيهم] فكانوا إذا التقوا ودعوا بهذا الدعاء هزمت يهود غطفان ويهود غير منصرف للعلمية والتأنيث علم على[1] قبيلة فلما بعث النبى صـــلى الله عليه وســـلم كفروا به فأنزل الله عز وجـــل : ﴿ **وكـــانوا مـــن قبل يستفتحون على الذين كفروا** ﴾ أى يدعـــون بك يا محمد إلـــى قولـــه : ﴿ **فلعنة الله على الكـــافرين** ﴾ : وإذا كـــان عـــز وجـــل يستجيب لأعدائه بالتوسل به صلى الله عليه وسلم إليه سبحانه مـــع علمه عز وجل بأنهم يكفرون به ويؤذونه ولا يتبعون النور الـــذى أنزل معه قبل وجوده وبروزه إلـــى الوجـــود وإرســـالـــه رحمـــة للعالمين فكيف لا يستجيب لأحبائه إذا توسلوا به بعد وجوده عليـــه

(١) هى لمة موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ا هـ صاحب الفرعية

الصلاة والسلام وبعثته رحمة للعالمين وإذا كان رحمة للعالمين فكيف لا يتوسل ولا يتشفع به . ومن أنكر التوسل به والتشفع به بعد موته وإن حرمته زالت بموته فقد أعلم الناس ونادى على نفسه أنه أسوأ حالاً من اليهود الذين يتوسلون به قبل بروزه إلى الوجود وإن فى قلبه نزغة هى أخبث النزغات ، وهذا آدم عليه السلام توسل به كما هو مشهور ورواه غير واحد من الأئمة منهم الحاكم في مستدركه على الصحيحين من حديث عمررضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب بحق محمد لما[1] غفرت لى فقال الله يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه قال يا رب لأنك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال يا آدم إنه لأحب الخلق إلىّ وإذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد لما خلقتك) : قال الحاكم صحيح الإسناد[2] ورواه الطبرانى وزاد (وهو آخر الأنبياء من ذريتك) ورواه الحاكم أيضاً من حديث ابن عباس رضى الله عنهما بزيادة لفظ أوحى الله إلى عيسى يا عيسى آمن بمحمد ومر من أدركه من أمتك

---

(١) أى إلا ا هـ صاحب الفرعية

(٢) لا التفات بعد هذا التصحيح من للحاكم وهو الحاكم إلى طعن طاعن في هذا الحديث وقد رأينا من يطعن فيه وفى أمثاله من الأحاديث التى يصححها الحاكم وهى ذالة على سمو شرفه عليه الصلاة والسلام وعلو منزلته عند ربه كأن هذا الطاعن أوذى ممن يستخفون بشأنه عليه الصلاة والسلام فصدر منه ذلك الطعن طاعة لشعوره وهو لا يشعر أو يشعر وكائن هذه المسألة مسألة عظم حرمته صلى الله عليه وسلم ورفعة شأنه ، موضع خلاف بيننا وبين هؤلاء الناس ونحن لا نسلم هذا الخلاف إلا بعد أن نسمع من هذه الشرذمة أن كلام الله تعالى مطعون فى صدقه أيضا فإذا قالوها سكتنا عنهم ويكونون بذلك أراحوا واستراحوا وحسبنا الله ونعم الوكيل ا هـ مصححه

أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار . ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن قال الحاكم فى مستدركه هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه يعنى البخارى ومسلم . فهذا الإمام الحافظ قد كفانا المؤنة وصحح الحديث وقد رواه غير واحد من الحفاظ وأئمة الحديث بألفاظ : منهم أبو محمد مكى وأبو الليث السمرقندى وغيرهما أن آدم عليه السلام عند اقترافه قال اللهم بحق محمد عليك اغفر لى خطيئتى . ويروى نفيل فقال الله من أين عرفت محمداً قال رأيت فى كل موضع من الجنة مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله . ويروى محمد عبدى ورسولى فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له . وفى رواية الحافظ الآجرى فقال آدم لما خلقتنى رفعت رأسى إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدراً عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى الله إليه وعزتى وجلالى إنه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان آدم عليه السلام يكنى أبا محمد :

بدا مجده من قبل نشأة آدم وأسماؤه فى العرش من قبل تكتب[1]

وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ **وكان تحته كنز لهما** ﴾ قال لوح من ذهب فيه مكتوب [عجباً لمن أيقن بالقدر كيف ينصب عجباً لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدى ورسولى] وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضاً قال

(١) أى كتبت والتعبير بالمضارع بحكاية الحال الماضية ا هـ صاحب الفرعية

على باب الجنة مكتوب إنى أنا الله لا إلــه إلا أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها . وذكر السميطارى أنه شاهد فى بعـض بـلاد خراسان مولوداً ولد وعلى جبينه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله وذلك بقلم القدرة وذكر الأخباريون أن ببلاد الهند ورداً أحمـر مكتوب(١) عليه بالأبيض لا إله إلا الله محمد رسـول الله . وفـى بعض البوادى حيوان مكتوب على شقه الأيمن لا إله إلا الله وعلـى شقه الأيسر محمد رسول الله وذلك بقلم القدرة وهو مرئـى ظـاهر لكل من لـه بصر . وذكر غير ذلك : فسيد الأولـين والآخـرين عظيم عند ربه نوه بذكره فى الأزل وفى الكون العلـوى والسـفلى ليعلم أنه الفاضل الكامل وأنه أعظم الوسائل : قال أبو حميد نـاظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك لا ترفع صوتك فى هذا المسـجد فـإن الله ﷻ أدب أقواماً فقال : ﴿ **لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبـى** ﴾ الآية ومدح قوماً فقال : ﴿ **إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله** ﴾ الآية وذم قوماً فقال : ﴿ **إن الذين ينادونـك مـن وراء الحجـرات أكثرهم لا يعقلون** ﴾ وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً فاستكان لها أبـو جعفر فقال يا أبا عبد الله استقبل القبلة وادعو أم استقبل رسـول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولما تصرف وجهك عنه وهو وسـيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى يوم القيامة بل استقبله واستشفع فيه فيشفعك(٢) الله ﷻ قال الله تعالى : ﴿ **ولو أنهم إذ ظلمـوا أنفسـهم جـاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيمـاً** ﴾

---

(١) يتعين نصب لفظ مكتوب لأنه وصف لمنصوب ا هـ مصححه

(٢) قولـه فيشفعك الله السياق يقضي أن يكون فيشفعك فيشفعه لأنه هو صـلى الله عليـه وسلم الشافع ا هـ مصححه

القصة معروفة مشهورة ذكرها غير واحد من المتقدمين والمتأخرين بأسانيد جيدة ومنهم القاضي عياض في أشهر كتبه وهو **الشفاء** المشهور بالحسن والإتقان في سائر البلدان ومنهم الإمام العلامة هبة الله في كتابه **توثيق عرى الإيمان** وقد اشتملت هذه القصة على تعظيمه بعد وفاته وأنه حى والتوسل به وحُسن الأدب في حقه كما في حياته وأن في الآية الحث على المجئ إليه ليستغفر له وليس في الآية تعرض لزمن حياته دون الوفاة وكذا فهم العلماء مالك وغيره كما يأتي إن شاء الله تعالى العموم واستحبوا لمن زار قبره المكرم أن يتلوا هذه الآية ويستغفر ويتوسل به ويطلب الشفاعة منه ولم نعلم أن احداً طعن في قصة مالك إلا هذا الفاجر ابن تيمية فإنه لما كان فيها هذه الفضائل طعن فيها وقال أنها مكذوبة فإن هذا شأنه إذا وجد شيئاً لا مساس فيه لما ابتدعه . قال به وقبله ولم يطعن . وإذا وجد شيئاً على خلاف بدعته طعن فيه وإن اتفق على صحته ولا يذكر شيئاً على خلاف هواه وإن اتفق على صحته لاسيما إذا كان آية أو خبراً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أمكنه أن يطعن في الآية لفعل[1] إلا أنه تعرض لتخصيصها وهي دعوة مجردة وعلى خلاف ما فهمه العلماء من العموم ووقع العمل عليه فمن ادعى التخصيص بغير دليل سمعي ظاهر الدلالة قطعنا بخطئه واتهمناه واستدللنا بذلك على استنقاصه سيد الأولين والآخرين الكامل المكمل . وهو كفر بإجماع أهل التوحيد . وذكر

---

(١) هذا المبدأ عليه اتباعه المفتونون به إلى اليوم يعرف ذلك منهم من يلتفت لحالهم أدنى التفاتة فالواجب على المسلم أن لا يعتبر تصحيحهم لحديث ولا تضعيفهم فإنهم للهوى يصححون ويضعفون وأحب أن يأخذ القارئ قول الإمام الحصني (ولو أمكنه أن يطعن في الآية لفعل) على ظاهره دون أن يظن فيه أي مبالغة وليطرده في اتباعه كذلك ا هـ مصححه

القرطبى فى تفسيره عن على رضى الله عنه أنه قال : قدم إلينا أعرابى بعدما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحثا على رأسه من ترابه ثم قال : قلت يا رسول الله فسمعنا قولك ووعيت عن الله ﷻ فوعينا عنك وكان فيما أنزل عليك **﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك ﴾** الآية . وقد ظلمت نفسى وجئتك تستغفر لى فنودى من القبر قد غفر لك وهذه القصة غير قصة العتبى وقصة العتبى مشهورة فى غاية الشهرة . وقد ذكرها الأئمة فى كتبهم قديماً وحديثاً وكنية العتبى أبو عبد الرحمن واسمه محمد ابن عبد الله ابن عمرو وكان من أفصح الناس وصاحب أخبار وصاحب رواية للآثار . حدث عن أبيه وعن ابن عيينة . وقد ذكر قصته خلائق منهم ابن عساكر فى تاريخه وذكرها الحافظ أبو الفرج بن الجوزى فى كتابه (مثير الغرام الساكن) وذكرها غيرهما بالأسانيد . وممن ذكرها الإمام العلامة المتفق على علمه ودينه وزهده أبو زكريا يحيى بن شرف النووى قدس الله روحه ونور ضريحه قال فى زيارة قبره : أنها من أعظم القربات وأفضل المساعى والطلبات وإذا انتهى إلى قبره وقف قبالة وجهه ويتشفع به إلى ربه وممن أحسن ما يقوله ما حكاه أصحابنا عن العتبى مستحسنين له . قال العتبى كنت جالساً عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابى فقال : السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول : **﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا** الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً **﴾** وقد جئتك مستغفراً من ذنبى مستشفعاً بك إلى ربى ثم أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال : يا عتبى الحق الأعرابى فبشره بأن الله قد غفر له . وفى رواية غيره إلحق الأعرابى وبشره بأن الله قد غفر له بشافعتى فخرجت فلم أجده فأفاد النووى قدس الله تعالى روحه أن أصحاب الشافعى استحسنوا ذلك وحكوه عن غيرهم وأفاد شمول الآية للحياة والممات وأنه يستشفع به إلى ربه وساق ذلك مساق ما هو متفق عليه ولم يعترض لذلك أحد بالإنكار فى سائر الأعصار وزدت أنا هذين البيتين لعلى يلحقنى نصيب من شفاعته وهما :

وفيه كل خصال الحمد قد جمعت فلذنبه فهو من ترعى له الذمم
وهو الذى يرتجى فى كل معضلة وفى المعاد إذا زلت بنا القدم

* * *

قصة الراهبين مع أبى عبد الله

وقال السيد الجليل قطاع المفاوز على قدم التوكل أبو عبد الله الفرحى قدس الله سره ونور ضريحه خرجت مرة أريد الزيارة من طريق المفاوز فوقعت فى التيه فكنت فيه أياماً حتى أشرفت على الموت فبينما أنا كذلك إذ رأيت راهبين[1] يسيران كأنهما خرجا من مكان قريب يريدان ديراً لهما بالقرب فملت إليهما فقلت أين تريدان فقالا لا ندرى فقلت من أين أتيتما قالا لا ندرى قلت فتدريان أين أنتما قالا نعم نحن فى ملكه وبين يديه قال فأقبلت على نفسى أقول لها راهبان يتحققان بالتوكل دونك ثم قلت لهما أتأذنان لى فى الصحبة فقالا ذاك إليك قال فسرنا فلما أمسينا قاما إلى صلاتهما وقمت إلى صلاة المغرب فتيممت وصليت فنظرا إلى وقد تيممت فضحكا منى فلما فرغا من صلاتهما بحث أحدهما بيده فإذا بالماء قد ظهر وإذا بطعام موضوع . قال فبقيت أتعجب من ذلك فقالا لى أدن وكل واشرب قال فأكلنا وتوضأت وقاما فلم يزالا فى صلاتهما وأنا فى صلاتى حتى أصبحنا فصليت الفجر ثم قاما يسيران فساروا[2] إلى الليل فلما أمسينا تقدم الآخر فصلى بصاحبه ثم دعا بدعوات ثم بحث الأرض بيده فنبع الماء

---

(١) هذه القصة فيها خبئ خفى ولعل هذين الراهبين ملكان أو وليان لله تعالى أرسلهما سبحانه وتعالى للشيخ الفرحى لينتقل بحالهما من حاله إلى حال أرفع كما ترى فى القصة . ولما أنهما راهبان حقيقة فهذا ما لا يستطيع العقل فهمه فإنا لا نعرف إن الله تعالى يكرم إلا الصادقين من عباده المؤمنين فكيف يكرم بهذه الكرامة الباهرة التي تضمنتها القصة - راهبين كافرين بسيد أنبيائه وهما يعرفانه حق المعرفة كما ترى من كلامهما فاعرف ذلك ا هـ مصححه

(٢) وقوله فساروا بالجمع هو فسارا بالتثنية كما هو ظاهر ا هـ مصححه

وظهر الطعام فقالا لي ادن وكل واشرب قال فأكلنا وشربنا وتوضأت للصلاة ثم نضب الماء وغار حتى لم يبق له أثر فلما كانت الليلة الثالثة قالا لى يا مسلم الليلة نوبتك قال فاستحييت من قولهما وداخلنى من ذلك هم شديد قال فقلت فى نفسى اللهم إنى أعلم أن ذنوبى لم تدع لى عندك جاهاً ولكنى أسألك واتوسل إليك بنبيك المكرم عندك ألا تفضحنى عندهما ولا تشمت[1] بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم قال فإذا بعين خرارة وطعام كثير قال فأكلنا وشربنا ولم نزل على حالنا حتى بلغت النوبة الثانية إلى ، قال فدعوت بمثل ما دعوت أولاً وتوسلت بالنبى صلى الله عليه وسلم فإذا بطعام اثنين وشراب اثنين دون ما كان قال فتقاصرت إلى نفسى وقصرت عن الأكل وأريتهما أنى آكل فسكتا عنى قال وسرنا حتى بلغت النوبة الثالثة إلى فدعوت بمثل ما دعوت وتوسلت بالنبى صلى الله عليه وسلم وقوى حالى فى أمر صدق توسلى به صلى الله عليه وسلم علمى بأنه وسيلة من قبلي فإذا بطعام اثنين والماء مثل ذلك فغمنى ذلك قال فغلبتنى عيناى من الهم خوف الشماتة بديننا فإذا بقائل يقول لى أدركناك بالإيثار الذى خصصنا به محمداً من دون الأنبياء[2] وهى علامته وكرامة أمته من بعده إلى يوم القيامة قال فلما بلغت النوبة الرابعة إليّ قالا بلى يا مسلم ما هذا : أنا نرى فى طعامك وشرابك نقصاً فلم ذلك فقلت لهما أولم تعلما أن هذا خص الله عز وجل به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم من بين الأنبياء

---

(١) أى تشمتهما ا هـ مصححه

(٢) أى خصصنا به أمة محمد صلى الله عليه وسلم من دون أمم الأنبياء وإلا فالأنبياء جميعاً لوائل أهل الإيثار صلى الله وسلم عليهم جميعاً ا هـ مصححه

وخص أمته به من بعده إن الله عز وجل يريد لـــي الإيثـــار وقــد آثرتكما اقتداء بنبى المكرم فقالا صدقت ثم قالا نشهد أن لا إلــه إلا الله ونشهد أن محمداً عبده ورسولـــه أرسلــه بالهدى ودين الحــق صدقت فى قولك هذا خلق محمد فى كتب الله المنزلة إن الله عــز وجل خص محمداً وأمته بذلك قال وحسن إسلامهما قال ثــم قلــت لهما فى الجمعة والجماعة فقالا ذلك واجب قلت نعــم فاســألا الله تعالى وادعوا أن يخرجنا من هذا التيه إلى أقرب الأمــاكن فــدعوا فبينا نحن نسير إذا نحن ببيوت قد أشرفنا عليها فــإذا هــى بيــت المقدس قال فدخلنا المسجد وأقمنا أياماً ثم تجدد لى سفر ففارقتهمــا وقد ملئ قلبى فرحاً بإسلامهما وبصحبة[1] توسلى بالنبى صلى الله عليه وسلم وأنه غياث الصادقين فى محبة[2] السالكين خلفــه فــى صدقه مع ربه وصحة الاعتماد عليه . فانظر أرشــدك الله كيــف بصدق التوسل بـــه جرى ما جرى مـــن حصول الكرامات من نبع الماء وحصول الطعام والاهتـــداء لهما فلـــه عز وجل المنة علـــى ما أكرمنا به وعلى ما وهب الأولياء من آثار معجزاتـــه : وقـــال سفيان الثورى فبينما أنا أطوف بالبيت وإذا أنا برجل لا يرفع قــدماً ولا يضع أخرى إلا وهو يصلى على النبى صلى الله عليـــه وســلم فقلت يا هذا إنك تركت التسبيح والتهليل وأقبلت على الصلاة علـــى النبى صلى الله عليه وسلم فهل عندك من هذا شئ فقال لى من أنت قلت سفيان الثورى فقال لولا أنك غريب فـــى أهـــل زمانـــك لمـــا أخبرتك عن حالى ولما أطلعتك على سرى ثم قـــال خرجـــت أنـــا

---

(١) قولـــه وبصحبة توسلى صوابه وبصحة توسلى الخ ا هــ مصححه

(٢) قولـــه فى محبة السالكين صوابه فى محبته السالكين الخ ا هــ مصححه

ووالدى حاجين إلى بيت الله الحرام وإلى زيارة سيد الأنام حتى إذا كنا ببعض المنازل مرض والدى فعالجته فمات فلما مات اسود وجهه فغلبتني عيناى من الهم فنمت فإذا أنا برجل لم أر أجمل منه ولا انظف ثوباً ولا أطيب رائحة منه فدنا من والدى وكشف عن وجهه وأمر يده عليه فعاد وجهه أبيض ثم ذهب فتعلقت بثوبه وقلت له يا عبد الله من أنت الذى منّ الله عز وجل عليّ وعلي والدى بك فى دار الغربة لكشف هذه الكربة فقال أو ما تعرفنى أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن أما إن والدك كان مسرفاً على نفسه ولكنه كان يكثر الصلاة عليّ فلما نزل به ما نزل استغاث بى وأنا غياث من أكثر الصلاة عليّ قال فانتبهت فإذا وجه والدى قد ابيض . فانظر أرشدك الله عز وجل إلى جلاله وتعظيمه فى حياته وبعد وفاته وكيف أغاث من استغاث به حتى فى البرزخ فهو عليه الصلاة والسلام كما قيل :

غياث لملهوف وغيث لآمل ... وعين لظمآن وعون لذى جهد
له فوق إيوان الزمان مراتب ... يقصر عنها الأنبياء أولو المجد
فموسى وعيسى والخليل ونوحهم ... يقولون طه منتهى السؤل والقصد
حوى قصبات السبق من قبل آدم ... وكهلا وأيام الطفولة فى المهد
به طيبة طابت ولا غرو قد حوت ... طبيب قلوب الخلق من مرض الجحد
فلولاه ما اشتاقت قلوب نفيسة ... إلى الشيح من أرض الحجاز ولا الرند
ولا ذكرت سلع ونعمان والنقا ... ولا استعذبت من شدة الوجد للوجد

فسبحان من قربه وبجله وعظمه ومنحه وتوجه خلع الفضائل وجعله أعظم ما يتوجه به إليه وأعظم الوسائل :

روى الترمذى من حديث عثمان بن حنيف رضى الله عنه أن رجلاً ضرير البصر جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ادع لى أن يعافينى الله فقال إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك قال فادعه فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعوا بهذا الدعاء : **اللهم أنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى هذه لتقضى اللهم شفعه فى .** قال الترمذى حديث حسن صحيح ورواه النسائى بنحوه ورواه البيهقى وزاد محمد بن يونس فى روايته فقام وقد أبصر وفى رواية شعبة ففعل فبرئ . وفى رواية يا محمد إنى توجهت بك إلى ربى فتجلى عن بصرى اللهم شفعه فى وشفعنى فى نفسى قال عثمان رضى الله عنه فوالله ما انصرفنا ولا طال الحديث حتى جاء الرجل كأنه لم يكن به ضر(١) : فهذا حديث صحيح صريح فى التوسل والاستجابة وليس فيه أنه فعل ذلك فى حضرة النبى ﷺ وليس فيه التقييد بزمن حياته ولا أنه خاص بذلك الرجل بل إطلاقه عليه الصلاة والسلام يدل على أن هذا التوسل مستمر بعد وفاته شفقة عليهم لأنه بهم رءوف رحيم ولاحتياجهم إلى ذلك فى حاجاتهم ويدل على ذلك أن عثمان بن حنيف راوى الحديث هو وغيره فهموا التعميم ولهذا استعمله هو وغيره بعد وفاته ﷺ كما رواه الطبرانى فى معجمه الكبير فى ترجمة عثمان بن حنيف ﷺ فى حاجة له فكان عثمان لا ينظر فى حاجته فلقى الرجل عثمان بن

---

(١) وفى رواية أنه قال عليه الصلاة والسلام وإن كان لك حاجة فمثل ذلك ا هـ مستنسخ النسخة

حنيف وشكى[1] إليه ذلك فقال له عثمان ابن حنيف ﷺ ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ركعتين ثم قل : **اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي .** فتقضى[2] حاجتك وتذكر حاجتك . ورح حتى أروح معك فذهب الرجل وفعل ما قاله عثمان ابن حنيف له ثم إن الرجل أتى إلى باب عثمان بن عفان ﷺ فجاء البواب فأخذ بيده حتى أدخله إلى عثمان بن عفان ﷺ فأجلسه معه على الطنفسة فقال حاجتك فاعلمه بها فقضاها له وقال ما ذكرت حاجتك إلا الساعة ثم قال عثمان ابن عفان ﷺ ما كان لك من حاجة فاذكرها ثم إن الرجل خرج من عند عثمان بن عفان ﷺ فلقي عثمان ابن حنيف ﷺ فقال له جزاك الله خيراً أما أنه ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلى حتى كلمته في فقال عثمان ابن حنيف ﷺ ما كلمته ولكن شهدت رسول الله ﷺ أتاه ضرير فشكى إليه ذهاب بصره فقال له عليه الصلاة والسلام أو تصبر فقال يا رسول الله إنه ليس لي قائد وقد شق عليّ فقال عليه الصلاة والسلام ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات قال عثمان بن حنيف فوالله ما انصرفنا ولا طال الزمان حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط ورواه البيهقي بإسناده من طريقين فهذا من أوضح الأدلة على الاحتجاج بالتوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته كحياته كفعل[3] عثمان راوي الحديث ولفعل غيره في حياته وبعد وفاته وهم اعلم بالله ﷻ

---

(١) قولــه وشكى برسم شكا بالألف ا هــ مصححه

(٢) قولــه فتقضى حاجتك ليس بظاهر معناه وقد راجعت الأصل فرأيت الـنص فتقضى حاجتي وتذكر حاجتك الخ وبه يتضح المعنى ا هــ مصححه

(٣) الكاف في قولــه كفعل لام ا هــ مصححه

وبرسوله ﷺ من غيرهم وإليهم ترجع الأمور في القضايا التي شاهدوها في زمنه وأخذوها عنهم رضي الله عنه[1] ومن عدل عن ذلك فقد أفهم عن نفسه أن عنده ضغينة لهم وهذا من الواضحات الجليات التي لا ينكرها إلا صاحب دسيسة أعاذنا الله تعالى من ذلك وقال القاضي عياض في أشهر كتبه وهو **الشفاء** (الفصل الثاني) في حرمته بعد وفاته وأما حرمته[2] النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وتوقيره وتعظيمه فهو لازم كما كان في حياته وذلك عند ذكره عليه الصلاة والسلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وتعظيم أهل بيته وصحابته واجب على كل مؤمن متى ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته فيأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ بعينه[3] لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله عز وجل وقال ابن حبيب إذا دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل ركعتين بين الروضة والمنبر ثم اقصد القبر من تجاه القبلة وادن منه ثم سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثن عليه وعليك السكينة والوقار فإنه عليه الصلاة والسلام مسلم[4] ويعلم وقوفك بين يديه وكذا قاله غيره من الأئمة الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي . (أما زيارة قبره عليه الصلاة والسلام فأحضر قلبك لتعظيمه ولهيبته وأحضر عظيم رتبته في قلبك واعلم أنه عالم بحضورك وتسليمك) وهذا الذي

---

(١) قوله وأخذوها عنهم رضي الله عنه تؤخر فيه عنهم وتقدم عنه كما هو ظاهر ا هـ مصححه

(٢) الصواب وحرمة ويحذف الضمير ا هـ مصححه

(٣) قوله بما كان يأخذ بعينه عبارة الشفاء بما كان يأخذ به نفسه الخ ا هـ مصححه

(٤) قوله مسلم بتشديد اللام أي راد عليك السلام الذي تسلمه عليه ا هـ مصححه

قالاه معروف مشهور لأن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يغضون أصواتهم في مسجده تعظيماً لـــه وتوقيراً . وفى البخارى أن عمـــر رضى الله عنه قال لرجلين من أهل الطائف لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليـــه وسلم وكانت عائشة رضـــى الله عنهـــا إذا ســـمعت دق الوتـــد أو المسمار يضرب في بعض الدور المطنبة لمسجد رســـول الله صلى الله عليه وسلم ترسل إليهم لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أن علياً رضى الله عنه لما عمل مصراعي داره ما عملهما إلا بالمناصع توقياً لذلك والآثار بمثل ذلك كثيرة جداً وكذا الأخبـــار بعرض الصلاة عليه وكذا برد(١) روحه الشريفة العظيمة الكريمـــة على الله عز وجل وإذا ثبت ردها ثبتت حياتـــه وإذا ثبتـــت حياتـــه وجب القطع بصحة التوسل به في ابن ماجه من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال أكثـــروا علـــيّ مـــن الصلاة يوم الجمعة فإنه مشهود تشهده الملائكة وإن أحداً لن يصلى عليّ إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها قال قلت يا رســـول الله وبعد الموت قال وبعد الموت فإن الله حـــرم علـــى الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبى الله حى يرزق وقال عليه الصلاة والسلام إن لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغونى عن أمتى الســـلام رواه النسائى وكذا الحاكم من حديث ابن مسعود رضى الله عنه وصحح

---

(١) سيأتي للمصنف شرح الحديث الوارد بذلك وتوضيحه أن الوجود لا يخلو لحظة مـــن مسلم عليه صلى الله عليه وسلم فهو دائماً يرد السلام فهو دائماً مردودة عليه روحه فهو دائماً حى وشرح الحديث بأن جملة رد الخ حالية تحل إشكال الحديث كذلك وهناك أحاديث أخرى كثيرة تدل على حياة الأنبياء فى البرزخ بلا قيد ولا شرط وهو أمر مجمع عليه بين علماء الأمة فليعلم ا هـــ مصححه

وقال عليه الصلاة والسلام ليس أحد يسلم عليّ إلا رد الله على روحي حتى أرد عليه السلام رواه أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد جيد . قال البيهقي معنى قوله إلا رد الله عليه روحه إلا وقد رد الله عليه روحه لأجل سلام من سلم عليه واستمرت في جسده لأنه لا يبلى ولا تفتر صلاة المصلين عليه ولا سلام المسلمين عليه من الثقلين وغيرهم . وقال عليه الصلاة والسلام لا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث ما[1] كنتم رواه أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد صحيح والأحاديث في ذلك كثيرة . وقال كعب الأحبار ما من فجر يطلع إلا أنزل الله سبعين ألفاً من الملائكة حتى يحفوا بالقبر الشريف يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم وصنعوا مثل ذلك حتى إذا انشقت الأرض خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين ألفاً من الملائكة يوقرونه . وروى الحافظ أبو القاسم الأصبهاني صاحب الترغيب عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى عليّ يوم جمعة وليلة جمعة مائة من الصلاة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ، وكلّ بذلك ملكاً يدخله على قبري كما يدخل عليكم الهدايا إن علمي بذلك بعد موتي كعلمي به في حياتي . وقال السيد الجليل سلمان بن شحيم قدس الله روحه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله الذين يأتونك ويسلمون عليك تفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم وقال بعض

---

(١) توصل حيث بما ا هـ مصححه

المشايخ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت استغفر لي فأعرض عني فقلت يا رسول الله استغفر لي فأعرض عني فقلت يا رسول الله أن سفيان ابن عيينة حدثنا عن محمد ابن المنكدر عن جابر أنك لم تسأل شيئاً قط فقلت لا . فأقبل عليّ وقال غفر الله لك وكان موهوب ابن الجزري الشافعي إماماً عالماً فاضلاً مفيداً يشارك في سائر العلوم مشاركة جيدة مع العقل والدين والإيثار لأهل الضرورات وكان يتجر فكثر ماله فأراد الصاحب أن يتعرض له . قال فخفت منه خوفاً شديداً فلما كان في بعض الليالي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله إني خائف من الصاحب فقال لا تخف منه وقل له بعلامة كذا وكذا لا تؤذني فرسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع فيّ فلما انتبهت صليت الصبح وركبت دابتي ووقفت للصاحب في الطريق وهو طالع إلى القلعة قال فسلمت عليه وصحبته وقلت له معي رسالة فقال ممن قلت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قل له بعلامة كذا وكذا فقال صدقت أنت وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا اليوم أتشفع بك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمولى يرسم والمملوك يمتثل ومهما كان لك من الحوائج تعرفني بها أو لأحد أصحابك . وطلب بعض أمراء الجور رجلاً أراد منه شيئاً وهدده تهديداً وتواعده[1] بالعقوبات فقال له الرجل أنا أتشفع إليك بسيد الأولين والآخرين أن لا تتعرض لي بما لا يحل لك فلم يلتفت إليه ولا إلى قوله فلما أصبح الصباح طلب الأمير الرجل وأكرمه

---

(١) الصواب حذف ألف تواعده اهـ مصححه

بعد أن فك عنه الطلب . فقيل للأمير في ذلك فقال رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهرني وهم بي وقال يتشفع بي إليك ولا تقبل فوالله لا يتشفع به أحد إلي إلا قبلت شفاعته فإني خفت على نفسي الهلكة . وعن منصور بن عبد الله قال سمعت ابن الجلاء يقول دخلت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وبي شئ من الفاقة فتقدمت إلى القبر فسلمت على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ضجيعيه أبي بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه ثم قلت يا رسول الله بي فاقة وأنا ضيفك الليلة ثم تنحيت ونمت بين القبر والمنبر وإذا أنا بالنبي صلى الله عليه وسلم قد جاءني ودفع إليّ رغيف خبز فأكلت نصفه فانتبهت فإذا في يدي نصف الرغيف ومن تتمة القصة أن قال ابن الجلاء أنه دام بعد ذلك أربعين سنة لم يحتج فيها إلى طعام الدنيا ولا إلى شرابها ببركة تلك الأكلة قال العلماء الظاهر أن ما أتاه به النبي صلى الله عليه وسلم من طعام الجنة لأن من أكل من طعام الجنة استغنى عن طعام الدنيا قالوا وهذه رؤيا حق لما جاء في الحديث : (من رآني في المنام فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي) ومثل هذا وقع للسيد الجليل أبي الخير الأقطع صاحب المقامات الباهرة والكرامات الظاهرة قال : دخلت مدينة النبي ﷺ وأن بفاقة فأقمت خمسة أيام ما ذقت ذواقاً فتقدمت إلى القبر وسلمت على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقلت أنا ضيفك يا رسول الله وتنحيت ونمت خلف القبر فرأيت في المنام النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر عن يمينه وعمر عن شماله وعلي بين يديه فحركني وقال قم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال فقمت إليه وقبلت بين عينيه فدفع إليّ رغيفاً فأكلت نصفه وانتبهت وإذا في يدى نصف رغيف قال العلماء وإنما يبقى نصف الرغيف ليتحقق الأمر وتظهر الكرامة لأولياء الله عز وجل الذين سلكوا سبيله بصدق صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم وقال ابن أبى ذرعة الصوفى سافرت مع أبى ومع ابن حنيف إلى مكة وأصابتنا فاقة شديدة فدخلنا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبتنا طاوين وكنت دون البالغ فكنت أجئ إلى أبى غير دفعة وأقول أنا جائع فأتى والدى إلى الحضرة الشريفة وقال يا رسول الله أنا ضيفك الليلة وجلس على المراقبة فلما كان بعد ساعة رفع رأسه وكان يبكى ساعة ويضحك ساعة فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع فى يدى دراهم وفتح يده فإذا فيها دراهم وبارك الله تعالى لنا فيها إلى أن رجعنا شيراز فكنا ننفق منها . وقال السيد الجليل أبو العباس أحمد الصوفى تهت فى البادية ثلاثة أشهر وانسلخ جلدى فدخلت المدينة الشريفة وجئت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وعلى صاحبيه ثم نمت فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال لى : يا أحمد جئت . قلت نعم وأنا جائع وأنا فى ضيافتك فقال لى افتح كفيك(١) ففتحهما فملأهما دراهم فانتبهت وهما مملوءتان فقمت فاشتريت لى خبزاً حوارى وفلوذجاً وأكلت وقمت للوقت ودخلت البادية ومثل هذا كثير وهؤلاء رجال صدق يقطعون البوادى على قدم التوكل لا يعتمدون على غيره ولا يأنسون بسواه وتقع لهم ألطاف وأمور عجيبة وقد ذكرت جملة من ذلك فى كتاب تنبيه السالك فى فصل الكرامات فمن أراد أن

---

(١) الصواب ففتحتهما ا هـ مصححه

يقف على الغرائب والعجائب فلينظر فيه وفيما وهب لهم من الكرامات على مقدار طبقاتهم . وخرج بعض المشايخ يريد الزيارة فى جماعة من الفقراء . قال فلما وصلنا إلى شعب النعام أدركنا العطش وبيننا وبين المدينة مراحل قال فاستغثت بالنبى صلى الله عليه وسلم وصليت ونمت فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فقال : مرحباً بك وبجماعتك وضمنى إلى صدره وقبلنى فقبلت يده الكريمة وقدمه وقلت له يا سيدى يا رسول الله أنا خائف على أصحابنا من العطش فقال لا تخف فأنا نسير لكم الماء وها نحن نعد لكم الضيافة ورأيته عليه الصلاة والسلام مشمر الأكمام فجاءنا السيل فى تلك الليلة وملأنا ركابنا فلما قدمنا المدينة تلقانا أحد خدام النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى سلم على النبى صلى الله عليه وسلم واشتهى أن اجتمع بك حتى أوفى لك بما أوصانى به النبى صلى الله عليه وسلم فلما سلمت على النبى صلى الله عليه وسلم جئت إليه فقال لغلامه جئ بالمائدة فجاء بها وعليها كل خير يراد فالتفت إلىَّ وقال كل هذا الذى أوصانى به النبى ﷺ وقال لى هذه ضيافتك يا فلان وسمانى باسمى وما يبعد أن النبى صلى الله عليه وسلم سماه كما وقع لغيره من الخدام من تسمية أقوام قصدوا زيارته من أرض شاسعة كما أخبرنى به الشيخ محمد فولاذ فى المسجد الأقصى وكان من الأخيار وكثير التعبد والإيثار وحج ماشياً ما يزيد على ثلاثين حجة قال لى إذا جاء أوان الحج هاج بى الشوق إلى تلك المعاهد الشريفة وإلى زيارة سيد الأولين والآخرين فأخذ زادى على ظهرى وإناء الماء وأسير مع الناس إلى جنب وأنا مشغول بحالى قال فاتفق أنى تحدثت أنا وخادم الضريح وتذاكرنا مواهب الله عز وجل لسيدنا

رسول الله ﷺ فقال لي يا شيخ محمد إني أخدم هذا الضريح ستين سنة فاتفق في يوم حار أني سمعت السرير يصرصر وسمعت صوته عليه الصلاة والسلام وهو يقول وعليك السلام يا فلان ويا فلان بن فلان وسمي ثمانية أنفس قال الخادم فقمت من ساعتي وجئت الضريح وإذا بشخص كاد أن يموت من الهزال جالس عند الضريح فسلمت عليه وقلت ما اسمك فقال فلان بن فلان لأحد الثمانية فقلت له وأين رفقتك فقال عند باب الحرم قد عجزوا عن الوصول إلى الضريح قال فعمدت إليهم فإذا ثلاثة من الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وأين بقيتكم فقالوا فارقناهم من وراء تلك الأكمة قال فأخذت ما أحملهم عليه وماء وشيئاً من الأكل ومضيت فوجدت الأربعة قد قضوا فجهزتهم ثم رجعت إلى الأربعة فأخذتهم وأكرمتهم وسألتهم من أين ورودهم فقالوا من بلاد شاسعة تعاقدنا وتعاهدنا على زيارة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن لا نرجع عن ذلك ولو ذهبت أنفسنا فأما نحن فقد أعطانا الله عز وجل مرادنا وأما إخواننا الذين ماتوا عند الأكمة فنرجوا أن الله عز وجل لا يخيب مسعاهم . ووقع مثل ذلك كثير جداً وقد دونه الأئمة كابن أبي الدنيا وغيره وعقدوا له باب الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم وخرجوه بأسانيدهم على اختلاف الوقائع وفيها ما يتعلق بالصديق والفاروق رضي الله عنهما وهاأنذا أتعرض لنبذة يسيرة جداً من غير الأسانيد لأنه اللائق بهذه الورقات فمن أراد الكثرة فعليه بالنظر في كتب الأئمة فإنها مجلدات والمهمل لذكرها قد نادى على نفسه بخبث طويته في حق أصفياء الله عز وجل وأوليائه . أعاذنا الله من الزيغ والفتن ما ظهر منها وما بطن

(فمن ذلك) ما أخبر به أبو عبد الله الحسين وأبو على ابن سعيد ابن نبهان وكان من فضلاء بغداد ورؤسائهم وغيرهما قالوا أراد رجل الحج فأحضره الأمير مقلد فقال يا فلان تريد الحج قال نعم قال إذا حججت وأتيت المدينة فاقرأ على النبى صلى الله عليه وسلم منى السلامة وقل له لولا صاحباك لزرتك قال الرجل فحججت وأتيت المدينة ولم أقل الكلام عند القبر إجلالاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الليل نمت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامى فقال لى يا فلان لِمَ لم تؤد الرسالة من مقلد فقلت يا رسول الله أجللتك أن أقول فى صاحبيك ذلك فرفع رأسه إلىَ رجل فقال له خذ هذا الموسى واذبحه قال ففعل قال فوافيت العراق فسمعت أن الأمير مقلد ذبح على فراشه فلما قدمت المدينة أى بغداد سألت عنه فقيل أنه ذبح على فراشه فذكرت للناس الرؤيا التى رأيتها فشاعت إلى أن بلغت الأمير قرواش ابن المسيب فأحضرنى وقال اشرحِ لى الحال فشرحت له فقال أتعرف الموسى قلت نعم فأحضر طبقاً مملوءاً مواسى والموسى فى الجملة فقال لى أخرج الموسى فضربت بيدى وأخذت الموسى الذى رأيته بيد المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد ناوله الرجل فقال صدقت هذا الموسى وجدته عند رأسه وهو مذبوح . ومن ذلك ما أخبر به على ابن محمد قال سمعت رضوان اليمانى وكان من الأخيار وأهل السنة قال كان لى جار فى منزلى وفى سوقى وكان يشتم أبا بكر وعمر قال فكثر الكلام بينى وبينه فلما كان ذات يوم شتمهما وأنا حاضر فوقع بينى وبينه كلام حتى ناولته وناولنى فانصرفت إلى منزلى وأنا مهموم حزين ألوم نفسى . قال فنمت وتركت العشاء

لشدة ما بى فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى منامى فى ليلتى فقلت يا رسول الله فلان جارى فى منزلى وفى سوقي يسب صاحبيك قال مَن من أصحابى قلت أبا بكر وعمر رضى الله عنهما فقال لى خذ هذه المدية واذبحه بها قال فأخذتها وأضجعته فذبحته فرأيت كأن يدى أصابها من دمه فألقيت المدية وأهويت بيدى إلى الأرض أمسحها فانتبهت وأنا أمسح يدى فاسمع الصراخ من نحو داره فقلت انظروا ما هذا الصراخ قالوا فلان مات فجأة فلما أصبحنا جئت انظر إليه لعلمى أن رؤياه حق فنظرت فإذا خط موضع الذبح . ومن ذلك ما أخبر به يحيى بن عطاف المعدل بالموصل . قال حكى لى شيخ دمشقى جاور بالحجاز سنين قال جاورت بالمدينة الشريفة سنة مجدبة فخرجت إلى السوق لأشترى برباعى دقيقاً فأخذ صاحب الدقيق منى الرباعى وقال العن الشيخين حتى أبيعك الدقيق فامتنعت عن ذلك فراجعنى مرات وهو يضحك فضجرت وقلت لعن الله من لعنهما فلطم عينى فرجعت إلى المسجد والدموع تسيل . قال وكان لى صديق زاهد عابد جاور بالمدينة سنين فسألنى عن حالى فذكرت القصة فقام معى إلى التربة الشريفة وقال السلام عليك يا رسول الله فلما جن على الليل نمت فلما أصبحت صادفت عينى أحسن مما كانت وكأنها لم يصبها ضر ثم لم يكن إلا ساعة وإذا رجل مبرقع قد دخل من باب المسجد يسأل عنى فدل على فجاء وسلم علىّ وقال ناشدتك الله إلا جعلتنى فى حل فأنا الرجل الذى لطمتك فقلت لا أو تذكر لى قصتك فقال نمت فرأيت رسول الله ﷺ قد أقبل ومعه أبو بكر وعمر وعلى فتقدمت وقلت السلام عليكم فقال على رضى الله عنه لا سلام الله عليك

ولا رضى عنك أنا أمرتك أن تلعن الشيخين وجعل بإصبعيه كذا فى عينى ففقأهما فانتبهت وأنا تائب إلى الله تعالى وأسألك التجاوز عن جرمى فحين سمعت قولــه قلت اذهب فأنت فى حل من قبلى . قال أبو النصر فكان هذا الشيخ الدمشقى ديناً صالحاً ناســكاً قــدس الله تعالى روحه . كان على رضى الله عنه يقول أنا وأبو بكر وعمــر كنفس واحدة من أحبنا جميعاً انتفع بمحبتنا ومن فــرق بيننــا فــى المحبة لقى الله تعالى يوم القيامة ولا حجة له وكان أيوب السختيانى يقول من أحب أبا بكر فقد أحب إمام الدين ومن أحب عمــر فقــد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله تعالى . ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد فقد برئ من النفاق ومن انــتقص أحــداً منهم فهو مبتدع مخالف السنة والسلف الصالح وأخاف أن لا يصعد لــه عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعاً ويكون قلبه سليماً . علــى هذا الاعتقاد درج السلف وبذلك اقتدى العلماء خلفاً بعد خلف ومــن ذلك ما أخبر به محمد بن عبد الله بن محمد الفقيه الحنبلى قال قــد اجتمع جماعة فى الطريق قاصدين مكة فى عرض الســنة وكــان أحدهم كثير الصلاة والتعبد فمات فأهمهم دفنه فنظروا إلــى بيــت شعر فى الصحراء فقصدوه فإذا فى البيــت عجــوز وفيــه قــدوم فسألوها أن تدفعه إليهم فقالت تعاهدونى بالله عز وجل أنكم تردونها إلى فأعطوها ما أرادت ثم أخذوا القدوم فحفروا بــه قبــراً وواروا الرجل ونسوا القدوم فى القبر فذكروا العهود فدعتهم الضرورة إلى أن ينبشوا فإذا القدوم قد صار غلاً من يد الرجل إلى عنقه فــردوا عليه التراب فأخبروا العجوز الخبر فقالت لا إلــــه إلا الله رأيــت

رسول الله ﷺ فى منامى فقال احتفظى بهذا القدوم فإنه غل لرجل يسب أبا بكر وعمر رضى الله عنهما . وأخبر العباس السنى قال : قال لى أحد المشايخ المعمرين كنت بجامع عمرو بن العاص ونحن فى صلاة أراها صلاة الصبح فسمعت ضجيجاً بصحن الجامع فلما فرغنا من الصلاة اجتمع الناس فرأوا رجلاً مذبوحاً فقال رجل من الحاضرين أنا ذبحته فإني سمعته يسب أبا بكر وعمر رضى الله عنهما فحمل إلى السلطان فسأله عن القضية فقال أنا ذبحته فأمر السلطان بالرجل أن يحبس وبالمقتول أن يدفن فحفروا له موضعاً فوجدوا ثعباناً ثم حفروا له موضعاً آخر فوجدوا فيه ثعباناً فأخبروا السلطان بذلك فقال احفروا له قبراً ثالثاً فحفروا فإذا فيه ثعبان فقال ادفنوه وسرح القاتل قلت وبلغنى أنه لما دفن ابن تيمية قال شخص بعد ثلاثة أيام قد اضطرب القول فى هذا الرجل والله لأنظرن ما صنع الله به فحفر قبره فوجد على صدره ثعباناً عظيماً هاله منظره فكان الرجل يحذر الناس من اعتقاده ويعلمهم بما رأى والله أعلم . وذكر ابن أبى الدنيا فى كتابه **مجابى الدعوة** بسنده (أن[١] مؤذن عك) قال جزت أنا وعمر إلى بكران وكان رجل يسب أبا بكر وعمر رضى الله عنهما فنهيناه فلم ينته فقلنا اعتزلنا فاعتزلنا فلما دنا خروجنا قلنا لو صحبناه حتى يرجع إلى الكوفة فلقينا غلام له فقلنا له قل لمولاك يعود إلينا فقال إن مولاى قد حدث له أمر عظيم قد مسخت يداه يدى خنزير قال فأتيناه فقلنا له ارجع إلينا قال إنه حدث فى أمر عظيم وأخرج ذراعيه فإذا هما ذراعا خنزير قال فصبحنا حتى أتينا قرية من قرى السواد كثيرة

---

(١) هكذا وجدنا فى الأصل ا هـ مستنسخة

الخنازير فلما رآها صاح صيحة فمسخ خنزيراً وخفى علينا فجئنا بغلامه ومتاعه إلى الكوفة وشاع أمره أعاذنا الله تعالى من ذلك . واعلم أن من الشيعة طائفة تقول أن خير الناس بعد رسول الله ﷺ على رضى الله عنه وأن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ارتدا بعد الإسلام وقاتلا الناس ، ثم اعلم أن ما يتعلق بأمور الشيعة من هذا النوع وغيره كثير والمراد أن الاستغاثة بالنبى صلى الله عليه وسلم واللواذ بقبره مع الاستعانة به كثير على اختلاف الحاجات وقد عقد الأئمة لذلك باباً وقالوا إن استعانة من لاذ بقبره وشكى إليه فقره وضره توجب كشف ذلك الضر بإذن الله تعالى . فمن ذلك ما أخبر به يوسف بن على قال ركبتنى ديون فقصدت الخروج من المدينة الشريفة ثم جئت إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستغثت به فى وفاء دينى فنمت فرأيت النبى ﷺ فأشار علىّ بالجلوس فاستيقظت فقيض الله لى من وفى دينى . وقال بعضهم بلغنا أن أبا الليث يقرأ القرآن فى المصحف من غير تعلم سبق منه للكتابة وكنت أنكر ذلك قال فدخلت مكة فوجدته يقرأ القرآن فى المصحف قراءة محمودة فسألته عن سبب ذلك فقال كنت فى مدينة النبى ﷺ أبيت فى المسجد وأخلوا به فتشفعت إلى الله ﷻ بالنبى ﷺ أن يسهل على القرآن فى المصحف قال وجلست فأخذتنى سنة فرأيت النبى ﷺ وهو يقول قد أجاب الله تعالى دعاءك فافتح المصحف واقرأ القرآن ، قال فلما أصبح الصباح فتحت المصحف وشرعت أقرأ القرآن فكنت أقرأ فى المصحف فربما تتصحف على الآية فأنام فأرى من يقول لى الآية التى تصفحت عليك كذا وكذا . وذكر ابن عساكر فى تاريخه أن أبا القاسم بن ثابت البغدادى رأى رجلاً

بمدينة النبي ﷺ أذن الصبح عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيه الصلاة خير من النوم فجاءه خادم من خدم المسجد فلطمه حين سمع ذلك منه فبكى واستغاث بالنبى ﷺ وقال يا رسول الله فى حضرتك يفعل بى هذا الفعل قال فضربه الفالج فى الحال وحمل إلى داره فمكث ثلاثة أيام ثم مات . وقال أبو العباس أحمد المقرى الضرير التونسى جعت بالمدينة ثلاثة أيام فجئت إلى القبر وقلت يا رسول الله جعت ثم نمت ضعيفاً فلكزتنى جارية برجلها فقمت إليها فقالت اعزم فقمت معها إلى دارها فقدمت لى خبز بر وتمراً وسمنا وقالت كل أبا العباس فقد أمرنى بهذا جدى رسول الله ﷺ قال أبو العباس فرجعت إلى بلادى فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم بمصر بعد رجوعى فقال أوحشتنا يا أبا العباس قراءتك وكنت أكثر قراءة القرآن عند ضريحه . قال الباجى كم قرأت من ختمة عند قبره قلت ألف ختمة . وقال أبو العباس أحمد اللواتى كانت عندنا بمدينة فاس امرأة وكانت إذا أصابها أمر أو شئ يفزعها جعلت يديها على عينيها واستغاثت بالنبى ﷺ فتغاث فلما توفيت قال لى قريب لها رأيتها فى النوم فقلت لها يا عمة : أرأيت الملكين الفتانين فقالت نعم جاءآنى فعندما رأيتهما جعلت يدى على عينى وقلت يا محمد فلما نزعت يدى عن وجهى فلم أرهما . وهذه القصة ذكرها بعض الأئمة وعزاها . وقال إن الاستغاثة من بعيد به ﷺ كالاستغاثة به عند قبره ﷺ . وساق عن أبى إسحاق الحسين قال كنت بين مدينة النبى ﷺ والشام فضل لنا جمل قال وكان قد بلغنى عن الشيخ أحمد الرفاعى أنه قال من كانت له حاجة فليستقل عبادان نحو قبرى ويمشى سبع خطوات ويستغيث فإن حاجته تقضى قال

فلما استقبلت عبادان وقصدت الاستغاثة هتف بى هاتف أما تستحى من رسول الله ﷺ وتستغيث بغيره قال فتحولت نحـــو المدينة فقلت يا سيدى يا رسول الله أن مستغيث بك قال فوالله ما استكملت ذلـــك إلا والجمال يقول لى هذا الجمل قد وجدناه . وسافر بعض الفقـــراء لقصد زيارة قبر النبى ﷺ فتـــاه فى الطريق فاستغاث بـــالنبى ﷺ فظهرت لـــه قبة العباس رضى الله عنه وبينـــه وبـــين الموضـــع المذكور يومان أو نحوهما . وقال أبو الحجاج يوسف بن على قدس الله روحه وخرجت من مكة متوجهاً إلى المدينة على طريق المشاة فتهت فى الطريق فاستغثت بالنبى ﷺ فإذا بامرأة آتيـــة مـــن نحـــو المدينة وهى تشير إلى أن أمشى على أثرها فلم أزل أمشـــى علـــى أثرها إلى أن وصلت المدينة . وقال سمعت أبا عبد الله بـــن ســـالم يقول رأيت فى المنام كأنى فى بحر النيل وإذا بتمساح يريد أن يقفز علىّ فخفت منه وإذا بشخص وقع لى أنه النبى ﷺ فقال لى إذا كنت فى شدة فقل أنا مستغيث بك يا رسول الله فكنت أفعل فأغاث فـــأراد بعض الإخوان السفر لزيارته ﷺ وكان ضريراً فحكيت لـــه الرؤيا وقلت لـــه إذا كنت فى شدة فقل أنا مستغيث بك يا رسول الله فسافر فى تلك الأيام فجاء إلى رابغ وهى غزيرة الماء وكان له خادم كان قد ذهب فى طلب الماء قال فبقيت القربة فى يدى وأنا فى شدة من طلب الماء فذكرت ما قلت لى وقلت أنا مستغيث بك يا رســـول الله فبقيت أن كذلك، وإذا بصوت يقول زم قربتك وسمعت صرير الماء فى القربة إلى أن امتلأت ولم أعلم من أين أتى القائل وقال ســـمعت محمد السلاوى يقـــول لما ودعـــت النبى ﷺ قلت يا حبيبى يامحمد يا سيد الكونين أنا أدخل الصحراء فإذا أخـــذتنى شـــدة أدعـــوا الله

وأتوسل بك وجئت إلى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وقلت لهما كذلك قال فبقيت فى البرية سبعة أيام ووقعت فى جب وفيه ماء فبقيت فيه من أول النهار إلى ما بعد الظهر فلم يبق إلا الموت قال ففكرت ما كنت قلت عند النبى ﷺ وقلت يا حبيبى يا محمد الذى كنت قلت لك وقلت كذلك لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما قال فكأنى بمن حولنى وطلعت ببركة النبى ﷺ وصاحبيه رضى الله عنهما . وقال أخبرنى رجل من مدينة طرابلس قال كنا جائين من الإسكندرية فى مركب فهاج البحر علينا وأشرفنا على التلف والهلاك فقمت إلى الناس فقلت استغيثوا بالنبى ﷺ فإنه غياث فقلنا جميعاً الغياث يا رسول الله العفو يا رسول الله العفو يا رسول الله جائنين مذنبين استجرنا بك اجرنا يا محمد الحبيب يا حبيبنا يا شفيعنا يا ولينا فنام رجل من أهل المركب مشهور بالخير والصلاح فرأى النبى صلى الله عليه وسلم وأخذ بيده فقال انج وأبشروا بالسلامة فلما أفاق الرجل بشرنا برؤياه فلما أصبح رجع البحر كالزيت وكأنه عقد بيضة وجئنا إلى طرابلس سالمين ببركته صلى الله عليه وسلم وقال سمعت أبا الحسن العسقلانى يقول ركبنا البحر فى طلب جدة فهاج علينا ورمينا ما معنا فيه وأشرفنا على التلف فجعلنا نستغيث بالنبى صلى الله عليه وسلم ونحن نقول وامحمداه وكان معنا رجل مغربى صالح فقال لنا ارفقوا يا حجاج إنكم سالمون رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يا رسول الله أمتك يستغيثون بك قال فالتفت إلى أبى بكر رضى الله عنه وقال يا أبا بكر أنجدهم قال فكأن عينى ترى أبا بكر رضى الله عنه وقد خاض البحر وادخل يده فى مقدم الحق

ولم يزل يجذبها حتى دخل بها البر فلم تستغيثون فأنتم سالمون . فسلمنا ولم نر بعد هذا إلا خيراً ودخلنا البر سالمين والحمد لله رب العالمين . ولما قتل الحسين بن على رضى الله عنهما يوم عاشوراء أول سنة إحدى وستين وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة ونصف سنة ونصف شهر ووقع ما وقع من السبى وحمل النساء والصبيان فلما مروا بالقتلى صاحت زينب بنت على رضى الله عنهما مستغيثة بالنبى صلى الله عليه وسلم يا محمداه هذا حُسين بالعراء مزمل بالدماء مقطع الأعضاء يا محمداه ، فلما كان سنة ثلاث وأربعمائة أخذ أهل الكوفة جدرى عظيم . ثم عمى منهم ألف وخمسمائة كلهم من نسل من حضر قتل الحسين رضى الله عنه . وهذا من أعجب ما سمع واعلم أرشدك الله عز وجل أن مثل هذه القضايا كثيرة جداً وقد ذكر جماعة من الأئمة من ذلك أموراً عديدة عجيبة منهم البيهقى ومنهم أبو محمد عبد الحق ومنهم بعض الأئمة وذكر جملة مستكثرة فى ذلك وعقد أبواباً فى الاستغاثات بالنبى صلى الله عليه وسلم ومنها باب فى أصحاب العاهات وذكر منها جملة مستكثرة من ذلك على اختلاف أنواع العاهات كالعمى والصداع والزمانة ووجع البطن وغير ذلك وأنه عليه الصلاة والسلام يضع يده الشريفة على موضع العاهة فتزول ببركة يده الشريفة وتشفى وكأنه ما به وجع قلبه[1] ثم أنه مع ذلك قال ولو تتبعت هذا الفن لحفيت الأقلام وجفت المحابر وفنيت الطروس فى تتبعه والدفاتر . ثم قال ولقد سألت بعض إخواننا

---

(١) الصواب قبله ا هـ مصححه

المجتهدين وكان بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم على التجريد فقلت هل استغثت بالنبى صلى الله عليه وسلم أو لجأت إليه فى شئ قط مدة إقامتك فى المدينة فقال كنت أستحى أن أسأله إذ كنت بحضرته صلى الله عليه وسلم ثم قال سمعت الفقيه الإمام برهان الدين بن الطيب المالكى يقول : قال لى من أثق به وكان بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم وأنه أصابه الجوع فأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أنى جائع وجلس بالقرب من حجرة النى صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل من الأشراف فقال له قم فقال إلى أين فقال تأكل عندى شيئاً فقام معه إلى بيته فقدم إليه جفنة فيها ثريد ولحم ودهن فأكل حتى شبع وأراد الانصراف فقال له كل وازدد ، فلما أراد الانصراف قال له يا أخى الواحد منكم يأتى من البلاد البعيدة ويقطع المفاوز والقفار ويترك الأهل والأوطان ويقطع البحار ويأتى إلى زيارة النبى العظيم على ربه صلى الله عليه وسلم وتكون همته أن يطلب منه كسرة خبز يا أخى لو طلبت الجنة أو المغفرة أو الرضى مهما طلبته منه لنلته ببركة هذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم(١) هذا وعدم السؤال يكون

---

(١) هذا كلام جليل جداً فليتأمله القارئ ولا يستكثر على منزلته ﷺ عند ربه إغاثة أى ملهوف فإنه تعالى يسمع له فى الآخرة فى الشفاعة العظمى التى تشمل كل خلق الله كافرهم كمؤمنهم فيحمده لذلك الأولون والآخرون من الخلق وإذا كان تعالى يكرمه بذلك فى دار الجزاء وقد غضب غضباً لم يغضب قبله ولن يغضب بعده مثله فعدم كل ما يحكى فى هذه الدار من أنواع إغاثته تعالى للمستغيثين به ﷺ بالنسبة لذلك المقام المحمود . وهو تعالى يشفع فى ذلك اليوم عباده الصالحين فى إناس وجبت لهم النار فلا يدخلونها وفى إناس فى النار فيخرجون منها فإغاثته إذن لمن يستغيث بهم فى هذه الدار فى أمور دون النار بملايين المرات ليست بالأمر البديع وإنما كتبت هذا لأنى أعلم أن كثيراً من الناس لا يقع منهم موقع القبول ما يحكيه هذا الإمام رغم نقله عن أئمة تحنى رءوس أكابر الفضلاء عند ذكرهم فأنا فى زمن لا يعرف أهله إلا الإنكار وهم لا يعلمون أنهم إنما ينكرون إما فضل الله على أحبابه أو قدرته على ما ينسب إليه من كرامة يكرم بها محبى أحبابه فليعلم ا هـ مصححه

للأكابر لما يشاهدون في الحضرة النبوية من الإجلالات والكرامات العلوية وأنت أرشدك الله عز وجل إلى الحق وأزاح عنك الباطل إذا استحضرت بعض ما تقدم وعطفت على قول هذا الزائغ أن المسلمين متفقون على أن الميت لا يسأل ولا يدعى ولا يطلب منه سواء كان نبياً أو شيخاً أو غير ذلك قطعت بفجوره وببهتانه وأنه من أخبث الناس طوية وأنه لا اعتقاد له وهذه عادته بإدعاء الاتفاق وبالإجماع المقطوع به كما سيأتي عند ذكر شد الرحال وأعمال المطى وفي غير ذلك . وقد تقدم توسل آدم عليه السلام بالنبى صلى الله عليه وسلم وأن الله قبله بسبب التوسل وجعل هذا الزنديق آدم عليه السلام بتوسله بالنبى صلى الله عليه وسلم ظالماً ضالاً مشركاً وليس وراء ذلك زندقة وكفر . وروى عن أبى الجوزاء قال قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة رضى الله عنها ذلك فقالت امضوا إلى القبر واجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينها وبين السماء شئ ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمى عام التفتق وروى البيهقى بسنده إلى الأعمش عن ابن صالح قال أصاب الناس قحط فى زمن عمر رضى الله عنه فجاء رجل إلى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلك الناس استسق لأمتك فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال ائت عمر فاقرأه منى السلام وأخبره أنهم مسقون وقل له عليك الكيس قال فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر ﷺ وقال يارب ما آلو إلا ما عجزت عنه . فهذا رجل مبارك قد أتى قبره عليه الصلاة والسلام وطلب الاستسقاء منه عليه الصلاة والسلام فلو كان ذلك جهلاً

وضلالاً وشركاً لمنعه عمر رضى الله عنه الذى احتج الزائغ باستسقائه بالعباس . وقد تقدمت قصة عثمان بن حنيف وهى من الأمور المشهورة . فسكوت هذا الزائغ القائل بمسألة الفرق تبعاً لسلالة اليهود عن هذه الأمور الواضحة الجليلة المشهورة والعدول إلى الفجور من أقوى الأدلة على خبث طويته . ومثل هذا لا يحل لأحد تقليده فيما يقوله ولا ينظر فى كلامه إلا من يكون أهلاً لمعرفة دسائس أهل البدع والزيغ وإلا هلك وأهلك فتنبه لذلك وخذ حذرك وإلا هلكت من حيث ظننت السلامة . وقوله (ولا يطلب منه شيء سواء كان نبياً أو شيخاً أو غير ذلك) قال الأئمة الأعلام النقاد أصحاب الأذهان الجيدة هذا منه كفر لما فيه من حط رتبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والإجماع على أن من غمط من نبى فى شئ من الأشياء كفر، وأيضاً ففيه ترفيع غير الأنبياء إلى رتبة الأنبياء وإلحاقهم بهم وفيه إشارة بعيدة ترجع إلى اعتقاد الشيعة(١) . وهو أن النبوة عندهم تكتسب بالرياضات وتهذيب النفس ، وكتبهم مشحونة بهذا وهذا من فجورهم فإن النبوة إنما هي من الله عز وجل فمن نبأه الله عز وجل فهو النبي ومن أرسله فهو الرسول (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ومن الأمور المنتقدة عليه قوله (زيارة قبر النبي وقبور الأنبياء معصية بالإجماع مقطوع بها) وهذا ثابت عنه أنه قاله . وثبت ذلك على يد القاضى جلال الدين القزوينى . فانظر هذه العبارة ما أعظم الفجور فيها من كون ذلك معصية . ومن ادعى الإجماع وأن ذلك

---

(١) هذا ليس اعتقاد الشيعة وإنما هو اعتقاد الفلاسفة هكذا رؤى على حاشية خط الشيخ ا هـ صاحب الأصل

مقطوع به فهذا الزائغ يطالب بما ادعاه من إجماع الصحابة رضى الله عنهم . وكذا التابعون ومن بعدهم من أئمة المسلمين إلى حين ادعائه ذلك . وما أعتقد أن أحداً يتجاسر على مثل ذلك مع أن الكتب المشهورة بل والمهجورة وعمل الناس فى سائر الأعصار على الحث على زيارته من جميع الأقطار . فزيارته من أفضل المساعى وانجح القرب إلى رب العالمين وهى سنة من سنن المرسلين ومجمع عليها عند الموحدين ولا يطعن فيها إلا من فى قلبه مرض المنافقين ومن هو من أفراخ اليهود وأعداء الدين من المشركين الذين أسرفوا فى ذم سيد الأولين والآخرين . ولم تزل هذه الأمة المحمدية على شد الرحال إليه على مر الأزمان من جميع الأقطار والبلدان ، سار فى ذلك الزرافات والوحدان والعلماء والمشايخ والكهول والشبان حتى ظهر فى آخر الزمان مبتدع من زنادقة حران لبس على أشباه الرجال ومن شابههم من سئ الأذهان وزخرف لهم من القول غروراً ، كما صنع إمامه الشيطان فصدهم بتمويه عن سبيل أهل الإيمان وأغواهم عن الصراط المستقيم إلى ثنيات الطريق ومدرجة النيران فهم برزيته فى ظلمة الخطأ يعمهون وعلى منوال بدعته يهرعون . وسأذكر لك ما تحقق به فجوره وبدعته ، وتضليل من مشى خلفه وهلكته وأبين ما أظهره من القول الباطل وما رمز إليه وأوضحه لكل من سمعه ووقف عليه ثم أردف ذلك بما يدل على المنهج من ذلك فلا يزيغ عنه بعد ذلك إلا هالك . قال القاضى عياض فى أشهر كتبه الذى شاع ذكره فى سائر البلاد وقرئ فى المجامع والجوامع على رءوس الأشهاد .

فصل فى حكم زيارة قبره عليه الصلاة والسلام وفضل من زاره وكيف يسلم عليه ويدعو

وزيارة قبره سنة من سنن المرسلين مجمع عليها ومرغب فيها . وروى عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من زار قبرى وجبت لـه شفاعتى) وعن أنس ابن مالك رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (من زارنى فى المدينة محتسباً كان فى جوارى وكنت لـه شفيعاً يوم القيامة) وفى حديث آخر (من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى) هذه ألفاظه بحروفها . وكذا ذكره الإمام العلامة هبة الله فى كتاب **توثيق عرى الإيمان** فهذا نقل الإجماع على خلاف ما نقله هذا الزائغ الفاجر المبالغ فى فجوره وعزوه إلى السلف وأما غير هذين الإمامين ممن نقل الندب إلى زيارته فخلق لا يحصون وسأذكر بعضهم على أنه ذكر فى فتوى مطولة ما يناقض ما ادعاه من الإجماع والقطع هنا وقد ذكرت المسألة فى [تنبيه السالك] وذكرت صورة الفتوى وجوابه وهذا جواب مطول وتعرضت لما فيه من الخلل وسوء الفهم وفجوره فى النقل والعزو وهاأنذا أذكر هنا بعض الجواب وأبين ما فيه من الخطأ وعدم صحة الاحتجاج بما احتج به كحديث لا تشد الرحال ولا أدقق فى الجواب لأن قصدى بيان جهله ، وأنه لا حجة له فى الحديث جرياً على القواعد التى عليها مدار الاستدلال صحة وبطلاناً . وأذكر ما ذكره فى أحاديث الزيارة وما ادعاه فيها من الفجور وما رمز إليه فى تكفير الأئمة الذين رووها وأنه قال قولاً مفترى لم يسبقه إليه أحد

ولا رمز ولا أشار إليه وبالله التوفيق فمن[1] ما ذكره في الجواب بلفظ قوله . وقد يحتج بعض من لا يعرف الحديث بالأحاديث المزوية في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم . كقوله : (من زار قبري بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي) رواه الدارقطني وابن ماجه . فانظر أرشدك الله تعالى كيف جعل هذين الإمامين ممن لا يعرف الحديث وهو من أقبح البهتان . وقد احتج بهذا الحديث خلائق من أئمة الحديث غير هذين الإمامين منهم القاضي عياض وصاحب توثيق عرى الإيمان . وأبو الفرج ابن الجوزي في كتابه [مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن] ذكره في الباب الذي عقده لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم . ومنهم ابن قدامة ذكره في كتابه **المُغني** في فصل يستحب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم واستدل بحديث ابن عمر من طريق الدار قطني ومن طريق سعيد بن منصور وذكر أيضاً حديث أبي هريرة رضي الله عنه : ما من أحد سلم عليّ عند قبري وقوله (وأما ما يذكره بعض الناس من قوله من حج ولم يزرني فقد جفاني فلم يورده أحد من العلماء) وهذا أيضاً من البهتان البين والجهل فقد روى هذا الحديث غير واحد من الأئمة بألفاظ متقاربة منهم الحافظ أبو عبد الله ابن النجار في كتابه (الدرة الثمينة) . من حديث علي رضي الله عنه ومنهم الإمام الحافظ المتفق على حفظه وعلو قدره في هذا الشأن أبو سعيد عبد الملك النيسابوري خرجه في كتابه شرف المصطفى من حديث علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في

---

(١) توصل ما بمن ا هـ مصححه

حياتي ومن لم يزرني فقد جفاني) . رواه ابن عساكر من طرق وقوله : (وهو مثل من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة) تنبه يا من أشير إليه بالعلم في قوله فإنه يشير به إلى أن الحديث الأول كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه سوى بينهما . وذكر الحديث الثاني توطئة لقصده الفاسد في إرادة تجاسره به والتمويه على العوام والضعفاء من الطلبة وهو شديد الاعتناء بهذا القصد الخبيث في الكلام على آيات الصفات وأحاديثها فليحذر الواقف على كلامه في آيات المتشابه وأحاديثه غاية الحذر فإن الخطأ فيها كفر بخلاف غيرها من مسائل الفروع وقوله : (وقد احتج أبو محمد المقدسي على جواز السفر لزيارة قبر النبي ﷺ وقبور الأنبياء بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور قباء وأجاب عن حديث لا تشد الرحال بأن ذلك محمول على نفي الاستحباب وأما الأولون فإنهم محتجون بما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال[1] إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا . وهذا الحديث اتفق الأئمة على صحته والعمل به) انظر بصرك الله تعالى ما في هذا الكلام من الإيهام والتدليس فإنه قال : قال وقد احتج الشيخ أبو محمد على جواز السفر لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن النبي كان يزور قباء ولم يذكر راكباً وماشياً لأن الراكب قد شد الرحل وهو لا غرض له في ذلك وأيضاً فلم يذكر غير الشيخ أبي محمد وهو يوهم انفراده بذلك ولم ينفرد كما أذكره من بعد . وقوله (أجاب يعني أبا محمد عن حديث

---

(١) أول الحديث لا تشد الرحال ثم المذكور هنا ا هـ مصححه

لا تشد الرحال بأن ذلك محمول على نفى الاستحباب) وهو يوهم أن ذلك لم يقله إلا الشيخ أبو محمد وهو من التدليس الذى هو كثير الاعتناء به والمكر السئ قوله [أما الأولون يعنى القائلين بتحريم السفر وعدم جواز القصر فى سفر المعصية فإنهم يحتجون بما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى هذا) وهذا الحديث اتفق الأئمة على صحته والعمل به] وهو يوهم انهم احتجوا لتحريم[1] قبور الأنبياء وقبر النبى صلى الله عليه وسلم به وهو من التدليس الفاحش وهو مطالب بأن الأولين صرحوا بأن شد الرحال وأعمال المطى إلى قبره وقبر الخليل إبراهيم عليهما الصلاة والسلام حرام ومعصية ولا تقصر فيه الصلاة وهذا لا يجده بل الموجود غيره والندب إلى ذلك كما يأتى إن شاء الله تعالى وقد خاب من افترى ثم ما ذكره من انفراد الشيخ أبى محمد بأن الحديث محمول على نفى الاستحباب كذب وفجور وجهل فإنه لم ينفرد بذلك بل ولا الحديث مسوق لتحريم زيارة القبور وإنما هو لبيان فضيلة المساجد الثلاثة دون غيرها لأن المساجد الثلاثة مساجد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والعمل فيها يضاعف ما لا يضاعف فى غيرها وليس لزيارة القبور تعلق بالحديث ، ولما تكلم الأئمة على هذا الحديث ومنهم الإمام العلامة أبو زكريا يحيى النووى ﷺ فى شرح مسلم قال : (فى الحديث فضيلة المساجد الثلاثة وفضيلة شد الرحال إليها لأن معناه عند جمهور العلماء لا فضيلة فى شدها إلى مسجد غيرها . وقال الشيخ

---

(١) فيه حذف مضاف تقديره زيارة قبور الخ ا هـ مصححه

أبو محمد الجويني من أصحابنا يحرم شدها إلى غيرها وهو غلط ومر بيانه فى باب سفر المرأة) . فصرح بأن جمهور العلماء إنما ذكروا ذلك فى الفضيلة وصرح بأنه لا فضيلة فى شد الرحال إلى مسجد غيرها ولم يتعرض للزيارة البتة قلت وجزم الشيخ محيى الدين ﷺ بأن الشيخ أبا محمد جزم بالتحريم وهو ممنوع وإنما تردد في ذلك فقال ربما يحرم وربما يكره والله اعلم . وقال أعنى النووى في شرح مسلم فى باب سفر المرأة واختلف فى شد الرحال وأعمال المطى إلى غيرها لا الذهاب إلى قبور الصالحين والمواضع الفاضلة ونحو ذلك فقال الشيخ أبو محمد الجوينى يحرم وهذا الذى أشار إليه عياض مختاراً له والصحيح عند أصحابنا واختاره الإمام والمحققون لا يحرم ولا يكره والمراد أن الفضيلة التامة إنما هى فى شد الرحال إلى الثلاثة خاصة انتهى . فذكر أولاً أن جمهور العلماء إنما ذكروا ذلك فى الفضيلة وذكر ثانياً أنه قول المحققين وأنه لا يحرم ولا يكره وأن المراد أن الفضيلة التامة إنما هى فى شد الرحال إلى المساجد الثلاثة خاصة ولم يصرح بقبور الأنبياء وقوله وأن الفضيلة التامة إنما هى فى شد الرحال إلى المساجد الثلاثة يفيد أن شد الرحال إلى غير الثلاثة فيه فضيلة إلا أنها غير تامة وإذا علمت ذلك وما قرره هذا العبد الصالح وما نقله استفدت منه أنه لا يجوز تقليد هذا الزائغ فى نقله ولا يرجع إليه فى تقريره لسوء فهمه وتدليسه وسيأتى إن شاء الله تعالى ما تقطع به بصحة ما قلته بلا شك ولا تردد . وأزيدك على ما ذكره النووى ما يؤكد ما قلته قال ابن قدامة الحنبلى فى كتابه **المغنى** (فصل) فإن سافر لزيارة القبور والمشاهد قال ابن عقيل لا يباح له

الترخيص لأنه منهى عن السفر إليها قال النبى ﷺ : (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) والصحيح إباحته وجواز القصر فيه لأن ﷺ كان يأتى قباء ماشياً وراكباً وكان يزور القبور . وقال زورها تذكركم الآخرة وأما قوله (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) فيحمل على نفى الفضيلة لا على التحريم وليس الفضيلة شرطاً فى إباحة القصر ولا يضر انتفاؤها انتهى وفيه من الفوائد أنه صرح بأن الصحيح أن ذلك فى نفى الفضيلة وأن المنع إنما نسبه إلى ابن عقيل فقط فأين قول ابن تيمية وطوائف كثيرون من العلماء من المتقدمين وابن قدامة واسع الباع فى الاطلاع فكيف يقتصر على ابن عقيل وحده ويترك طوائف كثيرة من العلماء المتقدمين وهذه كتب الحنابلة وغيرها مشهورة فأين النقل فيها عن المتقدمين وهذا مما يعرفك أن ابن تيمية يكذب فى الإجماع ومن تتبع ذلك وجده صحيحاً وينقل فى بعض الأحيان شيئاً وهو كذب محقق وإذا نقل كلام الغير لم ينقله على وجهه وإن نقله على وجهه دس فيه ما ليس من كلام ذلك المنقول[1] فاعلم ذلك وتنبه له واحذر تقليده تهلك كما هلك وقول ابن عقيل لا يباح الترخيص لزيارة القبور لأنه منهى عن السفر إليها لم يصرح بقبور الأنبياء ولا بقبر النبى ﷺ ولم يعلم مراده وعلى تقدير إرادته ذلك فهو مخطئ

(١) هل الذى يبلغ فى الخيانة فى النقل إلى هذه الدرجة يعد من متوسطي المؤمنين فضلاً عن أفاضل العلماء فضلاً عن الأئمة المجتهدين وأنت تعلم أن العالم لا يكون عالماً ويثق الناس بمؤلفاته إلا إذا كان أميناً أمانة لا يتطرق إليها الشك أصلاً لأنه يتكلم فى دين الله وأنا لا أدرى من هذا حاله كيف مدحه بعض الناس لاسيما إذا لوحظ ما تقدم من تكفيره بإجماع علماء المذاهب الأربعة وقد أجاد وأفاد من قال أن ذلك المدح صدر ممن مدح فى أوائل أمر هذا الرجل فإنه كان يتظاهر بما يمدح به ولكن لما تبين حاله لم يمدحه إلا من يوافقه على مشربه لا بل هذا ذمه كل الذم ونصحه وقول المؤلف المنقول أى عنه ا هـ مصححه

وضعيف الإدراك فى الاستدلال ألا تراه اعتمد على الحديث وما ابن عقيل وسيأتى إن شاء الله تعالى أن الحديث لا دليل فيه إلا عند عوام الفقهاء وأن من تمسك به فقد تمسك بما لا يفيد ولابد من ذكر ألفاظ الحديث لتتم الفائدة وقد ورد بألفاظ مختلفة (أشهرها) : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدى هذا ومسجد الحرام ومسجد الأقصى " (واللفظ الثانى) : " تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد من غير لفظ الحصر " (اللفظ الثالث) : " إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد مسجد الكعبة ومسجدى ومسجد إيلياء " وإيلياء بيت المقدس وهذه الروايات ذكرها مسلم فى فضل المدينة من حديث أبى هريرة ﷺ وذكر قبل ذلك فى سفر المرأة من حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ " لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى " وهذا بصيغة النهى والثلاثة الأول بصيغة الخبر وبصيغة النهى رواه الطبرانى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد إبراهيم ومسجد محمد ومسجد بيت المقدس وهذا اللفظ رواه ابن راهويه فى مسنده من حديث أبى سعيد ﷺ . هذا ما يتعلق بلفظ الحديث وأما ما يتعلق بمعناه وما يدل عليه فاعلم أن الاستثناء فى الحديث مفرغ كما هو واضح ولابد فيه من تقدير وهو شيئان . (أحدهما) لا تشد الرحال إلى مسجد إلا إلى المساجد الثلاث وعلى هذا فلا حجة للخصم فيه والتقدير . (الثانى) : لا تشد الرحال إلى مكان إلا إلى المساجد الثلاث ولابد من تقدير أحد هذين ليكون المستثنى مندرجاً تحت المستثنى منه . والتقدير الأول وهو لا تشد الرحال إلى مسجد أولى من التقدير الثانى وهو لا تشد الرحال إلى

مكان لأنه على التقدير الأول جنس قريب لما فيه من قلة التخصيص لأن التخصيص على تقدير إضمار الأمكنة أكثر فيكون مرجوحاً ولو خطر بالبال تقدير العموم فى الحديث لكان خيالاً فاسد السياقة وللقرينة اللفظية فيه ولدخول التخصيص بالأدلة السمعية والعملية الكثيرة جداً أما سياقه فلأن الحديث إنما ورد لبيان شرف هذه المساجد الثلاثة[1] وخيرتها على غيرها من المساجد كما مر من أنها مساجد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولهذا تضاعف الأعمال فيها مالا تضاعف فى غيرها والمتكلمون على الحديث إنما يتكلمون فى ذلك ونحوه من لزوم النذر المتعلق بها دون الزيارات ولهذا لما تكلم بعض المتأخرين على الحديث وأدرج ذكر الزيارة اعترض عليه فى ذكر الزيارة وقيل لم يرد الحديث لذلك وإنما ورد لبيان شرف هذه المساجد دون غيرها وهذا كاف فى بطلان الاحتجاج بالحديث لمنع زيارة القبور والزيادة على ذلك إنما هو على وجه التنزل فمن احتج بالحديث لمنع الزيارة ينبغى أن لا يرسم فى حزب الفقهاء البتة لما قررنا وإن قلنا بعموم اللفظ فكذلك لأن وقائع الأعيان إذا تطرق إليها الاحتمال كساها ثوب الإجمال وسقط بها الاستدلال وهذا فى الاحتمال وإن كان فيه بعد . فما ظنك بهذا الحديث الذى لا احتمال فيه من لفظه وهو قرينة ظاهرة قوية ولها شاهد ظاهر الدلالة كما أذكره إن شاء الله تعالى ولاسيما وقد دخله التخصيص بالأدلة السمعية والعملية مع كثرة المخصصات على اختلاف أنواعها فمنها ما هو فرض عين ومنها ما هو فرض كفاية ومنها ما هو مندوب ومنها ما هو قربة ومنها

---

(١) صوابه وخيريتها كما لا يخفى ا هـ مصححه

ما هو مباح وصور هذه الأنواع لا تكاد تنحصر عدا فأما القرينة اللفظية فذكر المساجد الثلاث في الاستثناء وهو بعض المستثنى منه وهذا قوى جداً وإلى تكون بمعنى اللام إذ حروف الصلة ينوب بعضها عن بعض كما هو كثير فى الكلام فالمعنى لا تشد الرحال لمسجد إلا للمساجد الثلاثة ويؤيد هذا أن رجلاً من التابعين قال لابن عمر رضى الله عنهما أريد أن آتى الطور قال إنما تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجد رسول الله ﷺ ومسجد الأقصى ودع عنك الطور فلا تأته فهذا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من اجلاء الصحابة ﵃ لم يتكلم إلا فى شد الرحال إلى المساجد دون غيرها وهو أعلم بالحديث وموارده ومصادره وعلى منواله تكلم العلماء فى شد الرحال بالنسبة إلى المساجد وكذا ذكر القاضى عياض فى كتابه **الإكمال** ولم يتعرض لزيارة الموتى أصلاً وليس فى الحديث تعرض لمنع الزيارة ألبتة وبهذا وغيره يعرف أن دعوى أن الحديث يدل على منع الزيارة من كلام الجهلة العارين عن العلوم التى بها يصح الاستدلال والاستنباط وعلى سوء الفهم وبلادة الذهن وجموده وأن مثل هذا لا يحل لأحد تقليده ولا الأخذ بقوله لتحقق جهله ببعض ما قررنا . ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور . ومثل هذا لا يزال يتخبط فى ظلمة جهله هو واتباعه وبالله التوفيق . وقوله فى جواب الفتوى (ولو نذر أن يأتى مسجد النبى ﷺ أو المسجد الأقصى لصلاة أو اعتكاف وجب الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعى وأحمد ولم يجب عند أبى حنيفة لأنه لا يجب عنده بالنذر إلا ما كان من جنسه واجب بالسمع) إلى آخره فقوله وجب الوفاء عند الشافعى يوهم أن الشافعى جازم بذلك وليس

كذلك بل هو قول مرجوح عند الشافعي وعلل بأن مسجد النبي ﷺ والمسجد الأقصى لا يقصدان بالنسك فأشبها سائر المساجد وقوله ولو نذر أن يصلي في مسجد أو مشهد أو يعتكف فيه أو يسافر إلى غير هذه المساجد الثلاثة لم يجب ذلك باتفاق الأئمة وهذا أيضاً ليس بصحيح وما رأيت أجرأ منه على الفجور ولا أكذب في دعوى الاتفاق والإجماع وقصده بذلك الترويج على الاغمار ولا عليه من غضب الجبار وفي كلامه مسألتان : الأولى إذا نذر أن يصلي في مسجد أو مشهد أو يعتكف فيه من غير المساجد الثلاث . وقد حكى الاتفاق على أنه لا يجب الوفاء بذلك وهو البهتان البين ففي ذلك قولان آخران أحدهما يجب الوفاء مطلقاً والثاني أن نذرها في الجامع تعين وإلا فلا . المسألة الثانية إذا نذر أن يسافر إلى غير هذه المساجد الثلاثة فإنها لا تجب عليه باتفاق الأئمة ثم أردف ذلك بقوله وأما السفر إلى بقعة غير المساجد الثلاث فلم يوجب أحد من العلماء السفر إليه إذا نذره حتى نص العلماء على أنه لا يسافر إلى مسجد قباء لأنه ليس من المساجد الثلاث) فانظر إلى هذه الجرأة والفجور بقوله حتى نص العلماء والمسألة فيها خلاف وقد قال الإمام محمد بن مسلمة المالكي إذا قصد مسجد قباء لزمه لأن النبي ﷺ كان يأتيه كل سبت راكباً وماشياً بل قال الليث بن سعد إذا نذر المشي إلى أي مسجد كان لزمه سواء في ذلك المساجد الثلاثة وغيرها وقال الإمام ابن كج من كبار أصحابنا إذا نذر أن يزور قبر النبي ﷺ فعندي أن يلزمه وجهاً واحداً ولو نذر المشي إلى مسجد النبي ﷺ ففيه قولان أحدهما لا يلزمه والثاني يلزمه فعلى هذا لابد من ضم عبادة قيل يلزمه صلاة وقيل اعتكاف ولو لحظة والصحيح

أنه يتخير في مسجد النبى ﷺ بين الصلاة وبين زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فجعل زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم طاعة وهي أخص من القربة وجعلها تقوم مقام الصلاة التى هى أفضل عبادات البدن والمساجد موضوعة لها بالأصالة وقوله (وقالوا لأن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها فهو مخالف للسنة ولإجماع الأئمة) . قلت لما وقف بعض الأئمة على هذا الكلام الباطل قال هذا من البهت الصريح . وصدق رضى الله عنه لما أذكره وفيه أيضاً تدليس من الفجور وبيان التدليس قوله قالوا فإنه يوهم أن هذا الذى قاله لم يقله من عند نفسه وإنما نقله عن أئمة المسلمين وأنه مجمع عليه وهذا شأنه يدلس فى الإغراء ليحمل الناس على عقيدته الفاسدة المفسدة لأنه لو عزاه إلى نفسه لما انتظم له ذلك لعلم الحذاق النقاد بسوء فهمه وكثرة خلطه مما عرفوه منه في بحثه وتدوينه إذا انفرد فقوله (لأن السفر إلى قبور الأنبياء) يشمل قبر الخليل والكليم وقبر النبى صلى الله عليه وسلم وغيرهم وقوله (والصالحين) يشمل قبور الصحابة ﷺ وغيرهم وهو مطالب بتصحيح ما عزاه إلى أئمة المسلمين وأنه مجمع عليه وهو لا يجد إلى ذلك سبيلا بل المنقول خلاف ذلك كما تراه وقوله (إن السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين) هذا من الفجور والإفك المبين . ولم تزل الناس على زيارة قبر الخليل والكليم وغيرهما فى سائر الأعصار من جميع

الأمصار . وهذا بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر من الشام إلى المدينة الشريفة لزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وممن ذكر ذلك الحافظ بن عساكر والحافظ عبد الغنى المقدسى فى كتابه **الاكمال** في ترجمة بلال وقال فيه ولم يؤذن لأحد بعد النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى إلا مرة واحدة فى قدمة قدمها إلى المدينة لزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب إليه الصحابة رضى الله عنهم ذلك فأذن لهم ولم يتم الأذان . وقيل أنه أذن لأبى بكر رضى الله عنه فى خلافته ا هـ . وممن ذكر ذلك أيضاً إمام الأئمة فى الحديث أبو الحجاج الشهير بالمزى(١) وسبب سفر بلال رضى الله عنه لزيارة قبره صلى الله عليه وسلم أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له ما هذه الجفوة يا بلال أما آن لك أن تزورنى يا بلال فانتبه من نومه حزيناً وجلاً خائفاً فقعد على راحلته من حينه وقصد المدينة فأتى قبره عليه الصلاة والسلام فجعل يبكى عنده ويمرغ وجهه عليه فأقبل الحسن والحسين رضى الله عنهما إليه فجعل يضمهما ويقبلهما ثم قالا له يا بلال نشتهى أن نسمع أذانك الذى كنت تؤذن للنبى ﷺ فى المسجد فعلا سطح المسجد ووقف موقفه الذى كان يقف فلما أن قال الله أكبر ارتجت المدينة فلما قال أشهد أن لا إله إلا الله ازدادت رجتها فلما قال أشهد أن سيدنا محمداً رسول الله خرجت العواتق من خدورهن وقالوا أبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رؤى يوم أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك اليوم . فهذا بلال

---

(١) المزى بكسر الميم وتشديد اى نسبة إلى قرية بالشام ا هـ مستنسخ الأصل

من سادات الصحابة رضى الله عنهم قد شد رحله من الشام وسافر لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام فقط ، وأعلم بذلك الحسن والحسين وطار بذلك الخبر في المدينة وكان فى خلافة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ولم ينكر عليه ولا أحد من الصحابة رضى الله عنهم . ولو كان السفر لزيارة قبره مخالفاً للسنة ولإجماع الأمة لأنكروا عليه لأنهم ينكرون أدنى شئ من المخالفات ولاسيما عمر وهو أمير المؤمنين وأشد الناس في الإنكار وأبطشهم يداً وأحدهم لساناً ووقوفاً مع الحق ولا تأخذه فى الله لومة لائم وأيضاً فمن الشائع الذائع أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان يبرد البريد من الشام لأجل السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط ذكر هذا غير واحد منهم القاضى عياض فى أشهر كتبه وهو **الشفاء** وذكره الإمام هبة الله فى كتابه **توثيق عرى الإيمان** وذكره الإمام العلامة ابن الجوزى فى كتابه (**مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن**) وذكره الإمام أبو بكر أحمد ابن النبيل فى مناسك له لطيفة جردها من الأسانيد والتزم فيها الثبوت ولفظه وكان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة ليقرئ النبى صلى الله عليه وسلم السلام ثم يرجع وهذا الإمام أبو بكر قديم توفى فى سنة سبع وثمانين ومائتين فهذا السيد الجليل عمر ابن عبد العزيز يبعث الرجل لأجل السلام فقط لا لقصد آخر وكان ذلك فى زمن صدر التابعين وكان سفر بلال فى زمن صدر الصحابة رضى الله عنهم ولم ينكر ذلك أحد فدل على أن السفر لأجل زيارة قبره صلى الله عليه وسلم ولأجل السلام عليه مجمع عليه بين الصحابة والتابعين فأين دعوى ابن تيمية لأن ذلك مخالف

للسنة ولإجماع الأمة وقد تقدم قول عمر رضى الله عنه لكعب الأحبار ألا تسافر لتزور قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتمتع بزيارته فقال نعم يا أمير المؤمنين أفعل . وهذا أبو بعضه كاف فى إبطال دعوى ابن تيمية وإثبات فجوره وأتبرع بزيادة وأقتصر غاية الاقتصار . قال بعض الأئمة وأما زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فلم ينكرها أحد ولم يقع فى السفر إليها نزاع ولم يزل سفر الحجيج إليه فى السلف والخلف وصدق رضى الله عنه وهذه كتب العلماء من جميع المذاهب مصرحة بذلك وقد تقدم قول القاضى عياض : زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم سنة من سنن المرسلين ومجمع عليها ومرغب فيها واحتج بحديث ابن عمر وأنس رضى الله عنهم وقد ذكر غير القاضى عياض ما ذكره . وإذا تقرر ذلك ففى ذكرى ما أتبرع به مع غاية الاقتصار تتحقق أن ابن تيمية من أعظم الكذبة والفجار . وقد انكشف لك ذلك كما انكشف ضوء النهار . فمن ذلك ما ذكره القاضى أبو الطيب وهو من أئمة الشافعية قال ويستحب أن يزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن يحج ويعتمر ا هـ . وكيف يزور من غير سفر سواء كان راكباً أو ماشياً وقال المحاملى فى كتابه **التجريد** ويستحب للحاج إذا فرغ من مكة أن يزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم ا هـ . وقال الحليمى فى كتابه **المنهاج** عند ذكر تعظيم النبى ﷺ وذكر جملة ثم قال وهذا كان من الذين رزقوا مشاهدته وصحبته وأما اليوم فمن التعظيم بيان تعظيمه وزيارته وقال الماوردى فى كتابه **الحاوى** أما زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فمأمور بها ومندوب إليها . وقال فى كتابه **الأحكام السلطانية** فى باب الولاية على الحجيج

وذكر كلاماً يتعلق بأمير الحاج ثم قال وإذا قضى الناس الحج أمهلهم الإمام الأيام التى جرت عادتهم بها فإذا رجعوا سار بهم على طريق المدينة للنبى صلى الله عليه وسلم ليجمع بين حج بيت الله عز وجل وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم رعاية لحرمته وقياماً ببعض حقوق طاعته وذلك وإن لم يكن من فروض الحج فهو من مندوبات الشرع المستحبة وعبادات الحجيج المستحسنة . فتأمل هذه العبارة من هذا الإمام وما اشتملت عليه من الفوائد الجليلة وقال الإمام العلامة المتفق على دينه وكثرة علومه وعلو قدره الشيخ أبو اسحاق الشيرازى . ويستحب زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وذكر القاضى حسين نحوه وكذا الرويانى ولا حاجة إلى الإطالة بذكر من قال بزيارة قبره عليه الصلاة والسلام سواء فى ذلك قبل الحج أو بعده وذكر السير إليه كثير من أصحاب الشافعي : من جملتهم السيد الجليل أبو زكريا يحيى النووى قدس الله روحه . قال فى كتابه **المناسك** وغيرها (فصل) فى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم سواء كان ذلك على طريقه أم لا فإن زيارته صلى الله عليه وسلم من أهم القربات وأربح المساعى وأفضل الطلبات ا هـ . وإذا عرفت هذا فأتبرع إليك بزيادة أخرى مع زيادة فائدة . قالت الحنفية أن زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم من أفضل المندوبات والمستحبات بل تقرب من درجة الواجبات وممن صرح بذلك الإمام أبو منصور محمد الكرمانى فى مناسكه والإمام عبد الله ابن محمود فى **شرح المختار** . وقال الإمام أبو العباس السروجى وإذا انصرف الحاج من مكة شرفها الله تعالى فليتوجه إلى طيبة مدينة رسول الله ﷺ

لزيارة قبره فإنها من أنجح المساعى وكلامهم فى ذلك يطول وأتبرع بزيادة هى أبلغ فى تكذيب هذا الفاجر لأنها من كلام أئمة الحنابلة . قال ابن الخطاب محفوظ الكاواذى الحنبلى فى كتابه **الهداية** فى آخر باب صفة الحج استحب له زيارة قبره ﷺ وصاحبيه وفيه فائدة وهى استحباب شد الرحل إلى زيارة الصديقين رضى الله عنهما وقال الإمام أحمد بن حمدان فى الرعاية[١] الكبرى ويستحب لمن فرغ من نسكه زيارة قبر النبى ﷺ وقبر صاحبيه رضى الله عنهما وذلك بعد فراغ الحج وإن شاء قبله وذكر نحو ذلك غيرهم ومنهم الإمام أبو الفرج بن الجوزى فى كتابه **مثير الغرام** وعقد له باباً فى زيارة قبره عليه الصلاة والسلام واستدل بحديث بن عمر وأنس رضى الله عنهم . وذكر ابن قدامة فى المُغنى فصلاً فى ذلك فقال يستحب زيارة قبر النبى ﷺ واستدل بحديث بن عمر وأبى هريرة ﷺ ولا أطول بذكرى من ذكره من أئمة الحنابلة تبعاً لإمامهم ﷺ وأتبرع بزيادة لفوائد جمة ومهمة . فمن ذلك ما فى كتابى[٢] **تهذيب الطالب** لعبد الحق الصقلى عن أبى عمران المالكى أن زيارة قبر النبى ﷺ واجبة وقال عبد الحق فى هذا الكتاب رأيت فى بعض المسائل التى سئل عنها أبو محمد ابن أبى زيد قيل له فى رجل استؤجر بمال ليحج به وشرطوا عليه الزيارة فلم يستطع تلك السنة أن يزور لعذر منعه من ذلك فقال يرد من الأجرة بقدر مسافة الزيارة وهى مسألة حسنة وفى كتاب **النوادر** لابن أبى زيد فائدة أخرى فإنه بعد أن حكى فى زيارة

(١) هى الدعاية بالدال اهـ مصححه

(٢) صوابه كتاب كما هو واضح اهـ مصححه

القبور من كلام ابن حبيب ومن المجموعة عن مالك ومن كلام القرطى بإسكان الراء وبالطاء المهملتين ثم قال عقبة[١] ويأتى قبور الشهداء بأحد ويسلم عليهم كما يسلم على قبره ﷺ وعلى صاحبيه وفى الكتاب المذكور ويدل على التسليم على أهل القبور ما جاء فى السنة والتسليم على النبى ﷺ وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما مقبورين . وقال العبدى المالكى فى شرح الرسالة إن المشى إلى المدينة لزيارة قبر النبى ﷺ أفضل من المشى إلى الكعبة وبيت المقدس وصدق وأجاد ﷺ لأنه أفضل البقاع بالإجماع فهذه نبذة يسيرة والنقول فى ذلك كثيرة جداً وفيها الإجماع على طلب الزيارة بعدت المسافة أو قصرت وعمل الناس فى ذلك فى جميع الأعصار من جميع الأقطار فكيف يحل لأحد أن يبدعهم بالقول الزور ويضلل أئمة أمة المختار بل من المصائب العظيمة أن يوقع وفد الله تعالى فى جريمة عظيمة وهى عصيانهم بشد رحالهم لزيارة قبره عقب ما رجوه من المغفرة وبتركهم الصلاة التى هى أحد أركان الدين لأنهم إذا لم يجزلهم القصر وقصروا فقد تركوا الصلاة عامدين ومن تركها متعمداً قتل إما كفراً وإما حداً ولا يصدر هذا إلا ممن هو شديد العداوة لوفد الله تعالى ولحبيبهم الذين[٢] يرتجون بزيارتهم له استحقاق الشفاعة التى بها نجاتهم وسأذكر عقب هذه الأدلة الخاصة بالحث على زيارته وأتعرض لما قدح فيها وفى الأئمة رواتها ومنها تعلم أن هذا الخبيث لا دين له يعتمد عليه فتراه واضحاً جلياً لا تشك فيه ولا ترتاب فنسأل الله تعالى العافية مما

---

(١) هى عقبة بالقاف لا بالتاء ا هـ مصححه

(٢) الذى بالإفراد ا هـ مصححه

يرتكبه هذا الزائغ الفاجر الكذاب . وأن يذيقه أشد العذاب . على ما أفسد فى هذه الأمة وسيلقى أشد الحساب . وقوله (١) إنما نكروه من الأحاديث فى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فكلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بل هى موضوعة ولم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئاً منها) أعوذ بالله من مكر الله عز وجل . أنظر أدام الله لك الهداية وحماك من الغواية إلى فجور هذا الخبيث كيف جعل الأحاديث المروية فى زيارة قبر خير البرية كلها ضعيفة ثم أردف ذلك بقوله باتفاق أهل العلم بالحديث ولم يجعل الأئمة الذين أنكرهم من أهل الحديث والعجب أنه روى عنهم فى مواضع عديدة من كتبه وهذا من جهله وبلادة ذهنه وعماوة قلبه من أنه لا يعلم تناقض كلامه ونقضه بذلك ثم أنه لم تخمد نار خبثه بما ذكره من الفجور حتى أردف ذلك بأن الأحاديث المروية فى زيارة القبر المكرم موضوعة يعنى أنها كذب وهذا شئ لم ير أحد من علماء المسلمين ولا من عوامهم فاه به ولا رمز إليه لا من فى عصره ولا من قبله قاتله الله تعالى ولقد أسفرت هذه القضية عن زندقته بتجرئه على الإفك على العلماء وعلى أنه لا يعتقد حرمة الكذب والفجور ولا يبالى بما يقول . وإن كان فيه عظائم الأمور . وإذا عرفت هذا فينبغى أيها المؤمن الخالى من البدعة والهوى أن لا تقلده فيما ينقله ولا فيما يقوله بل تفحص عن ذلك وتسأل غير أتباعه ممن له رتبة فى العلوم وإلا هلكت كما هلك هو

---

(١) وصوابه إن ما ا هـ مصححه

وأتباعه[١] ولنذكر بض الأحاديث الواردة في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام وأذكر من رواها ولحذف الأسانيد لأنها لا تليق بهذه الأوراق وقد رويت من طرق بلغت بها منزلة الصحيح أو قاربت أو منزلة الحسن . وأذكر من صحح بعضها وأبين أنه من الأئمة الأعلام بالحديث وأنه يعتمد تصحيحه وبالله التوفيق . فمن الأحاديث في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام قوله صلى الله عليه وسلم (من زار قبرى وجبت له شفاعتى) رواه غير واحد من أئمة الحديث منهم الدارقطني والبيهقي وغيرهما والحديث مروى بهذا اللفظ فى عدة نسخ معتمدة وهو من حديث ابن عمر رضى الله عنهما وخرجه أبو اليمن فى كتابه **ايجاف[٢] الزائر وإطراف المغنم للسائر** فى زيارة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجه الحافظ بن عساكر فى تاريخه فى زيارة قبره عليه الصلاة والسلام بعد وفاته كان كمن زاره فى حياته وخرجه العقيلى وغيره فلا نطول بذكر من رواه من أئمة الحديث المعتبرين وهو مروى من طرق تبلغ الحسن قال أئمة الحديث . والحديث أو الأحاديث وإن لانت أسانيد مفرداتها فمجموعها يقوى بعضها بعضاً ويعتبر الحديث حديثاً حسناً ويحتج به وممن ذكر ذلك أبو زكريا النووى ذكره فى **شرح المهذب** فى كتاب الحج وهى فائدة جليلة ينبغى معرفتها ليعلم بها جهل هذا الفاجر المبالغ فى فجوره وقوله عليه الصلاة والسلام وجبت له شفاعتى معناه حقت ولابد منها

---

(١) لعلك فى دهشة مما مر مفصلاً من تعمد كذب هذا الرجل فى نقوله وأحكامه حتى تعدى كذبه الخلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ا هـ مصححه

(٢) لا أدرى أهو ايجاف كما ذكره أم إتحاف ا هـ مصححه

بوعده الصادق وفي ذلك بشارة عظيمة لزوار قبره الشريف وهي أن من زاره محتسباً مات على التوحيد وهذه البشارة العظيمة من ثمرة زيارة قبره المكرم وفي قوله عليه الصلاة والسلام وجبت له شفاعتي تحقيق لما قلته لأجل إضافة الشفاعة إليه ولأنه عليه الصلاة والسلام مشفع لا ترد شفاعته لا في حياته ولا بعد وفاته ولا في عرصات القيامة وقال عليه الصلاة والسلام (من زار قبري حلت له شفاعتي) رواه الحافظ البزار في مسنده وهو بهذا اللفظ في نسخة معتمدة وسمعها الحافظ أبو الحسين الصدفي على الإمام أبي عبد الله مورتش[1] سنة ثمانين وأربعمائة ومعنى حلت وجبت وقد عزى عبد الحق هذا الحديث إلى البزار والدارقطني وقال عليه الصلاة والسلام (من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي) رواه الدارقطني في سننه وغيرها وفي رواية ومن مات بأحد الحرمين بعث في الآمنين يوم القيامة ورواه غير واحد وهو من حديث ابن عمر رضي الله عنهما . وروى من طرق ورواه الحافظ بن عدي في كتابه **الكامل** بزيادة قال عليه الصلاة والسلام : (من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي وصحبني) وذكر البيهقي في سننه أنه ذكره ابن عدي وخرجه هو بدون هذه الزيادة وخرجه الحافظ بن عساكر من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال عليه الصلاة والسلام : (من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي) زاد السهمي وصحبني ورواه الحافظ بن الجوزي بهذه الزيادة . وقال عليه الصلاة والسلام : (من حج البيت ولم يزورني فقد جفاني)

---

(١) هو فرتش كما في الأصل ا هـ مصححه

رواه ابن عدى فى كتابه **الكامل** وغيره وهو من حديث ابن عمر رضى الله عنهما وخرجه الدارقطنى فى أحاديث مالك التى ليست فى **الموطأ** وهو كتاب ضخم وقال ابن الجوزى إن هذا الحديث موضوع وقد نسب ابن الجوزى فى ذلك إلى السرف فاعرف ذلك وقال عليه الصلاة والسلام : (من زار قبرى أو زارنى كنت له شفيعاً أو شهيداً) رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده وهو من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ورواه إمام الأئمة ابن خزيمة ورواه البيهقى وابن عساكر من جهة الطيالسى وروى بزيادة قال أبو داود الطيالسى حدثنا سوار ابن ميمون أبو الفرج العبدى قال حدثنى رجل من آل عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من زار قبرى) أو قال (من زارنى كنت له شفيعاً أو شهيداً ومن مات فى أحد الحرمين بعثه الله فى الآمنين يوم القيامة) وقال عليه الصلاة والسلام (من زارنى متعمداً كان فى جوارى يوم القيامة) رواه أبو جعفر العقيلى وغيره ومنهم الحافظ ابن عساكر وفى رواية الساحى[1] . قال حدثنا هرون ابن قزعة عن رجل من آل الخطاب عن النبى ﷺ قال : (من زارنى متعمداً كان فى جوارى يوم القيامة ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة ومن مات فى أحد الحرمين بعث فى الآمنين يوم القيامة) ومن هو فى جواره فهو فى الآمنين لا محالة ﷺ وقال عليه الصلاة والسلام : (من حج حجة الإسلام وزار قبرى وغزا غزوة وصلى فى بيت المقدس لم يسأله الله فيما افترض عليه ورواه الحافظ أبو الفتح الأزدى فى فوائده وهذا

---

(١) فى الأصل السحامى ا هـ مصححه .

أبو الفتح اسمه محمد بن الحسن وكان حافظاً من أهل العلم والفضل وصنف كتاباً في علوم الحديث ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه وابن السمعاني في الأنساب وأثنى عليه محمد بن جعفر بن غيلان وذكره بالحفظ وحسن المعرفة بالحديث وقال عليه الصلاة والسلام من (زارني محتسباً كنت له شفيعاً أو شهيداً) وفي رواية من زارني محتسباً إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة وهو من رواية أنس رضي الله عنه ورواه غير واحد وممن ذكره ابن الجوزي في كتابه مثير الغرام الساكن وهو من طريق ابن أبي الدنيا وروى من طرق وقال عليه الصلاة والسلام : (من زارني ميتاً فكأنما زارني حياً ومن زارني وجبت له شفاعتي يوم القيامة وما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزورني فليس له عذر) رواه الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود النجار في كتابه (الدرة اليتيمة في فضائل المدينة) وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال : (من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي ومن زار قبري حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً) خرجه العقيلي ورواه ابن عساكر من جهته إلا أنه قال : (من زارني في المنام كان كمن زارني في حياتي وهي فائدة جليلة وعن علي كرم الله وجهه أنه عليه الصلاة والسلام قال من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزرني فقد جفاني رواه الحسين بن يحيى بن جعفر في كتاب أخبار المدينة ورواه الحافظ أبو عبد الله بن النجار في كتابه الدرة اليتيمة من لم يزرني فقد جفاني ورواه الحافظ أبو سعيد عبد الملك بن محمد النيسابوري في كتابه شرف المصطفى ﷺ وهذا الكتاب في ثمان

مجلدات . وأبو سعيد هذا لـــه مصنفات في علوم الشـــريعة تـــوفى سنة ست وأربعمائة بنيسابور وقبره بها مشهور ويتبرك به وكـــان ينتفع بكلامه وبوعظه وتتجلى بكلامه القلوب قدس الله روحه ونور ضريحه . وقال عليه الصلاة والسلام من جاءنى زائـــراً لا تعملـــه حاجة إلا زيارتى كان حقاً على أن أكون لـــه شفيعاً يـــوم القيامـــة وفى رواية من جاءنى زائراً لم تنزعه حاجة إلا زيارتى رواه غير واحد من الأئمة الحفاظ المشهورين من حديث ابن عمر رضـــى الله عنهما ومنهم الطبرانى فى معجمه الكبير ومـــنهم الـــدارقطنى فـــى أماليه ومنهم أبو بكر ابن المقرى فى معجمه ومنهم العلامة الحافظ أبو على سعيد بن عثمان بن السكن ذكـــره فـــى كتابـــه المســـمى **بالصحاح المؤثرة** عن رســـول الله ﷺ . يا هذا انتبه لما أذكره قال فى خطبة كتابه هذا . أما بعد فانـــك سألتنى أن أجمع لك ما صـــح عندى من السنن المأثورة التى نقلها الأئمة من أهـــل البلدان الـــذين لا يطعن فيهم طاعن مما نقلوه فتدبرت ما ســـألتنى عنـــه فوجـــدت جماعة من الأئمة قـــد تكلفوا ما سألتنى من ذلك وقد وعيت جميـــع ما ذكروه وحفظت عنهم أكثر ما نقلوه واقتـــديت بهم وأجبتك إلـــى ما سألتنى من ذلك وجعلته أبواباً فى جميع ما يحتاج إليه فى أحكام المسلمين فأول من نصب نفسه لطلب الصـــحيح البخـــارى وتابعـــه مسلم أبو داود والنسائى وقد تصفحت ما ذكروه وتدبرت ما نقلـــوه فوجدتهم مجتهدين فيما طلبته . فما ذكرته فى كتابى هذا مجملاً فهو مما أجمعوا على صحته وما ذكرته بعد ذلك مما أختاره أحد الأئمة الذين سميتهم فقد ثبتت حجته فى قبول مـــا ذكـــره ونســـبته إلـــى اختيـــاره دون غيره ، وما ذكرته فيما ينفرد به أحـــد أهـــل النقـــل

للحديث فقد بينت علته ودللت على إنفراده دون غيره وبالله التوفيق ا هـ . فانظر أرشدك الله تعالى هذا الاتفاق من هذا الإمام والحرص على تحقيق ما وضعه فى كتابه لم يقنع بوضع البخارى ومسلم وغيرهما مع جلالتهم بل تتبع ما وضعوه حتى وضع فى كتابه وهذا شأن الأئمة الخائفين من الله ﷻ من أن يقع منهم زلل فى الاخبار عن رسول الله ﷺ ثم أنه رضى الله تعالى عنه ذكر فى هذا الكتاب فى كتاب الحج فى باب ثواب من زار قبر النبى ﷺ عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (من جاءني زائراً لم ينزعه إلا زيارتى كان حقاً على الله أن أكون له شفيعاً يوم القيامة) ولم يذكر فى هذا الباب غير هذا الحديث وهذا حكم منه بأن هذا الحديث مجمع على صحته بمقتضى الشرط الذى شرطه فى الخطبة وهو ؓ إمام جليل حافظ متقن كثير الحديث واسع الرحلة سمع بالعراق وخراسان وما وراء النهر وسمع بالشام ومصر وسمع من خلائق من أئمة الحديث والأجلاء أهل الدين وهو من القدماء أصله بغدادى وسكن مصر ومات بها فى نصف المحرم سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة رحمة الله تعالى عليه وعلى أمثاله وإذا كان هذا حديث صحيح[1] فكيف يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يجعله ضعيفاً فضلاً عن أن يجعله كذباً وأقل درجات الثقة الخائف أن يقول صححه فلان وأما القول بوضعه وبتكذيب هذا الإمام وأمثاله فلا يصدر إلا من زنديق محقق الزندقة بهذه القرينة وغيرها عائذاً بالله ﷻ من ذلك . وإذا تقرر لك ذلك فانظر أرشدك الله تعالى وعافاك هذا الخبيث الطوية كيف طعن فى هذه الأئمة

(١) يكتب حديثاً صحيحاً لأنه خبر كان ا هـ مصححه

الأعلام فى علوم الحديث الذين بهم يقتدى وعليهم يعول وعند ذكرهم تتنزل الرحمة ورماهم بالوضع على رسول الله ﷺ وطعن فى هذه الأخبار المروية عن هذه الأئمة . وهذا شأنه قاتله الله تعالى كلما جاء إلى شئ لا غرض له فيه طعن فيه وإن كان مشهوراً ومعمولاً به بين الأئمة ولا عليه لا من الله ﷻ ولا من رسوله ﷺ ولا من الناس وتنبه لشئ عظيم رمى به هذه الأئمة وهو أن من قاعدته أن من كذب على النبى ﷺ متعمداً كفر فعليه من الله ﷻ ما يستحقه وهذا وغيره يدل على أن عنده ضغينة للنبى ﷺ ولصاحبيه وكذا لأمته ليفوت عليهم هذا الخير الذى رتبه على زيارة قبره عليه أفضل الصلاة والسلام فاحذروه واحذروا تزويق مقالته المطوى تحتها أخبث الخبائث فإنها لا تجوز إلا على عامى أو بليد الذهن كالحمار يحمل أسفاراً أو خال من العلوم وأخبار الناس وبالله تعالى التوفيق والله اعلم . قال عليه الصلاة والسلام أن بين يدى الساعة دجاجلة(١) فاحذروهم رواه مسلم فى صحيحه من حديث جابر ابن سمرة ﷺ وقوله وفى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال فى مرض موته : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذر ما فعلوه قالت عائشة ولولا ذلك لابرزوا قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً فهم دفنوه فى حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن فى الصحارى لئلا يصلى أحد عند قبره ويتخذ مسجداً ويتخذ قبره وثناً الخ ... تأمل بصرك الله تعالى وفهمك كيف بعد تضليل هذه الأئمة وفجوره بادعاء أن هذه الأحاديث المتعلقة

(١) هذا أخبار من المصنف إلى أن هذا الرجل دجال وهو يؤيد ما سبق لنا من أن أفعاله أفعال دجاجلة ا هـ مصححه

بالزيارة كذب كيف أردف ذلك بهذا الحديث محتجاً به على منع زيارة القبر الشريف وفيه من أقوى الأدلة على تدليسه وسوء فهمه إذ الحديث ليس فيه تعرض للزيارة البتة وإنما فيه منع اتخاذ القبور مساجد ونحن لم نتخذ قبره المكرم المعظم مسجداً ولا نصلى فيه ولا إليه بل نزوره وندعوا مع الأدب والخشوع والسكينة ورؤية العظمة لعلمنا بأنه يسمعنا ويجيبنا وعلى ذلك جرت عادة المؤمنين قال بعضهم رأيت أنس بن مالك ﷺ خادم رسول الله ﷺ أتى قبر النبى ﷺ فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه قد افتتح الصلاة فسلم على النبى ﷺ ثم انصرف وقوله فهم دفنوه فى حجرة عائشة رضى الله عنها خلاف ما اعتادوه من الدفن فى الصحارى لئلا يصلى أحد عند قبره ويتخذ مسجداً فيتخذ قبره وثناً هذا أيضاً من التدليس منه وسوء الفهم على عادته وما قاله باطل يموه به على الضعفاء من الطلبة وغوغاء الناس وإنما دفنوه فى حجرة عائشة رضى الله عنها لما روى لهم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يدفنون حيث يقبضون وكان ذلك بعد اختلافهم أين يدفن فقال بعضهم يدفن فى مسجده وقال بعضهم مع إخوانه فقال أبو بكر ﷺ عندى من ذلك علم فذكر لهم أن النبى يدفن موضع يقبض فلما روى لهم الحديث دفنوه موضع قبضه وهذا من القضايا المشهورة فى غاية الشهرة ولا نعلم أن أحداً قال أنهم دفنوه موضع قبضه للمعنى الذى ذكره وهذا شأنه إن وجد شيئاً يوافق هواه وخبث طويته ذكره ووسع الكلام فيه وزخرفه وإن وجد شيئاً عليه أهمله أو حمله على محمل يعرف به أهل النقل جهله وتدليسه عند تأمله فى بعض المواضع يعرف من غير تأمل وقوله وكانت الصحابة

والتابعون لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد لا يـــدخل للصلاة هنـــاك ولا يتمتع بالقبر ولا دعاء هناك هـــذا أيضـــاً مـــن الجسارة التي يزخرف بها على العوام وأشباههم من سيئ الأفهـــام من الطلبة فـــإن هـــذا لا يدل على مراده من منع الزيارة بل كلامه يدل على الزيارة بلا هذه الأفعال إلا الدعاء فليس كما قال وســـيأتي إن شاء الله تعالى ومع ذلك ليس مجمعاً عليه كما زعمه وأوهمـــــه كلامه فإن أبا أيـــوب الأنصاري ﷺ زار والتـــزم القبـــر فـــأنكر عليـــه مروان ابن الحكم فوبخه أبو أيوب وقال في كلامه ما معناه ابكوا على هذا الأمر إذا وليه غير أهله[١] . ذكر ذلك أبو الحســـين في كتابه أخبار المدينة . وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه وضع يده على موضع مقعد النبي ﷺ من المنبر ثم وضعها علـــى وجهه[٢] وكان ﷺ يتردد إلى الأماكن التي كان يتردد إليها رسول الله ﷺ وبراحلته لأجل التبرك وقد تقدمت قصة بلال رضي الله عنه لما شد رحله لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام فلما وصل الضريح المكرم جعل يمرغ وجهه عليه ويبكي[٣] وقولـــه ولادعـــاء هنـــاك

---

(١) في ذلك جواز ضم قبور الصالحين وأبو أيوب الأنصاري الذي ضـــم ضـــريح ســـيد الوجود صلى الله عليه وسلم هو وأبو أيوب وكفى ا هـــ مصححه

(٢) في ذلك جواز التبرك بآثار الصالحين أيا كانت حتى الخشب الذي كانوا يجلسون عليه وابن عمر هو ابن عمر ا هـــ مصححه

(٣) انظر تمريغ سيدنا بلال وجهه على ضريح خير الخلق وبلال هو بلال تجده صـــورة طبق الأصل لما يحصل من كثير من الزائرين اليوم والزائرات للصالحين من أهل البيت وغيرهم ويقوم ويقعد كثير من المتنطعين لذلك ولا يرضون لفاعله غير الشرك بالله ليحكموا بـــذلك علـــى بلال الذي يعد من أجلاء الصحابة وهو مؤذن رسول الله ﷺ ليعلم أولئك المتنطعون أن ذلك أثـــر وجد في النفوس لا يشعرون هم به يحمل أهله على التبرك بما يجاور حبيب ربهم وهو من بـــاب قول القائل :

أمر على الديار ديار ليلى   أقبل ذا الجدار وذا الجدار
وما حب الديار شغفن قلبي   ولكن حب من سكـــن الديار

هذا قصد أولئك المؤمنين في لمسهم ضريح الصالح من العباد لا العبادة كما يتوهم مظلموا القلوب مسيئو الظن بالمؤمنين فليعلم ا هـــ مصححه

قضية سياقه أن الإجماع على أنه لا يدعو عند القبر وهى دعوى عريضة ثم أكد ذلك بقوله إنما يفعلونه فى المسجد ثم أردف ذلك بقوله وكان السلف من الصحابة والتابعين إذا سلموا عليه وأرادوا الدعاء دعوا مستقبلى القبلة ولم يستقبلوا القبر ثم قال وأما وقت السلام فقال أبو حنيفة يستقبل القبلة ولا يستقبل القبر وقال أكثر الأئمة يستقبل القبر عند السلام خاصة ولم يقل أحد من الأئمة أنه لا يستقبل القبلة عند الدعاء إلا فى حكاية مكذوبة عن مالك ومذهبه بخلافها ثم أردف هذا بأمور يجسر بها على الإغمار يتخيل الواقف عليها من العوام حسم باب الزيارة لقبره عليه الصلاة والسلام والحاصل من كلامه أنه لا يدعى عند القبر بالاتفاق ولا يستقبل القبر عند الدعاء بالإجماع وأن الحكاية التى وقعت بين مالك وأبى جعفر المنصور كذب سبحانك هذا بهتان عظيم وهذا من الفجور الذى لا أعلم أحداً فاه به ولا رمز إليه لا من العلماء ولا من غيرهم . أما قضية مالك مع المنصور فقد ذكرتها فى الكلام على التوسل فإنها صحيحة بلا نزاع ، وأما الدعاء عند القبر فقد ذكره خلق ومنهم الإمام مالك وقد نص على أنه يقف عند القبر ويقف كما يقف الحاج عند البيت للوداع ويدعو وفيه المبالغة فى طول الوقوف والدعاء وقد ذكره ابن المواز فى الموازية فأفاد ذلك أن إتيان قبر النبى صلى الله عليه وسلم والوقوف عنده والدعاء عنده من الأمور المعلومة عند مالك وأن عمل الناس على ذلك قبله وفى زمنه ولو كان الأمر على خلاف ذلك لأنكره فضلاً عن أن يفتى به أو يقره عليه . وقال مالك فى رواية ابن وهب إذا سلم على النبى ﷺ ودعا ، يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدعو ويسلم

ولا يمس القبر بيده نعم فى المبسوطة لا أرى أنه يقف عنده ويدعو ولكن يسلم ويمضى . وإنما ذكرت كلام المبسوطة لأن من حق العالم الذى يؤخذ بكلامه أن يذكر ماله وما عليه لأن ذلك من الدين وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله السامرى فى كتاب المستوعب فى باب قبر النبى صلى الله عليه وسلم . وإذا قدم مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم استحب له أن يغتسل لدخوله ثم يأتى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقدم رجله اليمنى فى الدخول ثم يأتى حائط القبر فيقف ناحيته ويجعل القبر تلقاء وجهه والقبلة خلف ظهره والمنبر عن يساره ثم ذكر كيفية السلام والدعاء وأطال ومنه اللهم أنك قلت فى كتابك لنبيك عليه الصلاة والسلام ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم جاءوك الآية . وأنى قد أتيتك مستغفراً فأسألك أن توجب لى المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه فى حال حياته اللهم أنى أتوجه إليك بنبيك وذكر دعاء طويلا ثم قال وإذا أراد الخروج عاد إلى القبر فودع وهذا أبو عبد الله من أئمة الحنابلة وساق هذا الكلام سياق المتفق عليه ومن جملة ما أفاد أنه يتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم ويتوجه به بعد وفاته كما فى حياته وأن الآية عامة وشاملة للحياة وبعد الوفاة فتنبه لذلك وكذلك ذكره أبو منصور الكرمانى من الحنفية أنه يدعو ويطيل الدعاء عند القبر المكرم وقال الإمام أبو زكريا النووى فى مناسكه وغيره فصل فى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وذكر كلاماً مطولاً ثم قال فإذا صلى تحية المسجد أتى القبر فاستقبله واستدبر القبلة على نحو أربعة أذرع من جدار القبر وسلم مقتصداً لا يرفع صوته وذكر كيفية السلام ثم قال ويجتهد فى إكثار الدعاء ويغتنم هذا الموقف الشريف

الخ ... فهذه نقول الأئمة بتطويل الدعاء عند القبر المكرم وقد خاب من افترى وكل أحد تلحقه الخيبة على قدره . وقوله : وهذا كله محافظة على التوحيد فإن من أصول الشرك بالله اتخاذ القبور مساجد كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى : ﴿ **لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً قالوا كان هؤلاء قوماً صالحين** ﴾ في قوم نوح فلما ماتوا اعتكفوا على قبورهم ثم صوروا على صورهم تماثيل ثم طال عليهم الأمد فعبدوها وقد ذكر ذلك المعنى البخارى فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما وذكره ابن جرير الطبرى فى تفسيره وغيره من غير واحد من السلف الخ . وأنت أيها اللبيب أرشدك الله عز وجل وزادك بصيرة وفهماً إذا تأملت هذا الاستدلال منه قطعت بجهله وبخلطه في خبطه وعلمت بذلك سوء فهمه وخيالاته الفاسدة ومن نفس الدليل تعلم ذلك فإنه تخيل بذهنه الجامد وخياله الفاسد أن منع الزيارة والسفر إليها من المحافظة على التوحيد وأن الزيارة تؤدى إلى الشرك وعبادة الأوثان وهذا خيال فاسد لأن اتخاذ الصور مساجد وعيداً والعكوف وتصوير الموتى فيها هو المحذور والمؤدى إلى الشرك عند تطاول الزمان ، وهذا هو الممنوع منه كما هو مصرح به فى الأحاديث الصحيحة فى قوله عليه الصلاة والسلام لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا . وفي قوله عليه الصلاة والسلام لما أخبر بكنيسة بأرض الحبشة قال أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عن الله ﷻ فهذا هو الذى حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما

الزيارة والسلام على الميت والدعاء لـــه وعنده فلم يؤد إلى ذلـــك ولا لـــه تعلق بتلك الأمور . ومن تخيل ذلك فهو من سوء فهمه فى هذا الأمر الواضح ولو كان يؤدى إلى ذلك لما شرعه رســـول الله صلى الله عليه وسلم وأبلغ من ذلك لما أمره الله عز وجل بالخروج إلى قبور الشهداء الذين أكرمهم بالشهادة حين نزل عليـــه جبريـــل عليه السلام وأمره بأمر الله تعالى بالخروج إلى بقيع الغر قـــد بـــل كان نهاه أن لو أراد الخروج ، وأيضاً فإنه عليه الصلاة والســـلام قال زوروا القبور كما رواه مسلم وغيره بزيادة إلى غير ذلك ممـــا علمهم عليه الصلاة والسلام كيفية الزيارة كما جاء فى الأحاديث فى زيارتها قولاً وفعلاً . وتواتر ذلك وأجمع عليه المسلمون حتـــى أن منهم من أوجب زيارتها لظاهر قولـــه عليه الصلاة والسلام زوروا القبور فلو كانت الزيارة من الأمور التى تؤدى إلى الشرك كاتخاذها مساجد وعيداً والتصوير ونحو ذلك لم يشرعه الله عز وجل لنبيـــه صلى الله عليه وسلم ولا شرعها رسول الله صلى الله عليه وســـلم بقوله وبفعله وقد أطلعه الله عز وجل على ما أراد من غيبه وبعثـــه بدينه القويم وهو الصراط المستقيم ولا فعلها الصحابة رضـــى الله عنهم الذين هم من أصفياء الله تعالى بل كانوا أحرص الناس علـــى ذلك خوفاً من إعادة ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بإماتته ودفنه وإندراس أثره والله أعلم .

وأنت أيها العاقل الفطن إذا تصورت ما نقلته لك وتعقلته بـــذهنك الصحيح علمت وتحققت أنه ليس لأحد أن يحرم إلا مـــا حـــرم الله تعالى ورسوله وأنه لا يحل لـــه الـــتهجم علـــى مـــوارد الشـــرع ومصادره بخيالاته الفاسدة وأنه بذهنه الجامد أدرك ما لـــم يدركـــه

الصحابة رضى الله عنهم ولو فتحنا هذا الباب وتتبعنا هذه الخيالات الفاسدة لهدمنا أموراً كثيرة من الدين ولا انحلت عراه عروة عروة وتبدلت بعد الجهالة ولمات الدين وذلك من الخسران المبين شعر :

فالقول ما قال النبى وصحبه   فإذا اقتديت بهم فنعم المقتدى

واعلم أن من جملة ما احتج به على منع زيارة قبره عليه الصلاة والسلام حديث اللهم لا تجعل قبرى وثنا وعيداً . اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وهذا من أظهر الأمور على عمى قلبه وطمس بصيرته كيف يتخيل متخيل فضلاً عن أن يعتقد معتقد أن قبره المكرم المعظم يصير وثناً كلا والذى رفع ذكره وأعلى قدره وعظمه وملأ كتابه بذلك لا يمكن تصور ذلك وكيف يتصور وهو لا ترد لـه دعوة ولو فى حق غيره فكيف بما هو فى حقه . وهذا من المعلوم الشائع الذائع عند المتسع الباع ولو عددت لك نقطة من ذلك . مع الاقتصاد لضاقت القراطيس والألواح . ولما أدرك غبار مباديه ولما لاح . دعا عليه الصلاة والسلام لسعد ابن أبى وقاص أن يجيب الله دعوته فما دعا على أحد إلا استجيب له . وإذا كان هذا قد ناله ببركة دعوته فكيف بدعائه لنفسه لاسيما فى هذا الأمر الفظيع . ومرض أبو طالب فعاده عليه الصلاة والسلام فقال أدع ربك أن يعافينى فقال اللهم اشف عمى فقام فى الحال كأنما نشط من عقال فقال لـه يا ابن أخى أيطيعك ربك فقال يا عماه لئن أطعت الله عز وجل ليطعنك . ودعا عليه الصلاة والسلام لابنته فاطمة رضى الله عنها أن الله لا يجيعها قالت رضى الله عنها فما جعت بعد . ودعا عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه أن يكفيه الحر والبرد فكان يلبس فى الشتاء ثياب الصيف وفى الصيف

ثياب الشتاء ولا يصيبيه حر ولا برد . ودعا عليه الصلاة والسلام لابن عباس فقال اللهم فقهه فى الدين وعلم التأويل فكان كذلك وكان بعد ذلك يسمى الحبر وترجمان القرآن . ودعا لعبد الرحمن ابن جعفر بالبركة فى صفقة يمينه فما اشترى شيئاً إلا ربح فيه . ودعا عليه الصلاة والسلام لعروة بن أبى الجعد فكان لو اشترى التراب لربح فيه . ودعا عليه الصلاة والسلام لعبد الرحمن ابن عوف ﷺ بالبركة ، قال عبد الرحمن فلو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب تحته ذهباً . وندت له عليه الصلاة والسلام ناقة فدعا بردها فجاءها إعصار ريح حتى ردها عليه فانظر كيف من كساه خلع القرب والمنزلة عنده أن جعلها سائسة بعيره . والإعصار أحد الأعاصير وهو الريح العاصف التى ترتفع إلى السماء كأنها عمود . وفى حديث أسماء بنت عميس رضى الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام كان يوحى إليه ورأسه فى حجر على رضى الله عنه فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال عليه الصلاة والسلام اللهم أنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء رضى الله عنها فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبال وذلك بالصبهاء بخيبر . وقيل رجعت حتى بلغت نصف المسجد ومثل هذا كثير جداً وقد ذكرت جملة من ذلك فى فصل الحج فى كتاب (تنبيه السالك على مظان المهالك) :

يا من أمد أبا هر بمزودة فأوقرت منه للغادين أحمال
جئناك نطوى الفجاج المقفرات على عيس لها فى السرى وجد وإرقال

قال أبو هريرة رضى الله عنه أصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شئ فقلت نعم شئ من التمر فى المزود قال فأتنى به فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فأكلوها حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا ثم قال خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض منه ولا تكفئه فقبضت على أكثر ما جئت به فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما إلى أن قتل عثمان رضى الله عنه فانتهب منى فذهب . وفى رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا أوسقاً في سبيل الله تعالى فقد تحققت بهذا فضلاً عن غيره وهو مثل الرمال كثرة يا صحيح الذهن وقوى الإيمان به أنه لا يكون قبره وثناً ألبتة بل فى الحديث الصحيح قد أيس الشيطان أن يعبد فى جزيرة العرب أو مثل هذا السيد المعظم المكرم لا يتوسل به ولا تشد الرحال إليه قاتل الله العزيز من قاله وضاعف العذاب عليه :

جدير بنا نسعى إليه وندلج فذاك الذى يسعى إليه ويدلج
جعلنا إليه فى الحياة احتياجنا ونحن إليه فى القيامة أحوج
جميع الورى والرسل تحت لوائه ومن ذاله عن جاه أحمد مخرج

أو لهذا السيد الجليل المبجل لا يشد إليه رحل ولا يتوسل به قاتل الله قائله وجعله على رضف جهنم يتمايل :

زكا قدره من ذا يجاريه فى العلا وأعلامه فى ذروة العز تركز
زحاماً ترى للرسل تحت لوائه وكل نبى باللوا يتعزز
زعيم بتعجيل الشفاعة عندما أولو العزم عنها فى القيامة تعجز
زفير لظى عنا يرد بجاهه إذا هى من غيظ علينا تميز

زكاة على الأبدان تسعى لقبره فسيروا وزوروا فالغنائم تحرز
فمن زاره نال السعادة كلها ومن مات عجزاً ذاك والله أميز

فمن توسل به عليه الصلاة والسلام إنما توسل به لعلو قدره ورتبته . وارتفاع منزلته وكمالها عند ربه وعظيم إجلاله وفضله على جميع خلقه كما أخبر هو عن نفسه فإنه سيد الأولين والآخرين وحبيب رب العالمين وأحب الخلق إليه أجمعين ذلك شائع وذائع فى الأقدمين والآخرين حتى فى أعدائه المبطلين :

قديماً بدا قبل النبيين فضله وإن قدموا بعثاً ففى الفضل أسبق
قضى الله أن لا يلحق الرسل لاحق ولا أحد منهم بأحمد يلحق
قطعنا بأن لا يخلق الله شبهه قديماً ولا فى آخر الخلق يخلق
قل الحق هل تدرى لأحمد مشبهاً فبادر وقل لا لا فإنك تصدق
قرأنا أحاديثاً صحاحاً بأنه عليه لواء الحمد فى الحشر يخفق
قياماً له الأملاك والرسل تحته ومن حوله صفوا وحفوا وأحدقوا
قوى ولكن لين فى أناسه رفيق ولكن بالمساكين أرفق
قريب لأرباب الحوائج ما ترى لأحمد حجاباً ولا الباب يغلق

وكيف لا يكون كذلك وهو كما قيل فيه :

أكرم العالمين أصلا وفصلا وجلالا وسيد البطحاء
خص بالحوض والشفاعة فى الحشر لكل الورى ورفع اللواء
والمقام المحمود والسبق للنا س دخولا فى الجنة الفيحاء
ثم يعطى وسيلة هى أعلى درجات الجنان ذات البقاء
هو جارى وعدتى ونصيرى وعمادى فى شدتى ورخائى

وليس هذا خاصاً بي وبفقري بل هو كما قيل فيه :

له المقام الذى ما ناله أحد ... والفخر والمجد والإحسان والحسب
وهو الشفيع الذى تنجي شفاعته ... كل الأنام إذا ما مسها العطب
محمد خير خلق الله قاطبة ... وهو الذى لفخار المجد يكتسب
نوه به يا منادى الحى إن به ... تزول عن قلبى الآلام والكرب
عان له مقلة تشتاق تنظره ... ومهجة بلهيب الشوق تلتهب

وكيف لا تلتهب وقد شاهدت ما شاهدت مما لا يمكن النطق بـه ولا أفوه . وكيف كيف أسلوه :

رعى الله بالبطحاء أيامنا التى ... مضت كوميض البرق ثم تولت
وحيا قباباً بين سلع إلى قبا ... لعزتها يحلو خضوعى وذلتى
نعمت بها لكن كأحلام نائم ... كأن لم تزرها العيس حتى تولت
فهل لى إلى تلك العوالم عودة ... ولو دونها بيض الصوارم سلت
وألثم إجلالاً ثراها وأجتلى ... شموسى فى أرجائها وأهلتى
سقى الله ذات الظل من دارة الحمى ... حىً نهلت منه رباها وعلت
وسحت على أعلام سلع مديمة ... غـمائم بالنوء الروى استهلت
فتلك لعمر الله دار أحبتى ... وسكانها كل المراد وبغيتى
ألا ليت شعرى هل أزور قبابها ... فتحمد فيها العيس شدى ورحلتى
وأنشد فى أكنافها مترنماً ... لمن نظم مدحى فيه بيت قصيدتى
ألا يا رسول الله أنت وسيلتى ... إلى الله إذ ضاقت بما رمت حيلتى
وإن شئـت قلــت ... إلى الله فى غفران ذنبى وزلتى

فالتوسل بــه عليه الصلاة والسلام لم يزل منذ آدم عليه السـلام لا يتوقف فيه أحد ولا يطعن إلى أن ظهر بعـض زنادقـة اليهـود وغلاتهم فى بغضه عليه الصلاة والسلام قال وإنه بموتـه بطلـت

حرمته وجاهه فلا يتوسل به ولا يقال يا جاه محمد وتم ذلك بتوارث سلالتهم معتقدين ذلك مصرين عليه ثم زاد هذا الخبيث أن التوسل به شرك وقرره بتقرير ألحقه بقوله ﴿ **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ وذلك يدل على أنه من أجهل الجهلة فإن التوسل به عليه الصلاة والسلام معناه أسأل الله ﷻ برسوله وأتشفع إليه به فهو سائل لله ﷻ لا لغيره ولا يلزم من التوسل به أو بشخص والتشفع إليه به أن لا يكون عبده ولا اتخذه إلهاً ورباً من دون الله ولا جعله شريكاً فى الألهية ومن جعل التوسل بشخص مثل هؤلاء[1] فهو من جهله وسوء فهمه وعدم تعقله ما يقول ومثل هذا لا يحل لأحد أن يقلده ولا ينظر فى كلامه إلا من له رتبة التمييز بين الحق والباطل وإلا هلك وهو لا يشعر . وقد قال عليه الصلاة والسلام : (حياتى خير لكم ومماتى خير لكم) قالوا يا رسول الله قد عرفنا أن حياتك خير لنا فكيف وفاتك خير لنا قال : (أما حياتى فإنكم كلما أحدثتم حدثاً أحدث الله لكم المخرج منه بى فإذا مت فلا أزال أنادى من قبرى ربى أمتى حتى ينفخ فى الصور ثم لا أزال أجاب أربعين سنة حتى ينفخ الأخرى وتعرض على أعمالكم فما كان من حسن شكرت الله عليه وما كان من سئ دعوت الله أن يغفره) رواه الإمام العلامة هبة الله فى كتابه توثيق عرى الإيمان ورواه غيره فهو عليه الصلاة والسلام رحمة لنا فى حياته وبعد وفاته فكيف لا يتوسل به إليه ولا نعمل البزل والقناعيس نحوه وإليه وذلك مما أجمع أهل التوحيد عليه وأجمعوا على تكفير من قال بخلاف ذلك صرح به أئمة الأمة وأولهم مالك وكان ابن تيمية

---

(١) هنا محذوف هو المفعول الثانى لجعل تقديره شركاً كالمستقيم الكلام ا هـ مصححه

ممن يعتقد ويفتي بأن شد الرحال إلى قبور الأنبياء حرام لا تقصر فيه الصلاة ويصرح بقبر الخليل وقبر النبي ﷺ وجاء بريدي من مصر باعتقاله على ذلك فاعتقل وكان على هذا الاعتقاد تلميذه ابن قيم الجوزية الزرعي وإسماعيل ابن كثير الشركويني فاتفق أن ابن القيم الجوزية سافر إلى القدس الشريف ورقى على منبر في الحرم ووعظ وقال في أثناء وعظه بعد أن ذكر المسألة وقال ها أنا راجع ولا أزور الخليل ثم جاء إلى نابلس وعمل له مجلس وعظ وذكر المسألة بعينها حتى قال فلا يزور قبر النبي ﷺ فقام إليه الناس وأرادوا قتله فحماه منهم وإلى نابلس وكتب أهل القدس وأهل نابلس إلى دمشق يعرفون صورة ما وقع منه فطلبه القاضي المالكي فتردد وصعد إلى الصالحية إلى القاضي شمس الدين بن مسلم الحنبلي وأسلم على يديه فقبل توبته وحكم بإسلامه وحقن دمه ولم يعزره لأجل ابن تيمية . ولما كان يوم الجمعة رابع شعبان جلس القاضي جلال الدين بعد العصر بالمدرسة العادلية واحضر جماعة من جماعة ابن تيمية كانوا معتقلين في سجن الشرع فادعى على إسماعيل بن كثير صاحب التاريخ أنه قال إن التوراة والإنجيل ما بدلا وإنهما بحالهما كما أنزلا وشهدوا عليه بذلك وثبت في وجهه فعزر في المجلس بالدرة وأخرج وطيف به ونودي عليه بما قاله ثم أحضر ابن قيم الجوزية وادعى عليه بما قاله فيالقدس الشريف وفي نابلس فأنكر فقامت عليه البينة بما قاله فأدب وحمل على جمل ثم أعيدوا في السجن ولما كان يوم الأربعاء أحضر ابن قيم الجوزية إلى مجلس شمس الدين المالكي وأرادوا ضرب عنقه[1] فما كان

---

(١) هذه قيمة ابن القيم يراها القارئ مجسمة أمامه في هذا السياق فليعرفها ولا يغتر ا هـ

جوابه إلا أن قال أن القاضى الحنبلى حكم بحقن دمى وبإسلامى وقبول توبتى فأعيد إلى الحبس إلى أن أحضر الحنبلى فأخبر بما قاله فأحضر وعذر وضرب بالدرة وأركب حماراً وطيف به فى البلد والصالحية وردوه إلى الحبس ولم يزل هذا فى أتباعه وحضر شخص إلى دمشق يقال له أحمد الظاهرى وكان قد حفظ آيات المتشابه وأحاديثه فكان يسردها على العوام وآحاد الناس من الفقهاء فعظمه أتباع ابن تيمية وأكرموه . ثم أنه توجه إلى القاهرة فشرع يسرد الآيات والأحاديث فعلم به الإمام العلامة الشيخ سراج الدين البلقينى فطلبه ، واعلم به برقوق فأخذوه وقيدوه وكانوا يضربونه بالسياط أول النهار ثم يستعملونه فى العمارة فإذا كان آخر النهار أعادوا عليه الضرب ثم بلغنى أن آخر الأمر أن ضربوا عنقه وكان الشيخ زين الدين بن رجب الحنبلى ممن يعتقد كفر ابن تيمية وله عليه الرد وكان يقول بأعلى صوته فى بعض المجالس معذور السبكى يعنى فى تكفيره والحاصل أنه وأتباعه من الغلاة فى التشبيه والتجسيم والازدراء بالنبى ﷺ وبغيض الشيخين وبإنكار الأبدال الذين هم خلفوا الأنبياء ولهم دواهى أخر لو نطقوا بها لأحرقهم الناس فى لحظة واحدة فنسأل الله تعالى العافية ودوامها إنه على ما يشاء قدير . وبالإجابة جدير : (وجرسوا) ابن القيم وابن كثير وطيف بهما فى البلد وعلى باب الجوزية لفتواهم فى مسألة الطلاق والله أعلم .

واعلم أنى اقتصرت على الكلام على هذه الفتوى لإشاعتها بين العوام وفيها التعريض لمنع الوسيلة ومنع شد الرحال إلى قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واستدلاله لما قاله بالتجسير

والتمويهات التي بينا بطلانها وفسادها وأن ذلك من أظهر الأمور على فجوره في النقل والإغراء وأن لا يحل أن يقلده ولا يأخذ عنه ولا ينظر في كلامه ولا يسمعه إلا من يكون له رتبة التمييز بين الحق والباطل وإلا هلك وهو لا يشعر(١) ثم من الأمور المهمة المقربة إلى الله ﷻ وإلى رسوله وإلى وزيريه رضي الله عنهما بسط الألسن والأيدي فيهم جرياً على ما درج عليه العلماء والسلاطين منذ أثار هذا الخبيث هذه الخبائث، وأن يعلن بالتوسل بسيد الأولين والآخرين وأن يعتني بإظهار شد الرحال وإعمال المطي والأقدام إلى خير خلقه وحبيب القلوب. ومن بذكره تتجلى الكروب. ويهتز الطروب. وبالصلاة والسلام عليه تذهب الذنوب. التي بسببها حصل الإبعاد عن المزار. وبعد الدار. روى زيد ابن أسلم أن عمر خرج ليلة يحرس فرأى مصباحاً في بيت وإذا عجوز تنفش صوفاً وتقول:

على محمد صلاة الأبرار صلى عليه الطيبون الأخيار
قد كنت قواماً بكاء في الأسحار ياليت شعري والمنايا أطوار
هل تجمعني وحبيب(٢) الدار

تعني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجلس عمر رضي الله عنه يبكي شوقاً إلى حبيبه رسول الله صلى الله عليه

---

(١) هذا حكم من هذا الإمام الكبير على كل من يتبع ابن تيمية بأنه هالك في دينه. وانظر معنى الهلاك في مثل هذا المقام ومن هنا نحن نرثي لإخواننا الموجودين والغابرين الذين اغتروا بهذا الرجل المسكين ووراءه ساروا وكان بودنا أن يرى إخواننا الموجودين هذا الكتاب ليعرفوا منه قيمة هذا الرجل ثم بعد ذلك ينظروا لأنفسهم والحمد لله الذي عافانا مما ابتلي به كثيراً من خلقه اهـ مصححه

(٢) وحبيبي اهـ مصححه

وسلم وتتصعد أنفاسه من نار الشوق لولا دموع المحبين تطفئ نار الشوق لاحترقت أكبادهم بأنفاسهم :

يا خليليَّ قد بلغت القصدا وعرفت الغرام هزلاً وجدا
خلياني من ذكر سلمي ونجد ودعاني من حب سلمي وسعدى
أنا لي في حشاشتي حب بدر أقسم الدهر أنه لا يبدى
نار وجدى بحبه في ازدياد وغرامي به تزايد جدا
كلما رمت أن نفسي عنه نتسلى أبت ولا تتهدى
وتراها إذا ترنم حاد بربإها تذوب شوقاً ووجدا
لا تلمها إذا بدت بحنين وأنين يقد ذا القلب قدا
فلها معهد وأنس قديم ليس يفنى وإن تطاول عهدا

كان الصديق رضى الله عنه من المشغوفين بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال سيف بن عمر وكان سبب موت الصديق رضى الله عنه وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كمدا عليه فمازال جسمه يتحرق حتى مات والكمد الحزن المكتوم :

(١) كنت السواد لناظرى وعليك كنت أحاذر
من شاء بعدك فليمت فعليك يبكى الناظر

---

(١) أحفظ هذين البيتين هكذا

كنت السواد لناظرى فعمى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد سيد العالمين وعلى آله خير أمة أخرجت للناس وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين انتهت هذه التعليقات في اليوم الثامن عشر من شهر رجب سنة ١٣٥٠هـ على يد كاتبها الذى يرجو قارئها دعوة صالحة أن رأى فيها خيراً ونحن جميعاً نبتهل إلى ربنا الغفور الرحيم الشكور الكريم أن يفرغ غيوث رحماته وكراماته على جدث يضم هذا الرجل الغيور على دينه القائم في نصره كالأسد يذود عن عرينه الإمام أبا بكر تقي الدين الحصني وأن يجمعنا معه في دار كرامته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم آمين .

والحمد لله أولا وآخراً . وباطناً وظاهراً . والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيد الأولين والآخرين وأكرم
السابقين واللاحقين ورضى الله عن الصديقين
والصحابة أجمعين وعن التابعين
لهم بإحسان إلى يوم الدين
آمين آمين

*****

﴿ تم بحمد الله وعونه ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى وفق من اختاره من عباده لنشر السنة وتأييدها بالحجة الواضحة وإماتة البدعة وتفنيدها بالحجج الناصعة والصلاة والسلام على حضرة سيد الخلق النبى الأمى العربى القرشى الذى أوتى جوامع الكلم والبراهين القاطعة .

(أما بعد) فقد تم بحمد الله تعالى وحُسن معونته طبع هذا الكتاب المسمى (دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد) لمؤلفه الإمام الكبير والعلم الشهّير ناصر السنة ومحارب البدعة الإمام تقى الدين أبى بكر الحصنى الدمشقى المتوفى سنة ٨٢٩ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية وهو الكتاب الذى يجب أن تشد فى طلبه الرحال خصوصاً فى هذا الزمن الذى كثُرت فيه طوائف الإلحاد وصاروا يحرفون الكلم عن مواضعه كأنهم الذين قال الله تعالى فى حقهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فجزى الله المؤلف والذين قاموا بنشره خير الجزاء .

*****

فهرس الكتاب

﴿ محتويات كتاب دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد للإمام العلامة تقى الدين أبى بكر الحصنى ﴾

صفحة	الموضوع

صفحة	الموضوع

صفحة	الموضوع